بسم ا الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

إقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي

(493-690هـ/1100-1291م)

إعداد

عبد الرحيم حسين سعد الدين أبو عون

إشراف

الدكتور جمال محمد جودة

الدكتور سعيد عبد ا البيشاوي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2004م

إقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي

(493-690هـ/1100-1291م)

إعداد

عبد الرحيم حسين سعد الدين أبو عون

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 1 / 9 / 2004 وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
– الدكتور جمال محمد جودة	(رئيساً)	--------------------
– الدكتور سعيد عبد ا البيشاوي	(مشرفاً)	--------------------
– الدكتور عبد الرحمن محمد المغربي	(ممتحناً خارجياً)	------------------
– الدكتور عدنان محمد ملحم	(ممتحناً داخلياً)	------------------

إهداء ....

إلى روح والدي الطاهرة (حسين أبو عون)، رمز التضحية والعطاء، وإلى أرواح الشهداء الذين ساروا على نفس الدرب في فلسطين والأمة العربية

وإلى روح والدتي الجليلة، نبع المحبة والعطاء

عرفاناً ووفاء واعتزازاً بما قدموه لي

وإلى زوجتي الفاضلة وأبنائي وبناتي الذين صبروا حتى تكللت الجهود بهذا العمل الذي يخدم الإنسان والتراب والتاريخ الفلسطيني

شكر وتقدير

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الدكتور جمال محمد جودة، أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة النجاح الوطنية، الذي تكرم بالإشراف على هـذه الدراسـة، وقدم لي إرشاداته القيمة والمتواصلة على مدار فصول الدراسة، كما أتقدم بـشكري الخـالص وامتناني لأستاذي الدكتور سعيد عبد ا البيشاوي، أستاذ التاريخ الوسـيط فـي كليـة العلـوم التربوية/ وكالة الغوث، الذي أشرف على هذه الرسالة وقدم لي المساعدات القيمة، فقد سـاعدني في إعداد الخطة الدراسية، وأمدني بالوثائق والمصادر اللاتينية والفرنسية اللازمة، فضلاً عـن المصادر والمراجع العربية والمعربة وكذلك المصادر والمراجع الأجنبية المدونة بلغات مختلفة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الدكتور عدنان محمد ملحم والدكتور عبد الرحمن محمد المغربي لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة.

وحرصاً مني على إعطاء كل ذي حق حقه فإنني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأخـت الفاضلة فاطمة خليل حمد التي دققت البحث لغوياً فجزاها ا كل خيـر، كمـا أتقـدم بـشكري وعرفاني لأمين مكتبة كلية العلوم التربوية الأستاذ مفيد الشريف، وزميلته الأخت عصماء أبـو غوش.

ولا يسعني إلا أن أعترف بفضل وجهد الأخ محمد خليل أبو الحسن الذي واكبنـي فـي طباعة وإخراج هذه الرسالة، كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أسـهم في إخراج هذا البحث إلى النور فجزاهم ا جميعاً عني وعن العلم كل خير.

وا الموفق

فهرس المحتويات

قائمة الملاحق

قائمة المختصرات والرموز

استخدمت في هذه الدراسة مجموعة من المصادر والمراجع وأشير لها حسب النمط الأتي:

إذا كان للمؤلف كتاب أو أكثر، يذكر اسمه، واسم كتابه، ثم الجزء، والصفحة، مثلاً: ابن واصل، مفرج الكروب، جـ2، ص40، الحميري، الروض المعطار، ص100.

- ج. جزء
- ص: صفحة
- م: ميلادي
- هـ: هجري
- ت: توفي
- تح: تحقيق
- ط: طبعة
- ب، ط: بدون الإشارة إلى الطبعة
- ب، ت: بدون تاريخ نشر
- ب، ن: بدون نشر
- ب، م: بدون مكان نشر
- Ibid: نفسه
- Los.cit: المكان نفسه
- Op.cit: المصدر أوالمرجع نفسه

P.P.T.S	Palestine Piligram Tesxt Society
R.H.C.-H.Occ	Recuiel Des Historiens Des Croisades Occidentaux
R.O.L	Revue deI Orient Latin
Setton	Setton, K. M., A History of the Crosades
Strehlke	E.Strehlke, Tabulae Ordinis Theutonici
Z.D.P.V	Zeitschrift de deutsscheu Palastina

إقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي

(493-690هـ/1100-1291م)

إعداد

عبد الرحيم سعد الدين أبو عون

إشراف

الدكتور جمال محمد جودة

الدكتور سعيد عبد ا البيشاوي

الملخص

حظيت دراسة الحروب الفرنجية باهتمام المؤرخين والباحثين الحديثين في الشرق والغرب على حد سواء، باعتبارها إحدى حلقات الصراع بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، وذلك بسبب ما تركته من آثار في تاريخ كثيرٍ من الأمم، وما ترتب عليها من نتائج هامة. وعلى الرغم من كثرة الأبحاث والمؤلفات التي تناولت الحروب الفرنجية إلا أنها لم تغط كل مراحلها، ولم تُظهر كل خفاياها، ولا زالت هذه الحركة ميدانا هاما وحقلا خصبا أمام الباحثين، من اجل إلقاء مزيد من الأضواء على كثيرٍ من جوانبها الخافية.

ولما كان موضوع حيفا من الموضوعات التي لم تبحث، فقد وقع اختياري عليها لتكون موضوعا للبحث وهدفا للدراسة التي جعلت عنوانها:"إقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي من 493-690هـ/1100-1291م"، ومهما يكن من أمر، فقد استولى الفرنجة على معظم بلاد الشام وفلسطين بحد السيف، وقاموا بتطبيق النظام الإقطاعي الأوروبي في الشرق، مع إجراء بعض التغييرات الطفيفة التي تلائم إقامتهم في هذه البلاد، وأقام الفرنجة ثلاث إمارات هي: إمارة الرها، وإمارة انطاكية وإمارة طرابلس،.. فضلا عن تأسيس مملكة بيت المقدس الفرنجية التي قسمت بدورها إلى أربع إمارات كبيرة هي: بارونية صيدا، وكونتية يافا وعسقلان، وإمارة الجليل، وإمارة فيما وراء الأردن...، إلى جانب اثنتي عشر إقطاعية هي: إقطاعية حيفا، ونابلس، وأرسوف، وقيسارية، والخليل، وطبرية، وبيسان، واللد والرملة، وتبنين وبانياس، وبيروت، واسكندليوم، وإقطاعية القيمون، وكان هناك مجموعة من المدن تتبع الملك

الفرنجي، وهي: عكا وصور ودير البلح وبيت المقدس. ولم تحظ حيفا وريفها باهتمام الباحثين والدارسين، وكل ما ورد عنها في المصادر والمراجع عبارة عن شذرات بسيطة لا تشف غليل الباحثين، هذا إلى جانب اهمية حيفا الاقتصادية والعسكرية، وضرورة ابراز دورها خلال تلك الفترة اخترتها للدراسة.

وقد قسمت البحث إلى خمسة فصول، وجعلت عنوان الفصل الاول"اوضاع حيفا منذ اقدم العصور، وحتى الغزو الفرنجي"، وبدات الفصل بالحديث عن جغرافية حيفا وموقعها وحدودها، وتضاريسها ومناخها ومصادر المياه فيها، والمنطقة الريفية التابعة لها، ثم ناقشت الآراء التي دارت حول تسمية المدينة بهذا الاسم، كما أشرت أيضا إلى الأسماء التي عرفت بها عبر التاريخ،... وختمت الفصل بتتبع أوضاع حيفا في العصور الإسلامية قبل قدوم الفرنجة إلى المنطقة.

أما الفصل الثاني وعنوانه: "حيفا في ظل السيطرة الفرنجية"، فقد تحدثت فيه عن قيام الفرنجة بحصار مدينة حيفا عام 493هـ/1100م، وأشرت إلى القوى الفرنجية التي شاركت في هذا الحصار، كما تطرقت لأوضاع أهالي مدينة حيفا المسلمين واليهود أثناء الحصار، والمقاومة الباسلة التي أبدوها في الدفاع عن مدينتهم، وختمت الفصل بالحديث عن سقوط المدينة، وما أصاب أهلها من عمليات قتل ونهب وسلب وتهجير.

وحمل الفصل الثالث عنوان: "دور إقطاعية حيفا العسكري في مواجهة القوى الإسلامية 493-583/1100-1187م، وتحدثت فيه عن طبيعة العلاقة بين سيد إقطاعية حيفا وملك بيت المقدس الفرنجي، كما أشرت إلى جهود سيد إقطاعية حيفا، والخدمات العسكرية التي يقدمها دعما للمجهود الحربي الفرنجي، وفضلا عن ذلك بينت إسهامات وجهود إقطاعية حيفا بنشاطات مملكة بيت المقدس الداخلية، وتطرقت أيضا إلى الصراع الذي نشب على عرش بيت المقدس وأثره على إقطاعية حيفا، وختمت الفصل بالحديث عن معركة حطين وعودة حيفا والمنطقة الريفية المحيطة بها للسيادة الإسلامية.

أما الفصل الرابع من هذه الدراسة وعنوانه:"أوضاع إقطاعية حيفا في ظل مملكة بيت المقدس الاسمية من 583-690هـ/1187-1291م، فقد تطرقت فيه إلى استرداد المسلمين لمنطقة حيفا بعد انتصار المسلمين في معركة حطين 583هـ/1187م، ثم تعرضت لصلح الرملة بين ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا والسلطان صلاح الدين الأيوبي عام 588هـ/1192م وعودة إقطاعية حيفا وباقي المدن الساحلية الفلسطينية للسيطرة الفرنجية، ثم تطرقت إلى أوضاع إقطاعية حيفا بعد توقيع هدنة الرملة حتى نهاية الحركة الفرنجية عام 690هـ/ 1291م.

أما الفصل الخامس وعنوانه:"الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والقضائية في إقطاعية حيفا"، فقد عالجت فيه مظاهر الحياة الاجتماعية وفئات السكان والطبقات الاجتماعية واللغة والدين والعادات والتقاليد في ذلك العصر، كما ناقشت الحياة الاقتصادية لاسيما الزراعة، والصناعة، والتجارة، والضرائب، كما تحدثت عن المنشآت العمرانية والنظام القضائي في إقطاعية حيفا خلال تلك الفترة، وجعلت للبحث خاتمة ضمنتها أهم النتائج التي خرجت بها من هذه الدراسة، وفضلا عن ذلك ذيلت البحث بمجموعة من الملاحق والخرائط وقائمة بأسماء المصادر، والمراجع العربية والأجنبية، وقد استندت هذه الدراسة إلى مجموعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية وفي مقدمتها: كتب التاريخ والجغرافية والتراجم والرحلات، فضلا عن وثائق وسجلات الكنائس والأديرة، والهيئات الدينية المحاربة وتجدر الإشارة إلى أن معظم المصادر الأجنبية مدونة باللغات اللاتينية والفرنسية القديمة وهناك القليل منها ترجم إلى اللغات الأوروبية الحديثة مثل الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية والحقيقة أن الدكتور سعيد البيشاوي زودني بمعظم المصادر والمراجع التي تعالج موضوع الدراسة، كما ساعدني بترجمة بعض الوثائق المدونة باللغة اللاتينية، هذا إلى جانب ما قمت بترجمته في الإسكندرية من وثائق ومصادر إذ ساعدني الدكتور ابراهيم السايح بترجمة مجموعة من النصوص والوثائق.

وقد قمت بإجراء دراسة تحليلية نقدية لأهم المصادر العربية والأجنبية التي اعتمدت عليها أثناء إعدادي لهذا البحث .

ويتضح لنا من خلال دراسة إقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي أن مدينة حيفا كانت من المناطق التي طمع الفرنجة في السيطرة عليها لتكون منفذا بحريا لإمارة الجليل التي أسسها الأمير النورماندي تانكرد.

وقد جهز تانكرد قوات برية وبحرية قوية واستعانوا بالأسطول البندقي، وبذل أهالي حيفا مجهودا كبيرا من اجل الدفاع عنها، وقتلوا معظم سكانها، وتوضح الدراسة أن هناك أكثر من طرف فرنجي كان يحاول بسط سيطرته على حيفا والأطماع الشخصية بينهم سيطرت على الوضع.

وكان على سيدها الإقطاعي أن يقوم بمجموعة من الواجبات العسكرية، وقد اتضح لنا أن إقطاعية حيفا لم تكن تقدم عددا كبيرا من الفرسان والمشاة، على الرغم من وجود ميناء كان يسهم في ثرائها، وأوضحت الدراسة أن سيد إقطاعية حيفا كان عضوا في المحكمة العليا (محكمة الملك)، أسوة بباقي سادة الإقطاعيات الفرنجية الأخرى، كما كان سيد إقطاعية حيا يسهم في الحملات التي يقوم بها الملك ضد المسلمين، كما كان يشارك في الدفاع عن حدود المملكة ضد الهجمات التي تتعرض لها.

وأظهرت الدراسة أيضا أن فيفيان سيد إقطاعية حيفا كان يقدم المنح والهبات للكنائس والأديرة، كما فعل تانكرد، وأشارت إلى استرداد المسلمين لمدينة حيفا والمناطق المحيطة بها بعد معركة حطين، وأصبحت هذه البلاد خالية من الفرنجة، وبعد أربع سنوات على استردادها، عادت حيفا مرة أخرى إلى السيادة الفرنجية بعد قوم الحملة الصليبية الثالثة، وتوقيع معاهدة الرملة بين السلطان صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد عام 588هـ/1192م .

وقد حظيت إقطاعية حيفا باهتمام ملوك بيت المقدس وسادتها الإقطاعيين، الذين عملوا دوما على تحصين الإقطاعية، وأقاموا قلعة عتليت وقلعة دوستري جنوبها، وقلعة المقاطعة شمالها على مداخل إحدى وديان جبل الكرمل، والقيام بزيادة هذه التحصينات وترميمها باستمرار.

وأظهرت الدراسة أن المسلمين حاولوا كثيراً استعادة حيفا وغيرها من المناطق عبر مئة وتسعين عاماً، حتى تكللت جهودهم بالنجاح على يد الأشرف صلاح الدين خليل بن منصور بن قلاوون الذي تمكن من استرداد حيفا والمناطق المحيطة بها وإنهاء الاستعمار الصليبي عام 690هـ/ 1292م.

دراسة المصادر

استندت هذه الدراسة إلى مجموعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وفي مقّـدمتها كتب التاريخ والجغرافية والتراجم والرحلات، فضلا عن وثائق وسجلات الكنـائس، والأديـرة، والهيئات الدينية المحاربة. وتكمن أهمية دراسة المصادر التاريخية والجغرافية في انها تعطينـا معلومات قيمة عن مدى الافادة منها في موضوع البحث خاصة فيما يتعلق بغزارة المعلومات أو ندرتها، كما أن تقدم للباحثين معلومات عن الكتاب ومؤلفه.

ويأتي في مقدمة المصادر التي أفادت الدراسة كتاب ذيل تاريخ دمـشق لابـن القلانـسي (ت555هـ/1160م)[1] الذي بدأ بوضعه قبيل عام 535- 536هـ/1139- 1140م، وتوقـف فترة، ثم عاد للكتابة مرة ثانية حتى وفاته، إن اتصال ابن القلانسي بالبيت الحاكم في دمـشق، ترك ذلك أثره على كتابته. فقد تمكن من الإطلاع على الوثائق، بالإضافة إلى أخذه عن شـهود عيان معاصرين. وعلى الرغم من أنه يتناول تاريخ دمشق وحكامها. إلا أنه اشتمل على إشارات ومعلومات غاية في الأهمية، وخاصة فيما يتعلق بالحركة الفرنجية،ولذلك فإن ابن القلانسي يعد مصدر أصيلاً في الفترة التي عاصرها[2]، إذ زودنا بمعلومات لم ينفرد بها أي مؤرخ قبله. أما فيما يتعلق بالمادة التي زودنا بها، فقد أشار إلى سقوط حيفا في قبضة الفرنجة في الثـامن مـن شوال عام 493هـ/20 آب 1100م، ولكن إشارته لم تتعد بعض الفقرات التي ذكرنا منها أمـر سقوط حيفا في 18 شوال 493هـ/20 أب - أغسطس 1100م.

([1]) ابن القلانسي: أبو يعلي حمزة التميمي الدمشقي،ولد عام472 هـ/1079، و اهتم بدراسـة العلـوم الدينيـة والآداب، وأمضى معظم حياته في ديوان الإنشاء بدمشق،وتولى رئاسته مرتين، وكان دقيقا وموضوعيا في كل ما تطرق له، ولـيس من شك في أن رئاسته للديوان جعلته مطلعا على كافة الأمور والأحداث، ومكنته من الاطلاع علـى الوثـائق الرسـمية. وكانت أسرة ابن القلانسي من أكبر أسر دمشق وأعظمها مكانة، وقد احتفظت بمكانة مرموقة في دمشق لعدة قرون، وقد عاش ابن القلانسي بضعا وثمانين سنة. انظر الحموي: **معجم الأدباء**، جـ 10، ص 278- 280، الذهبي: **سير**، جـ 2، ص 388- 389، سـالم: **التـاريخ**، ص116، 140- 141، العرينـي: **مـؤرخو**، ص 91- 92، عمـار، **التـاريخ والمؤرخون**، ص203

([2]) عمار، المرجع نفسه،ص225.

وقد زودنا بمادة جيدة عن حصار الفرنجة لبيت المقدس والمجازر التـي ارتكبوهـا بحـق سكانها،فضلا عن المعلومات الهامة التي أمدنا بها عن معارك الرملة الـثلاث بـين الفرنجـة والفاطميين،وعن حصار الفرنج لمدينة صور عام 505هـ/1111م، و عن الخلافات الداخليـة بين إفرنج الشام التي أشار أليها في 526هـ/1131م، كما أعطى تفصيلات عن الحملة الفرنجية الثانية، ويؤخذ عليه تحيزه في بعض الأحيان للدماشقة السنيين ضد الفاطميين الشيعة.

أما كتاب " الفتح القسي في الفتح القدسي " للعماد الكاتب الأصفهاني (ت597هـ/1201م)[1]، فقد تناول حروب صلاح الدين وجهاده ضد الفرنج منذ عام 583هـ/1187م. وحتـى عـام 589هـ/1187- 1193م، وأورد العديد من المراسلات بين صلاح الـدين وبـين الملـوك والأمراء. ونظرا لكونه كاتبا في ديوان الإنشاء، وشاهد عيان للأحداث، فقد اتخـذت رواياتـه صفة الوثائق الرسمية. وقد ربط بين الحروب والمسرح الجغرافي الذي كانت تجري فوقه. هـذا وقد نقل عنه كثير من المؤرخين أمثال أبي شامة وابن الأثير وغيرهما، وقد أشار العماد إلـى فتح مدينة حيفا على يد صلاح الدين الأيوبي، كما تطرق لأسماء الأمراء الـذين تمكنـوا مـن استردادها. وفضلا عن ذلك أورد وصفا مسهبا للحملة الصليبية الثالثة وصلح الرملة.

أما الفتح بن علي البنداري (ت622هـ/1225م) فقد وضع كتابا بعنـوان:" سـنا البـرق الشامي" فهو اختصار لكتاب العماد الأصفهاني (البرق الشامي) ويعد مـن المـصادر العربيـة الهامة، فقد أورد العديد من التفاصيل عن حملات الملك الفرنجي عمورى على مصر، وموقـف أسد الدين شيركوه وصلاح الدين من الأحداث التي تعرضت لها منطقة الشرق آنذاك، ثم نجـاح

([1]) الاصفهاني: عماد الدين أبو عبد ا بن صفى الدين محمد الملقب بالكاتـب الأصـفهاني، ولـد فـي أصـفان عـام 511هـ/1125م، وتوفي في دمشق 597هـ م 1201م، وعمل في خدمة نور الدين محمود، ثـم اشـرف علـى ديـوان الإنشاء، وتقرب إلى صلاح الدين نظرا لعلاقته بالقاضي الفاضل الذي عينه نائبا له، وقد أتاح له ذلـك أن يكـون علـى مقربة من الوثائق الرسمية، ووصفة البنداري بأنه" ذو البلاغتين"، وله العديد من المؤلفات من بينهـا البـرق الـشامي، والفتح القسي في الفتح القدسي، و جريدة القصر وجريدة أ هل العصر، و خطفة البـارق وعطفـة الـشارق، والعتبـى والعقبى، و نحلة الرحلة. انظر: االأصفهاني: **الفتح**. ص 32-33

صلاح الدين في إنهاء الدولة الفاطمية، وإقامة الدولة الأيوبية في مصر، ثم كفاحه ضد الفرنجة [(1)]،وقد أفادنا منه في موضوعات هامه في هذه الدراسة.

ويتناول ابن الأثير(ت 630هـ/1233م) في كتابة: (الكامل في التاريخ) فترة طويلة من تاريخ الصراع الفرنجي الإسلامي. فقد توقف ابن الأثير عند عام 628هـ/1231م، وذلك لوفاته في هذا العام[(2)]، ولا يوجد من المعاصرين له ما يستطيع أن يضارعه في وفرة وثائقه، ويرجع ذلك إلى أنه أعتمد على المختصين في كل إقليم، فقد أفاد من الهمداني، وابن حمدون، وابن الجوزي، في تاريخ العراق، والعماد الكاتب الأصفهاني، والحسيني في تاريخ إيران، وابن شداد الصنهاجي في تاريخ المغرب، وابن شداد، وابن القلانسي في تاريخ الشام[(3)]، وكذلك اعتمد على ابن عساكر لاستكمال معلوماته عن القرن السادس الهجري/القرن الثاني عشر الميلادي، وتظهر مدى الاستفادة منه على امتداد الفصول الثاني والثالث والرابع والخامس من الرسالة، وله أيضا كتاب: (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية)، الذي تناول فيه تاريخ عماد الدين زنكي ونور الدين محمود، ويؤخذ عليه أنه كان حريصا في الدفاع عن الزنكيين فلم يذكر إلا الصفات الحسنة لهم.

([1]) الفتح بن علي البنداري: من رجال البلاط في عهد المعظم عيسى، وقد ألفه وأهداه إلى الملك المعظم عيسى عام 622هـ/1225م. البنداري: **سنا**، جـ 1، ص 40-44، انظر أيضا: عمار، المرجع نفسه، ص159، سلامة، المرجع نفسه،ص21

([2]) ابن الأثير: هو عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الكريم الشيباني، ولد في الجزيرة في 4 جمادى الأولى 555هـ/12 أيار 1160م، وانتقل إلى الموصل مع والده، وكان إماما في حفظ الحديث وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، كما كان خبيرا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعها، وصنف عدة تصانيف منها كتاب (الكامل في التاريخ)، وكتاب التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، انظر **ابن خلكان**: جـ 3، ص 348- 349، الذهبي: **تذكرة**، جـ 4، ص 1399-1400، انظر ابن الأثير: **التاريخ**، ص 7-13، العريني: **مؤرخو**، ص 203، سعداوي:**المؤرخون**، ص6-11.

([3]) العريني:المرجع نفسه، ص 203-204

وأما المؤرخ ابن شداد (ت 632هـ/1234م)[1]، الذي كتب سيرة السلطان صـلاح الـدين الأيوبي المعروفة باسم: (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)، فقد عالج فيه نـشأة صـلاح الدين الأيوبي، وحروبه ضد الفرنج، ونجاحه في استرداد الكثير من المعاقل والمدن الإسـلامية منهم، ويعد من المؤرخين المسلمين القلائل الذين كتبوا في موضوع محدد، بخلاف ما درج عليه بقيتهم في الكتابة في موضوعات عامة، وقد اعتمد في القسم الأول من كتابـه علـى المؤلفـات الأخرى، أما ما كتبه عن صلاح الدين، فقد اعتمد على مشاهدته وملاحظاته وقربه من صـلاح الدين، مما أتاح له رؤية الأحداث عن قرب، وأشار إلى بعض المعلومـات الجغرافيـة كـذكره لأسماء بعض الأنهار في الإقطاعية مثل نهر القصب، الذي اطلق عليه الفرنجة اسم نهر الملح Fluvius Salsus، وربما سميّ بهذا الاسم لزيادة نسبة ملوحة مياهـه[2]، كمـا أورد بعـض الإشارات عن طبوغرافيتها، ولكنه لم يزودنا بوصف لمدينة حيفا أو أسوارها، وتكلـم بإسـهاب عن صلح الرملة والمراحل التي سبقته في المفاوضات بين الجانبين الفرنجي والإسلامي.

أما عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة[3] (ت 665هـ/1276م)، فقـد وضـع كتابين هما: (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) و(الذيل على الروضتين) وقـد تناول في الأول جهاد كل من عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ضد الفرنج، وعلى الرغم من أنه لم يكن معاصرا لما كتبه، إلا أنه اعتمـد علـى العديـد مـن المصادر المفقودة أو التي لا تزال موجودة، ومن بينها مؤلف يحيى بن أبى طـيء المعـروف

([1]) هو بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد ولد في الموصل، توفي والده وهو صـغير، فنشا عند أخواله بني شداد فنسب إليهم، حفظ القرآن منذ صغره بالإضافة إلى الحديث والتفـسير والفقـه، عمـل مدرسـا بالمدرسة النظامية ببغداد منذ عام 566هـ/1171- 1174م، ذاع صيته واشتهر برجاحة عقله وولي قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي وأصبح من المقربين اليه منذ عـام 584هـ/1188م، تـوفي عـام 632هـ/1234م، انظر: ابن خلكان: **وفيات**،جـ7،، ص 84- 99، العريني: م**ؤرخ**و، ص 198.

([2]) أبو شامة، **الروضتين**، جـ2، ص 190، ابن شداد، **النوادر**، ص 180، عبد الوهاب، **قيسارية**، ص 77، هامش 96، Geoffrey de Vinsasuf.p. 203. Amboise.p. 245 .101

([3]) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبى بكر بن محمد المقدسي. ولد في دمشق عام 599هـ/1203م، وتوفى عام 665هـ/1267م. وقضى جانبا من حياته في مسقط رأسه حيث اشتغل بالعلم والدراسة، وسمى بـابي شـامة لوجود شامة فوق حاجبة الأيسر، انظر، نسيم:**العدوان الصليبي**، ص 34.

باسم: (السيرة الصلاحية)[1]، وكتاب العماد الأصفهاني في:(البرق الشامي). كما نقل عـن ابـن الأثير وابن شداد وغيرهم، وقد أشار إلى ذلك في كتابه، مما يفيد بأنه كان أمينا ويتوخى الدقـة في كتابته. أما الكتاب الثاني[2] فهو تذييل للأول، ويتناول الأحداث التي كان معاصرا لها.

ويعد المقريزي : (ت 845هـ/1442م)[3] من أغزر مؤرخي القرن التاسع الهجري/القـرن الخامس عشر الميلادي تأليفا. فقد تعددت مؤلفاته الكبرى والصغرى المائة كتاب[4]. ولا شك أن المناصب التي تولاها، سواء الحكومية منها أو غير الحكومية، قد أفادته في كتاباته. إذ كان على مقربة من الأحداث والوثائق. وقد أمدنا مؤلفه :(اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفـاطميين الخلفـاء) بمادة طيبة عن تاريخ الخلفاء الفاطميين وعلاقتهم بالفرنجة، وعن أوضاع بلاد الـشام ومـصر أثناء الصراع مع الفرنجة، فقد تحدث عن تساقط المدن الفاطمية الساحلية تباعـا فـي قبـضة الفرنج، كما أورد تفاصيل عن حملات عموري على مصر، وتعد المادة التاريخية التي قـدمتها المصادر الأجنبية من المقومات الهامة التي اعتمد عليها البحث.

ولابد للباحث من الإطلاع على المصادر الأجنبية لانها تقدم لنا صورة اخرى للوضع أثناء فترة الصراع، فضلا عن انها تكمل ما اغفلته المصادر العربية.

([1]) يحيى بن حامد أبو طيء النجار بن ظاهر بن علي بن عبد ا الغساني الحلبي، وهو المؤرخ الـشيعي الوحيـد الـذي اعتمد عليه المؤرخون السنه، ولم يستطيعوا إغفاله. ونقل عنه أبو شامة، وابن شداد، وابن عبد الظـاهر، وابـن الفـرات وغيرهم. انظر العريني: **مؤرخو**، ص 234- 235.

([2]) نشره السيد عزت العطار بعنوان (**تراجم رجال القرنين السادس والسابع**

([3]) المقريزي هو تقي الدين احمد بن علي. ولد بالقاهرة عام 766هـ/1364-1365م، وتوفي في عام 845هـ/1442م، تقلد العديد من المناصب، فكان كاتبا في ديوان الإنشاء، ثم أصبح قاضيا، وإماما الجامع الخليفة الفاطمي الحاكم بـامر ا ، ومحتسبا للوجه البحرى والقاهرة، ثم قاضيا لدمشق، انظر المقريزي: **اتعاظ**،ص 17-18.

([4]) من بين مؤلفاته، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، و البيان والأعراب بمن حل مصر من الأعراب**، و المقفى الكبير، و **شارع النجاة في تاريخ الأديان**، وغيرها، انظر دراسات عن المقريزي، **مجموعة أبحاث**، القاهرة 1971م.

ويعـد كتـاب تـاريخ بيـت المقـدس Historia Hierosolymitana للمـؤرخ اللاتينـي المعاصرللاحداث البرت دكس Albert d Aix[1] من المصادر الهامة التـي لا غنـى عنهـا للباحثين من الرجوع إليها وقد نشر الكتاب في مجموعة الحروب الصليبية الخاصة بالمؤرخين الغربيين .R.H. C. H. O. CE. tome IV.pp. 265- 713 وعلى الرغم أن البرت دكس لـم يحضر إلى الشرق إلا أنه وضع كتابا عن الحملة الفرنجية الاولى تطرق فيه لأحوال الفرنجة في بيت المقدس، وقد اعتمد في كتابه على ما سمعه من شهود عيان من الروايات الشفوية، فـضلا عما استقاه من المصادر المعروفة ومن المراسلات كما نقل عن الحجاج العائدين من الأراضي المقدسة، وقد سجل كل هذه الروايات في تاريخه مما أوجد نوعا من الاضطراب في روايته في بعض الأحيان، وذلك انه لم يكن يتحرى الدقة التامة في التأكد من صحة أو زيف هذه الروايات، وسجل كل ذلك بأسلوب سهل عادي، ويؤخذ عليه عدم دقته في تواريخ الأحداث الذي رواها مما أوقعه في بعض الاحيان في أخطاء تاريخية[2]، وقد زودنا البرت دكس بمعلومات وفيرة تتعلـق بحيفا في الفترة الفرنجية الأولى.

أما عن المؤرخ الفرنجي فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres [3]،فقد وضع كتابا اسماه "أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium) " و قد تـرجم إلـى اللغـة الإنجليزيـة بعنـوان Ahistory of the Expedition to: Jerusalem، وقام اثنان من الباحثين العرب بترجمته من الإنجليزية إلى العربية أولهما د. زياد

([1]) ينتمي ألبرت إكس Albertإلى مدينة اكس الألمانية، وكان كاهنا لكنيسة هذه المدينة، ولم تمدنا المصادر المعاصرة أو المراجع الحديثة بمعلومات عن اسمه أو اسم أسرته، كما أن المصادر لم تشر إلى تاريخ ولادته أو وفاته. Cf. Albert d Aix.pp. 523- 549- 553انظر: يوسف: **العرب**، ص 10، العرينـي: **مؤرخـو**، ص 66-67، انظـر: البيـشاوي: **الممتلكات،** ص 190، هامش 3، Prawer. J. The History of the Jews p. 39.

عاشور: **الحرك**ة، جـ1، ص 268.

([2]) ولد فوشيه الشارتري في مدينة شارتر بفرنسا، واشترك بالحملة الفرنجية الأولى عام 1196م، ضمن قوات روبـرت دوق نوماندیا، وكونت فلاندر وستيفن كونت بلوا، وكان مرافقا للملك بلدوين الأول في الرها لمدة سنتين، ثم حضر معـه إلى بيت المقدس، وبقي ملازما له حتى وفاته، ثم مكث فوشيه في بيت المقدس مع الملك بلدوين الثاني، حتى تـوفى عـام 1127م، انظر العريني: المرجع نفسه، ص 37-43، يوسف: **العرب**، ص 7.

([3]) العريني: **مؤرخو** ص 76، يوسف: **العرب**، ص 11-13، Cahen. op. cit. pp. 12-13.

العسلي الذي ترجمه تحت عنوان: " تاريخ الحملة إلى بيت المقدس"،و قاسم عبـده قاسـم فقـد ترجمه بعنوان:" الاستيطان الصليبي في الأراضي المقدسة". ولعل العنوان الذي اختـاره قاسـم عبده قاسم لكتاب فوشيه الشارتري لا يتطابق مع عنوانه الأصلي اللاتيني أو عنـوان الترجمـة الإنجليزية.

وتأتي أهمية فوشيه باعتباره شاهد عيان لكل ما سجله من أحداث جرت في الـشرق الأدنـى وبخاصة في الرها وبيت المقدس، وقد اعتمد في كتاباته على مشاهدته وعلى شهود العيان عندما يكون غائبا عن الأحداث أو الخطابات المرسلة من بيت المقدس إلى الغرب الأوروبي، وعلـى عدد آخر من المصادر المكتوبة وبخاصة في الفترة التي كان غائبا فيها عن بيت المقدس أثنـاء وجوده في الرها، وعندما أصبح بلدوين الأول ملكا على المملكة الفرنجية، انتقل فوشـيه معـه وأصبح المصدر الرئيس عن هذه الفترة حتى عام 1127م، وقد تحرى الدقة في كتاباته، ممـا جعل الكثير من المؤرخين ينقلون عنه مادتهم مثل جيبرت نوجان .Guibert of Nogent فقد أمدنا فوشه بتفصيلات عن استيلاء الفرنجة على حيفا كما أسهب في الحديث عن المذابح التـي اقترفها الفرنجة والبنادقة، كما زودنا بتفاصيل الاستيلاء على المدينة[1] على الرغم من أن بنـي جلدته هم الذين قاموا بها، مما يدل على صدق روايته، كذلك أمدّنا بمعلومات هامة عن الهجـوم الذي شنته القوات الإسلامية الفاطمية... الشامية المشتركة ممثلة بالأفضل الفاطمي مـن جهـة ومودود[2]. وطغتكين من جهة أخرى[3]، ولم تقتصر معلومات فوشيه على الناحية السياسية فقط،

---

(1) **Fulcher of Chartres**.op. cit. p. 124

(2) مودود بن التوتنكين: من أبرز قادة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي، أظهر كفاءة ومقدرة فائقة في تنفيذ المهام التي عهدها أليه السلطان السلجوقي في الفترة السابقة لتوليه إمارة الموصل وأعمالها سنة 502هـ/1108م، صـدر لـه أمـر السلطان باستئناف الجهاد ضد الفرنجة، شارك بمعركة الصنبرة، لقى مصرعه بجامع دمشق في ربيـع الاخـرى عـام 507هـ/1113م. انظر:ابن القلانسي، **ذيل**، ص 159-187، ابن الأثير: **التاريخ الباهر**، ص 17، ابن تغـري بـردي: **النجوم**، جـ5، ص 207، **Fulcher of Charters**.op. cit.p. 209

(3) معتمد الدولة طغتكين: المعروف بأتابك: وهو أحد أتباع تتش السلجوقي، تزوج من والدة دقاق بن تتش، وبعـد وفـاة تتش التحق بخدمة الأمير دقاق وبعد موت دقاق سيطر طغتكين على دمشق وعامل أهلها معاملة حسنة حتى توفى في عام 522هـ/1128م، انظر ابن القلانسي: المصدر نفسه، ص 347-348، ابن تغري بردي: **النجـوم**، جـ5، ص 224، ابن الأثير: **الكامل**، جـ1، ص 248-277

بل تطرق إلى الناحية الاجتماعية عندما أشار إلى أجناس السكان في المملكة وإلى تأثر الفرنجة بالعادات الشرقية وخاصة الزي، فضلا عن معلومات عن أهم الحيوانات التي تشتهر بها منطقة فلسطين. وقد زودنا ببعض المعلومات عن المعالم الجغرافية في المنطقة خاصة الأنهار ومنابعها والبيئة[1]، وما يعيش فيها من حيوانات، وبعض الخصائص الجغرافية التي ساعدتنا في تصور المسرح التي جرت فيه الأحداث. ويعد كتاب " تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر "Historia Rerum in Partibus Transmannis Gestaeam" للمؤرخ الفرنجي المعاصر وليم الصوري "William of Tyre"[2]، من أهم المصادر الأجنبية المعاصرة التي أرخّت للحروب الفرنجية، كون مؤرخه كان من الشخصيات المقربة من البلاط الفرنجي، وقد تم نقل الكتاب إلى اللغة الإنجليزية بعنوان A History of the Deeds done Beyond the sea والكتاب ترجم إلى اللغة العربية،و قام على ترجمته سهيل زكار بعنوان " تاريخ الحروب الصليبية والأعمال المنجزة فيما وراء البحر "، وخرج الكتاب في مجلدين، وترجمه أيضا حسن حبشي محمد بعنوان : " تاريخ الحروب الصليبية " فخرج في أربعة أجزاء.

وقد تناول وليم الصوري فترة زمنية طويلة لم يتعرض لها من سبقه من المؤرخين اللاتين امثال فوشيه الشارتري، وألبرت دكس، وروبرت الراهب وغيرهم. و توقف وليم الصوري في تاريخه حتى عام 1184م. وهو يمتاز بأهمية خاصة لأنه يتناول وجهتي النظر الدينية

---

(1) أشار إلى نهر التماسيح اعتمادا على الرواية التي وردت في المصادر القديمة من أن التماسيح قد جرى نقلها من نهر النيل. ولعل ذلك يشير إلى اتساع ثقافته وتجربته والدقة في رواياته، انظر **Cahen**. op. cit.p. 11 انظر أيضا: العريني: **مؤرخو**، ص 22-42، يوسف: **العرب**، ص 8 – 11.

(2) ولد وليم الصوري في بيت المقدس عام 524هـ/1130م، متجها إلى الغرب الأوروبي لاستكمال تعليمه، وهو ينتمي لاسرة فرنسية شاركت في الحملة الفرنجية الأولى، وقد عاش وليم في الشرق الإسلامي واتقن اللغة العربية اللاتينية والفرنسية، واتجه وهو في مقتبل العمر إلى الغرب الأوروبي لاستكمال تعلمه هناك، وخاصة في باريس وشارتر كما ذهب إلى إيطاليا، وبعد أن قضى عشرين عاما في أوروبا عاد بعد ذلك إلى الشرق عام 1165م، وعمل في خدمة الملك عموري، واخذ يتدرج في سلك المناصب الدينية Amalric وكان مربيا لبلدوين الرابع ومستشارا له، وقد عينه الملك عموري رئيسا لأساقفة صور وكاد أن يصل إلى بطريركية بيت المقدس ولكن هرقل رئيس أساقفة قيسارية تمكنوا من الحصول عليها بعد مؤامرة حيكت ضد وليم الصوري إذ بعث هرقل له من سقاه السم وقتله عام 1184م، انظر سمالي: **المؤرخون**، ص 179- 187، العريني: **مؤرخو**، ص 101-102، 145، توفيق: المؤرخ وليم الصوري، ص 181-200، Cf.also: Richard,J., **The Latin Kingdom**. vol. I. p.110, **Cahen**.op. cit.pp. 16-18.

والدنيوية، فيما يتعلق بالأحداث التي رواها، وذلك بحكم المناصب التي تولاها، أما الفترات التي تناولها الكتاب فيمكن أن نقسمها إلى الآتي:

القسم الأول: تناول فيه المؤلف تاريخ الشرق اللاتيني منذ فتح المسلمين لسوريا، أي حوالي 19 هجري/640م، وحتى عام 521هـ/1127م، وقد اعتمد فيه على العديد من المصادر المعاصرة لهذه الفترة، وعلى شهود عيان، أو الذين يكتبون من الغرب الأوروبي فنقل عن البـرت دكـس وفوشيه الشارتري وريموند داجيل وغيرهم، واعتمد أيضا على شهود عيان ووثائق قبل مغادرة الشرق إلى أوروبا، أما الفترة الثانية الممتدة من (1128- 1162م) فقـد اعتمـد فيهـا ولـيم الصوري على الأرشيفات، والوثائق الملكية، وروايات شهود عيان.

منذ أن عاد إلى الشرق مرة ثانية وحتى عام 580هـ/1184م، وأصبحت كتاباته علـى درجـة كبيرة من الإتقان، وساعده على ذلك إتقانه العديد من اللغات مثل اللاتينية واليونانيـة والعربيـة والعبرية، و لم يراع الترتيب الزمني أحيانا عند ذكر بعض الأحداث، أما فيما يتعلق بالمادة التي زودنا بها يكاد يكون المصدر الرئيس بالنسبة للفصل الثاني من الدراسة، فقد أورد العديـد مـن التفاصيل عن استيلاء تانكرد والبطريرك دايمبرت البيزي على حيفا، على الرغم من أنه لم يكن معاصرا لذلك، مما جعله يعتمد على مصادر مختلفة كشهود عيان، أو الذين يكتبون من الغـرب الأوروبي، وقد أغنى وليم الصوري البحث بمعلومات وفيرة وهامة عن حيفا وشـجاعة أهلهـا وبسالتهم في مقاومة هجوم تانكرد حاكم الجليل والبطريرك دايمبرت البيزي، كما زود البحـث بمعلومات هامة عن النزاع بين تانكرد وجالديمار كاربنيل لأخذ حيفا، حيث ذكر المؤلف ألبرت دكس أن الأمير جودفري وعد بمنح مدينة حيفا إلى جالديمار، كما أشار إلى الشكاوى التي قدمها الاخير ضد تانكرد بينما ذكر وليم الصوري أن جودفري كان قد منحها للأمير تانكرد(1).

---

(1) **William of Tyr**e.vol I. p. 399. Ibid, vol. 1. pp. 424-425.

ويعد كتاب مذكرات جان دي جوانفيل[1] المصدر الأساس عن حملة لويس التاسـع علـى مصر و الشام؛ وذلك لأنه كان شاهد عيان لأحداثها وقد كتب عن مغامراته وأسفاره وحروبه منذ رحيله من فرنسا عام 1248م، إلى عودته من بلاد الشام عام 1254م، وقد سجل الأحداث التي شهدها في كتابه : " مذكرات جوانفيل " وقد اتاح له قربه من الملك لويس أن يكون دقيقـا بمـا يسجله بالإضافة إلى كونه فارسا شارك في المعارك ويسجل أحداثها، وتحدث عن المعاهدة التى عقدت مع المماليك والتى عرفت باسم معاهدة (قيسارية)، كما سجل جوانفيل بعض التحـصينات العسكرية في مدن الساحل والتي قام بها الملك لويس التاسع،حيث قام ببناء القـلاع والحـصون والأسوار في المدن الساحلية جميعها، ومنها ترميم وبناء تحصينات حيفا وغيرها مـن المـدن الساحلية.

وإلى جانب المصادر التاريخية التي اعتمدنا عليها، مجموعة من كتـب الـرحلات أهمهـا: "رحلة الحاج دانيال الروسي إلى الأراضي المقدسـة " Pilgrimage of the Russian abbot Danail in the Holy Land)[2]، وتكمن أهمية هذه الرحلة في أن صاحبها قام بزيارة فلسطين في الفترة الواقعة بين سنتي 1106-1107 م، أي في بداية الحكم الفرنجي لفلسطين، وقد زودنا بمعلومات قيمة عن الجوانب الاقتصادية في فلسطين، فقد أشار الى أهم المزروعات التي كانـت تشتهر بها لاسيما زراعة الأشجار المثمرة والخضراوات، والحبوب، وتعرض إلى ذكر مصادر

([1]) ولد جان دي جوانفيل فيما بين عامى 1220و 1228م، وأصبح حاكما لاقليم شامبانيا. اما عن قصة تدوينه لمذكراتـه فتتلخص في أن زوجة فيليب الرابع (الجميل) طلبت منه أن يسجل هذه المذكرات، وعمل بداية في تسجيلها ولكنها توفيت قبل أن يتمها فقام باهدائها إلى ابناها لويس العاشر ن وتوفى جوانفيل وهو في الثالثة والتسعين من عمرة تقريبا، والجـدير بالذكر أن هناك عدة طبعات لكتاب جوانفيل وقد اعتمدنا على النسخة الانجليزية والمعنونة باسم:
Memoirs of Louis Lx. King of France. **trans by Johnes of Havod**. in Chronicles of the Crusades. Boh s (ed). London. 1948.

([2]) الحاج دانيال الروسي: زار الاراضي المقدسة في الفترة الواقعة بين عامي 1106- 1107م، وكان اسقفا ل سيورايف Surriev في عام 1115م، وتوفي عام 1120م، وقد ترجمت رحلته إلى العديد من اللغات، خاصة الالمانية، والفرنسية، واليونانية. وقد زار الرحالة سبعة وتسعين موضعا في الأراضي المقدسة، و كان أولها بيت المقدس، ودبر سـابا، وقـد شملت هذه الرحلة الرقعة الجغرافية لفلسطين والأردن ولبنان. انظر مقدمة الترجمة العربية **لرحلـة دانيـال الراهـب**، ص14.

المياه المختلفة التي كانت تعتمد عليها فلسطين، كما زودنا بمعلومات عن أهم الصناعات التـي كانت سائدة هناك انذاك، وخاصة صناعة استخراج زيت الزيتون والنبيذ،هذا وقد وصف مدينـة حيفا وذكرها باسم كيفا أو كيفاس Caipha، وتحدث عن الأهمية الدينية لجبل الكرمل، ووصف جماله الخلاب، حيث تغطي قمته الأعشاب، وأشار إلى الدير الذي بني على شـرف القديـسة مريم. وتحدث عن اهتمام المسيحيين على اختلاف طوائفهم بهذا الجبل، إذ كان مـسكنا لجمـع غفير من الرهبان والزهاد حتى اشتهر باسم جبل الحجاج أثناء فترة الغزو الفرنجي للأراضـي المقدسة[1].

وعلى الرغم من أهمية الرحلة وتوقيتها إلا أن هناك بعض الملاحظات عليها، أهمها اعتماد الحاج الروسي على كتاب العهد القديم في توثيق كثير من الأمور، وفضلا عن ذلك وقع دانيـال في بعض الأخطاء الجغرافية ومنها موقع كفرناحوم في إقطاعية حيفا فذكر موقعها جنوب حيفـا وهي في الحقيقة شمال حيفا قرب دلتا نهر المقطع[2]، على ساحل البحر قرب الكرمل، وتعريف اللد والرملة وقيسارية فيليبي بقيسارية فلسطين، والسامرة بنابلس وباشان ببيسان، إلـى جانـب الكثير من الأخطاء الاخرى، وفي رأينا فان مثل هذه الأخطاء كافية لكي تنفي عن الحاج دانيال الروسي صفة الدقة في الكتابة، ومع ذلك فان هذه الملاحظات لا تقلل مـن أهميتهـا وفائـدتها للباحثين.

وزودنا الحاج الألماني بورشارد من ديـر جبـل صـهيون[3](Burchard of Mount Sion) في كتابه وصف الأرض المقدسة، بمعلومات قيمة وهامة عن أوضاع حيفـا بـصورة خاصة وفلسطين بصورة عامة، وقد اعتمدت على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي بعنـوان:

---

(1) انظر خمار: **موسوعة**، ص 97، البيشاوي، **الممتلكات**، ص 190. Cf. **Burchard of Mount Sion**.p. 47

(2) كفرناحوم: تدعى اليوم باسم كفر لام Kefr Lam وتقع قرب عتليت Cf. Moarion Sanoto.p. 2. Note 3.

(3) بورشارد: مواطن ألماني من ستراز بورج، اشتعل راهباً في هيئة الـدومنيكان، وقـد حـضر إلـى الـشرق عـام 630هـ/1232م، و زار سوريا ومصر وارمينيا، وقيل انه أمضى في دير جبل صهيون نحو عشر سنوات، ثم عاد فـي أواخر أيامه إلى الغرب الأوروبي، امتاز ببعده عن التعصب، وكان على درجة كبيرة من التعليم، وتـاريخ وفاتـه غيـر معروف، انظر مقدمة الترجمة العربية **لكتاب بورشارد**، ص11-13.

وصف الأرض المقدسة Description of the Holy Land التي قام الدكتور سعيد البيشاوي بترجمتها إلى العربية، و هي تعد من أهم كتب الرحلات بالنسبة إلى موضوع الدراسة، حيث تحدث بورشارد عن البنية السكانية في فلسطين بما فيها من تنوع واختلاف، كما أسهب في الحديث عن الأوضاع الاقتصادية، وأمدنا بمعلومات هامة عن أهم الصناعات التي كانت تعتمد على المنتوجات الزراعية ومنها صناعة السكر، وقد شرح بدقة المراحل التي تمر بها هذه الصناعة. وأشار بورشارد إلى الطوائف المسيحية المختلفة في الأراضي المقدسة، كما ذكر اهتمام الفرنجة بإقطاعية حيفا بزراعة العنب من اجل استخراج النبيذ المقدس، وتعرض كذلك إلى الينابيع والآبار التي اشتهرت بها الأراضي المقدسة.

ويعد كتاب تاريخ بيت المقدس ليعقوب الفيتري Jacques de Vitry[1] من الكتب الهامة التي اعتمدنا عليها لان مؤلفة من المؤرخين الفرنجة الذين تولوا مراكز مرموقة في مملكة بيت المقدس الإسمية، ولذلك فهو من المؤرخين الذين كانوا قريبين من الأحداث بشكل مباشر. وقد زودنا بمعلومات هامة أفادت جميع فصول الدراسة وعلى وجه التخصيص الفصل الخامس لاسيما ما اورده عن الطوائف والأجناس التي كانت تقيم في المنطقة خلال تلك الفترة.

([1]) ولد يعقوب الفيتري نحو عام 1180 م، وتلقى تعليما دينيا، ثم أصبح من رجال الدين المرموقين، حيث تبوأ منصب بطريرك عكا، كما انه قام بدور فعال في الحملة الفرنجية الخامسة: انظر: الفيتري، **تاريخ**، ص7-12 سلامة، **دراسات**، ص12.

الفصل الأول

أوضاع حيفا منذ أقدم العصور وحتى الغزو الفرنجي للمنطقة

1.1 جغرافية حيفا (الموقع والحدود، والتضاريس والمناخ، والمياه)، المنطقة الريفية التابعة لحيفا وأهميتها

2.1 الآراء التي دارت حول تسمية المدينة، والأسماء التي عرفت بها عبر التاريخ

3.1 حيفا في التاريخ القديم

4.1 حيفا في العصور الإسلامية وحتى الغزو الفرنجي

1.1 جغرافية حيفا: الموقع، والحدود، والتضاريس، والمناخ، والمياه والمنطقة الريفية التابعة لها:

شيدت حيفا في موقع مدينة سيكامينوم (Sycaminum) القديمة[1]، وهي واقعة عند خط عرض 49 ـ 32 شمالا، وخط الطول 35 شرقا. وتعد حيفا نقطة التقاء البحر المتوسط، بكل من السهل الساحلي وجبال الكرمل، مما جعلها نقطة عبور إجبارية للقوافل التجارية والقوات العسكرية والأفراد؛ لأن اتساع الساحل في هذه المنطقة يقل عن مائتي متر.

ويمتاز موقع حيفا بأهمية استراتيجية، بميزة سهولة الوصول إلى جميع النواحي، فمن الجنوب يؤدي السهل الساحلي إلى مدينة يافا، ومنها إلى جنوب فلسطين ومصر، ومن شمال حيفا يربط السهل الساحلي المدينة بعكا ومنها إلى الناقورة ولبنان، ومن الشرق يمنحها السهل المحصور بين جبال الكرمل الساحلية وهضاب الجليل ممر إلى سهل مرج ابن عامر، ومنه شرقا إلى الأردن[2]، ولذلك فإن حيفا تعد منفذا إلى البحر لسهل مرج ابن عامر الذي يشق جبال فلسطين الغربية [3].

وتمتاز حيفا بمينائها الطبيعي الآمن، الذي لا ترسو السفن في الموانىء الفلسطينية عند اشتداد الخطر في فصل الشتاء إلا فيه، وأشار الرحالة الفارسي ناصر خسرو إلى حيفا عند زيارته لفلسطين ووصفها بأنها " قرية تقع جنوب عكا في طريق يوجد به كثير من الرمل يستخدمه صباغ العجم والمسمى بالرمل الملكي المنتشر عند مصب نهر النعامين.. والذي يشكل خامة جيدة لتصنيع الزجاج" الذي احتكر اليهود صناعته في حيفا وباقي مدن فلسطين، ويبدو ان ناصر خسرو قد وص اليهود بالأعاجم[4]، وأضاف : " أن حيفا مشيدة على ساحل البحر وبها

---

(1) بورشارد: **وصف**، ص 38-39-97 صيقلي: **حيفا**، ص 27، اغبارية: **حيفا**، ص 19، Fetellus.op.cit.p. 48.

(2) اغبارية: **حيفا**، ص23، م**وسوعة المدن الفلسطينية**، ص 185-186، شراب: **معجم**، ص 307.

(3) كرمل: **تاريخ حيفا**، ص 21، الخطيب: **جغرافية**، ص40، خمار: **موسوعة فلسطين**، ص 97.

(4) خسرو: **سفر نامة**، ص 18، لي سترانج: **فلسطين**، ص 365.

نخيل و أشجار كثيرة "[1] ويوجد في حيفا عمال يصنعون جميع أنواع السفن البحرية، مما يشير إلى أنّها كانت مدينة اسلامية مزدهرة تحتوى على خيرات كثيرة وتوفر لسكانها فرص العمل في مجالات الزراعة والتجارة والصناعة[2].

وقد ازدهرت حيفا في نهاية العصر الفاطمي حتى غدت من المؤانىء العظيمة التي طمع الفرنجة في الاستيلاء عليها[3]، وتقع حيفا خلف نهر المقطع (نهر كيشون) من الناحية الجنوبية، وهي تعد من اشهر المدن الفلسطينية الساحلية القديمة الواقعة جنوب عكا والى الشمال من قيسارية[4]. وتعد نقطة التقاء السهل بالجبل بالبحر، وقد جعلها البحر ميناء تجاريا هاما، في حين جعلها السهل منطقة زراعية منتجة لجميع محاصيل البحر الأبيض المتوسط مع توافر المواد الخام اللازمة للصناعات القائمة فيها، كما ذكرها الشريف الإدريسي عندما زار فلسطين عام 549هـ/1154م، وقال بأنها " تقع تحت طرف الكرمل وهو طرف خارج في البحر وبها مرسى حسن لإرساء الأساطيل وغيرها"[5]، ووصفها ياقوت الحموي بأنها "عبارة عن حصن على ساحل الشام بقى في أيدي المسلمين إلى أن سقط في أيدي الفرنجة في عام 493هـ/1100م" وفي رأيه أنها فرضة طبريا[6].

وذكر الحاج الألماني بور شارد مدينة حيفا وجبل الكرمل في أكثر من موقع من رحلته، وحدد المسافة بين حيفا وعكا بأربعة فراسخ(12 ميل =22.176كم)،كما أشار إلى قلعة

---

(1) خسرو: المصدر نفسه، ص 53، **موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 192، الدباغ: **بلادنا**، جـ7، ق 2، ص 486-487.

(2) خسرو: المصدر نفسه، ص 18، لي سترانج: **فلسطين**، ص 365.

(3) العابدي: **الآثار**، ص 37،

(4) بورشارد: المصدر نفسه، ص 38.

(5) الادريسي: **نزهة**، جـ1، ص 365، انظر أيضا: الدباغ: **بلادنا**، جـ2، ق 2، ص 488، شراب: **معجم**، ص 47، **موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 192.

(6) الحموي: **معجم**، جـ2، ص 190، انظر أيضا: الدباغ: **بلادنا**، جـ7، ق 2، ص 488-489

عتليت (قلعة الحجاج)، الواقعة على بعد ثلاثة فراسخ (9 أميال) جنوب حيفا[1]. كما أشـار لهـا كتاب الروضتين في أخبار الدولتين أنها واقعة بين عكا شمالا وقيسارية جنوبا علـى سـاحل البحر في سفوح الكرمل الشمالي الغربي، وعلى الطرف الجنوبي لخليج عكا. ولها ميناء تجاري هام يربط بين يافا وغزة ومصر جنوبا، وعكا وصور ولبنان شمالا، وأصبحت محطة للقوافـل التجارية المارة على هذا الطريق[2]. وهكذا تربض حيفا عند السفح الـشمالي الغربـي لجبـل الكرمل، وتتوزع مناطقها العمرانية فوق مصطبة بحرية، يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين 50 م في الجزء الأدنى، ثم يتسلق البناء سفح الجبل حتى ارتفاع 546م في الجزء الأعلى، بينما يقدر الارتفاع عن سطح البحر في مركز المنطقة العمرانية للمدينة[3]، بحوالي 300م، أما حيفـا القديمة فكانت تجثم في الطرف الشمالي الغربي لخليج عكا. وكانت المستنقعات تنتشر باستمرار على طول سواحلها، نتيجة لضحالة المياه في المنطقة، الأمر الذي أدى إلى انتشار كثيـر مـن الأوبئة والأمراض[4]، التي كانت تفتك بسكان المدينة القديمة، وعلى الـرغم مـن أن المجـرى المائي المؤدي إلى حيفا كان أكثر عمقا من ميناء عكا، وكانت حافة جبل الكرمل تحميـه مـن الرياح الجنوبية الغربية، إلا انه كان يتعرض لخطر الرياح الشمالية، ولذلك كان ميناء حيفا غير مأمون في ذاك العصر[5].

ويسود حيفا ومنطقتها مناخ البحر المتوسط الحار الجاف صيفا، والدافئ الماطر شـتاء، ويبلغ متوسط درجة الحرارة السنوية 20-21 درجة مئوية، مراوحا بين 12 شتاء و28 صـيفا، ويبلغ المعدل السنوي للرطوبة 70 %، وهو مرتفع لوقوع المدينة على شاطئ البحـر، ويـزداد

---

(1) بور شارد: المصدر نفسه، ص 61-64. قسم بورشارد الأراضي المقدسة إلى أربعة اتجاهات، مركزها الرئيس عكا، وهي تحاكي الزوايا الأربعة للجنة، انظر:وصف الأرض المقدسة، ص 11-13، 161.* والفرسخ: هو مقيـاس إسـلامي قديم = ثلاثة أميال وهي تساوي 5544م. وكذلك ذكرها دانيال الراهب، **الرحلة**، ص 88-103.

(2) أبو شامة: **الروضتين**، جـ2، ص 88، انظر أيضا: الدباغ: **بلادنا**، جـ7، ق 2، ص 577.

(3) **موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 186.

(4) المرجع نفسه، ص 186-187.

(5) سايولف: **الرحلة**، Saewulf.pp. 8-9، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 21.

خلال فصل الشتاء ويتناقص خلال فصل الصيف[1]،ويتفاوت تأثير المناخ على أحياء حيفا، فالأحياء المرتفعة تتميز باعتدال درجات الحرارة فيها، وارتفاع كميات الأمطار السنوية التي تهطل عليها، أما الأحياء السفلى فأنها أقل اعتدالا وأقل أمطارا، وعلى الرغم من هذا التفاوت المناخي، فالمدينة عامة ذات مناخ متوسطي معتدل، كما أنها تتعرض لنوعين من الرياح هما:

(1) الرياح الشرقية والشمالية الشرقية (الخماسين)، والتي تتعرض لها المدينة في أوائل فصل الصيف،وتكون حارة وجافة في الوقت نفسه إلا أن نسيم البحر يعمل على التخفيف من أثرها على المدينة والمناطق المحيطة بها [2].

(2) الرياح العكسية الغربية في فصل الشتاء،هي الرياح التي تسبب سقوط الأمطار على حيفا وبقية مناطق الساحل الفلسطيني.

وتعد الأمطار المصدر الأساس للمياه في منطقة حيفا، حيث يتسرب جزء منها في باطن الأرض ويغذي الخزانات الجوفية التي تستغل مياهها على شكل ينابيع وأبار ارتوازية [3]، أما الجزء الأخر من مياه الأمطار، فيتجمع في أحواض التصريف المائي وينتقل عبر المجاري والأودية التي تنتهي غالبا إلى البحر، ويمكن الوصول إلى المياه الجوفية في منطقة حيفا على أعماق تتراوح بين 20 - 40 م، حسب بعده عن شاطئ البحر المتوسط.

وتتكون الأودية والأنهار في منطقة حيفا من مياه الينابيع، ويعد نهر المقطع (نهر حيفا)، أشهر أنهار المنطقة، وينبع من جبال الناصرة، وتتجمع مياهه من منطقة سهل مرج ابن عامر، ويصب في الشمال الشرقي من مدينة حيفا، وهناك مجموعة الأودية الفصلية، مثل وادي فلاح، ووادي المغارة، ونهر الدفلي، وجميعها أودية موسمية يقتصر جريان المياه فيها على فصل

([1]) موسوعة المدن، ص 189، **الموسوعة الفلسطينية**، جـ2، ص 299-300 إغبارية: **حيفا**، ص 24.

([2]) موسوعة المدن، ص189، **الموسوعة الفلسطينية**، جـ2، ص 300، إغبارية: المرجع نفسه، ص 24.

([3]) موسوعة المدن الفلسطينية، ص 189-190، عبد الحفيظ محمد: **نهر الأردن الخالد**، ص 48، الموسوعة الفلسطينية، جـ2، ص 299- 300، حسن إغبارية: المرجع نفسه، ص 24.

تساقط الأمطار ويعد الطريق الممتد على طول البحر العظيم من حيفا إلى يافا من أهم الطـرق، وتكثر فيه التباب والكثبان الرملية؛ مما يؤدي إلى صعوبة المسير والوصول إلى قيسارية [1].

وتشمل المنطقة الريفية التابعة لحيفا على العديد من القرى والجبال والوديان والأنهـار التـي تبرز أهمية المنطقة من عدة نواح، فهي تمثل عمقا إستراتيجيا لحيفا، كما أنها تسهم في الـدفاع عنها وقت الحاجة، فضلا عن أهميتها الاقتصادية، فهي تعتبر مركز الإنتاج الأساس الذي يزود مجتمع الإنتاج للمدينة بما تحتاجه من منتجات غذائية وزراعية.

أما جبل الكرمل الواقع بين حيفا والجزء الشمالي من سلسلة جبال نابلس، والممتد باتجـاه شمالا وغربا وجنوبا وشرقا فهو أصغر السلاسل الجبلية في هذه المنطقة[2]. وتمتد المسافة مـن كفر ناحوم الواقعة على دلتا نهر المقطع (نهر كيشون) إلى جبل الكرمل حوالي ستة فرستات.

([1]) يذكر الحاج الروسي دانيال الراهب عند وصوله إلى كيفا (حيفا) أنه زار جبل الكرمل القريب من حيفا والـذي تقـع عليه مغارة النبي، ومنها رحل إلى كفرناحوم داخل اقطاعية حيفا، وقد أشارت إليه المخطوطة التي تحمل الرمز R باسـم الياسيوس. Elisaeus ..(الترجمة الانجليزية)أنظر أيضا: بورشارد: المصدر نفسه، ص 105.

([2]) خمار: **موسوعة فلسطين الجغرافية**، ص 97. وجبل الكرمل يبعد عن عكا ثلاثة أميـال (5544م)، ولا يبعـد عـن البحر كثيرا، وتغطي قمته الأعشاب والأماكن الجميلة، وكان يوجد فوقه دير فائق الجمال، بني على شرف القديسة مـريم، وتقع مدينة حيفا على سفحه، وقد ظهرت جماعة رهبانية نسبت إلى جبل الكرمـل، وعرفـت باسـم جماعـة(الرهبـان الكرمليين)64 -63 .Cf. **Ludolph Von Suchems**,op.cit., pp ،. انظر أيضا البيـشاوي: **الممتلكـات**، ص 190، هامش 3، وقد حظي جبل الكرمل باهتمام المسيحيين على اختلاف طوائفهم، وحرص جمع غفير من الرهبان والزهاد على الإقامة والسكن على جبل الكرمل حتى اشتهر باسم جبل الحجاج، إثناء فترة الغزو الفرنجي الصليبي للأراضي المقدسـة، ويوجد على جبل الكرمل كنيسة القديسة حنه والدة السيد المسيح مريم العذراء، وكذلك يوجد على جبل الكرمل كهف النبي اليشع النبي الكريم وهو عند المسلمين اسم النبي اليأس، بورشارد: المصدر نفسه، ص 38. انظر أيـضا الحـاج دانيـال الراهب: **الرحلة**، 1106-1107 م، ص 87-88، هامش 3، ويوجد على جبل الكرمل كهف اليشع Elijah قـرب حيفـا وكان أحيانا يطلق على هذا الجبل النبي ايليا Eliyah وكهفه المشهور، والذي كان محل تقدير وتبجيل من جانـب اتبـاع الديانات الثلاث اليهود، والمسيحيين والمسلمين على السواء. انظر براور: **الاستيطان**، ص 223، ثيودريش: وصف، ص 122-123، وتغطي قمم جبل الكرمل الأعشاب والمناظر الجميلة والمناطق الأثرية. انظر: بور شارد: المصدر نفسه، ص 38، البيشاوي: **الممتلكات**، ص 190، هامش 31 وجبل الكرمل مشرف على حيفا، وكان عليه مسجد في الإسلام يعـرف باسم مسجد سعد الدولة، وتغطي قممه أشجار الزيتون والكروم. انظر، الحموي: **معجم**، جـ4، ص 317-456، ولمزيـد من التفاصيل انظر، Ludolph **Von Suchem**s.p. 63

وهذا الجبل مرتفع جدا ويبعد مسافة فرست[1] واحد عن البحر العظيم، ومن جبل الكرمل تمتد المسافة فرست واحد حتى كيفا Caipha (حيفا)[2] ولا تزيد أعلى قمة فيه عن خمـسمائة و ستة و أربعين مترا، ويحقق الجبل لحيفا حماية عسكرية ضد المهاجمين من الشمال والشرق أو الجنوب، وعلى راس جبل الكرمل تقع قرية عربية هي دالية الكرمل.

وهناك كفر ناحوم[3]، والتى كانت مدينة هامة وكثيرة السكان، ولكنّهـا مهجـورة الان، وهناك قرية تايميني Tymini التي تعرف باسم قرية جلجالةGalgala ، ويحدها من الـشمال الشرقي مدينة حيفا، ومن الجنوب قرية حنهAnne ، ومـن الـشمال الغربـي قريـة القـديس الياس(St- Elias) ويطلق عليها العرب اسم النبي إلياس. كما أقام فرسان الداوية [4] في بدايـة السيطرة الفرنجية قلعة أطلقوا عليها قلعة المقاطعة و(قلعة الضاحية)، وهي تتحكم فـي إحـدى

([1]) الفرست:مقياس روسي لقياس الأطوال ويعادل 3500 قـدم علـى وجـه التقريـب أي مـا يعـادل، 1166يـارد (1050م).ويتضح هنا أن الفرست يقابل مايزيد عن كيلو متر بقليل في المقاييس الحديثة.

([2]) دانيال: المصدر نفسه، ص 88، هامش رقم 1، ص 105.

وقال النبي عن كفر ناحوم، ويل لك يا كفر ناحوم سوف ترتفعين إلى السماء، ثم تنزلان إلى أعماق جهنم، وفي هذه المدينة سوف يظهر المسيح الدجال، ولهذا السبب هجرها الفرنجة. وتقع اسفل السفح الشمالي الغربي لجبل الكرمل وعلـى بعـد أربعة فراسخ (12 ميل) شمال حيفا. انظر الحاج دانيال الراهب: المصدر نفسه، ص 87-98.

وهناك كفر ناحوم أخرى تقع على شاطئ بحيرة طبريا، ذكرها وليم الصوري سنة 1182م، ومن قبل ذكرهـا فينـزوف Vinisaufسنة 1192م، كما ذكرها الفيتري سنة 1210م، ويحتمل أن يكون هذا الموقـع هـو خربـة الكنيـسة. Cf. Guerin. Y. C. samarie.pp. 279-282.Kh.. Keniseh.، وقرية كفر ناحوم الثانية تقع على شاطىء بحيرة طبريـا، وقد ذكرت في التلمود والأناجيل الأربعة، وكانت مقرا لإقامة سيدنا عيسى عليه السلام بعد خروجه من الناصرة، هنالـك اختلاف بين الباحثين في تعين موقع القرية. انظر: الطليتطلي: **الرحلة**، ص 43- 44- 94، هامش 3، وقد كانـت كفـر ناحوم شمال طبريا مركزا للجباية في العصر الروماني، انظر، الدباغ: **بلادنا**، جـ6، ق2، ص 309.

([3]) الداوية: تأسست هيئة فرسان الداوية عام 1118م على يد كل من هيو دي باينز Hugh de Payensوجـودفري دي سانت اومرGodfrey de St. Omer ، وقد قدم لهما الملك بلدوين الثاني جزءا من المسجد الاقصى الذي أطلـق عليـه الفرنج اسم معبد سليمان، وكانت مهمتهم حماية طرق الحجاج، وبعد تسع سنوات من تأسيسها تم المـصادقة عليهـا فـي اجتماع عقد في مدينة تروي Troyes في فرنسا. انظر: الصوري: المصدر نفسه، جـ1، ص 523- 528، رانـسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 156-159، عاشور: **الحركـة**، جـ1، ص 487-488، **Grousset**. vol.1. op. cit. p. 542.

([4]) غالبا ما كانت هذه الاودية ملجا وملاذا يختبئ به المقاومون المسلمون عندما كانوا ينزولون من البحر ويهاجمون المدن الخاضعة للسيطرة الفرنجية والواقعة على جبل الكرمل، انظر الطليطلي: **الرحلة**، ص 93-94، انظر مـاير: المرجـع نفسه، ص 355- 356، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 142.

أودية مدخل جبل الكرمل الواقعة شمال حيفا، والذي يمتد من شاطىء البحر غربا إلى الـشرق ومنها إلى مرج ابن عامر[1]، وهناك منطقة وادي فلاحDoustry جنوب حيفا والذي يتجه مـن الشرق إلى الغرب في الأراضي المنخفضة أسفل السفوح الجنوبية لجبل الكرمـل، وقـد أقـام الفرنجةالقلاع والحصون في هذه المنطقة لحماية قوافلهم مثل قلعة دوستري وقلعة عتليت (قلعـة الحجاج)، ومن قرى حيفا العربية اجزم، عين غزال، وداليه الكرمل قرب مار اليـاس، و كفـر قرع، و صبارين وعسفيا، وأم الزينات، وعرعره، ووادي عاره، والسنديانة وأبـو شوشـه والكفرين وغيرها من البلاد[2]. أما خربة رشميه فتقع في جنوب حيفا، وللغرب من النبي شعنان كانت تقام عليها قلعة بناها الفرنجة في العصور الوسطى وتحتوى الخربة على أنقـاض بنـاء مستطيل فيه برج، ومدافن منقورة في الصخر وصهاريج مياه[3]. ومن خلال الوثائق التي تعـود إلى دير جبل الكرمل، تؤكد أن تانكرد قام بمنح دير القديسة مريم[4] في وادي يهو شفاط قريـة ديجيجي Digegi وقرية حنّه Anne Cassale de[5] الواقعتين في حيفا على جبل الكرمل، وقد أغدق تانكرد المنح والإقطاعات على دير القديسة مريم في وادي يهو شفاط[6]، إذ منحة أيـضا

([1]) مرج ابن عامر: ويمتد هذا السهل من جنوب طبرية مرورا ببيسان ثم إلى مجدو ويعود إلى جبل طابور وبيت اوليا، ثم إلى طبرية، وقد ذكر بورشارد أن حقل مجدو ومرج بن عامر وسهل الجليل كلها شىء واحد ولكن جميع هـذه الأسـماء ألغيت وعموما تدعى اليوم باسم فابية (Faba) ويعرف ايضا باسم سهل اللجون ويبلغ طوله نحو عشر فراسخ (440. 55 كم = 30 ميل) اما عرضة فيبلغ سته فراسخ (144. 33 كم = 18 ميل) او اكثر، انظر بورشارد: المـصدر نفـسه، ص 98، Marino Sanuto s: **Seciets for the Crusaders to help them to recover the Holyland**

([2]) الحموي: **معجم**، جـ4، ص 456.

([3]) الوقائع الفلسطينية، ص 1551، الدباغ: **بلادنا**، جـ2، ق 2، ص 558.

([4]) دير القديسة ميريم في وادي يهو شفاط: كان في الاصل كنيسة بيزنطية، كما انه كان من أكثر الأديرة رخاء وغنى، إذ حصل على كثير من المنح والهبات في الاراضي المقدسة ةيقع بـالقرب مـن الكنيـسة الجثمانيـة Gethsemon CF. Benvenisti. M. op. cit. p. 73.

([5]) قرية حنا: وهي والدة القديسة مريم العذراء حنه Anne تقع في إقطاعية حيفا وعلى جبل الكرمل جنوب مدينة حيفـا، انظر البيشاوي: **الممتلكات**، ص 190، هامش 2.

([6]) يمتد هذا الوادي شرقي بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقا وجبل موريا غربا، وقد أطلـق عليـه المؤرخـون فـي العصور الوسطى وادي جهنم Jehenam ويعتبر جزء من وادي قدرون (Brook of Kidron) ويعرف بوادي يهو شفاط يعدة اسماء منها (وادي مريم، وادي النار، وادي سلوان).Cf. **William of Tyre**. op. cit. vol.1. p. 341.
انظر أيضا، Zevvi Lang. **Langed s of Jerusalem.**pp. 261- 266. مصطفى الدباغ: المرجع نفسه،جـ8، ق2، ص 15-17، وذكر بورشارد (أن وادي يهو شفاط يعتبر عميقا إلى حد ما، وهو يمر بالحد الشرقي من بيت المقدس عند سفح جبل الزيتون،.Cf. Burchard of Mount Sion. **A Description of Holy Land**.pp. 71- 72

قرية تايميني[1] والتى تغير اسمها إلى قرية جلجالة الواقعة على جبل الكرمل وهناك دلائل تعود إلى عام 532هـ/1138م، وعام 566هـ/1171م، أن دير بالميراKloster - palmareal ، كان جزءا من قرية بالميرا[2]، ومن هذا الاسم يفهم على الأغلب حتى اليوم أن بالميينهن Palmenheinتقع على دلتا كيشونKison - dalta ، وقد أهدى فيفيان سيد حيفا Vivianus [3]، في 558هـ/1163هـ، منطقة تقع بين مدينة حيفا وبالميرا Palmarea إلى كنيسة القيامة وفي 560هـ/1165م، وابنه باين Payen قرية في حدود إقطاعية حيفا لكنيسة القيامة، وقد قام الملك عموري بالتأكيد على هذه المنحة[4] وربما كانت هذه المنحة هي قرية بالميرا سالفة الذكر.

ومن المآخذ والعيوب على إقطاعية حيفا في هذه المرحلة أن إمكانية التوسع للشمال في المنطقة الحدودية الواقعة على نهر المقطع (نهر كيشونKison) والفاصل بين إقطاعية حيفا

([1]) قرية تايميني :Tymini وهي تعرف باسم قرية جلجالة Galgala وهي تقع في حدود إقطاعية حيفا والواقعة في أراضى جبل الكرمل ويحدها من الشمال الشرقي مدينة حيفا ومن الجنوب قرية حنا Anne ومن الشمال الغربي قرية القديس إلياس St-Elias ويطلق عليه المسلمون اسم النبي إلياس.
Rohricht. R., **Regesta.** Doc No 80, pp.18- 19, Beyer. G. op. cit.pp.183- 190-260
انظرCf. Also Ludolph. von. **Suchem**. S. p.p. 63- 64. Cf. Rohricht. R. Doc. No. 80-.p.p.18-19.
البيشاوي: **الممتلكات**، ص 190، وقد قام افريمار رئيس أساقفة قيسارية سنة 520هـ/1126م، بمنح رهبان دير القديسة مريم في وادي يهو شفاط عشر قرية تايمينيTymini والتي كان الأمير تانكرد قد منحها للدير إثناء حكمة لإمارة الجليل
. Ludolph.op. cit , pp. 63-64. Rohricht-R. op. cit.pp. 18-19
البيشاوي: **الممتلكات،** ص 190-191، 208.

([2]) قرية بالميرا Palmerea هي بلدة صليبية ظهرت في بداية العصر الصليبي في اقطاعية حيفا وموقعها غرب مدينة حيفا وفي عام 543هـ/24 يونيه 1148م، شهدت اجتماعا لهئية المحكمة العليا الصليبية ومجلس عرش بيت المقدس لمناقشة استرداد الرها من الزنكيين، الذي نجح عماد الدين بتحريرها واستردادها من الصليبيين في جمادى الآخرة 539هـ/20 ديسمبر 1144م، انظر ابن الأثير: **الكامل**، جـ11، ص 209، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 380-381، وحضر هذا الاجتماع الملكة ميلسند وابنها الملك بلدوين الثالث وباقي رجال الدين وبارونات وسادة المملكة اللاتينية في بيت المقدس وقادة الحملة الصليبية الثانية وملوك فرنسا وألمانيا، وغيرهم، واتخذوا قرارا بمهاجمة دمشق، انظر الشارترى: المصدر نفسه، ص 52، ابن القلانسي المصدر نفسه، ص 279-280، أبو شامة: **الروضتين**، جـ1، ص 36-37، وليم الصوري:المصدر نفسه، جـ2، ص 778، انظر عمران: **معالم،** ص 21، ماجد: **العلاقات**، ص 157.

([3]) فيفيان سيد حيفا :Vivian of Haifa ينتمي لإحدى الأسر النبيلة التي استقرت في الأراضي المقدسة منذ بداية الحكم الصليبي، وكان والده باين الأول سيدا لإقطاعية حيفا وفي سنة 533هـ/1138م، أصبح فيفيان نفسه سيدا للإقطاعية، وقد ظهر في كثير من الوثائق كشاهد على المنح التي قدمها الملك فولك والملك بلدوين الثالث، وكان فيفيان من أفصال الملك المقربين، .Cf. Rey , **Lesfamilles** p. 266انظر:البيشاوي: **الممتلكات**، ص 248.

([4]) .Genevieve.B.B Acte.No. 137.pp.268-269انظر البيشاوي: **الممتلكات**، ص 248.

ومنطقة عكا غير واردة، وأن الإمكانية واردة نحو الجنوب والجنوب الشرقي من خـلال جبـل الكرمل[1]، وقد ظهر هذا بشكل نهائي في معاهدة الهدنة المنعقدة في الخامس مـن ربيـع الأول سنة 682هـ/الأول من أغسطس 1283م، حيث حددت أملاك كل جانب والمناطق التابعة لـه، ونصت هذه المعاهدة أن يكون لمولانا السلطان من بلاد الكرمل من حيفـا خربـة المنـصورة وعسفيا، ودالية الكرمل، وباقي بلاد الكرمل داخل حيفا وهي ثلاثة عشر ناحية وقريـة تكـون للفرنج[2]، ومن المتوقع أيضا أن (حراميس) (Hrmies) الواقعة جنوب غرب اقطاعيـة حيفـا والتي ورد ذكرها في اتفاقية الصلح حرامس (خربة الحرمية) Casale - Aramos وهي تشكل السلسلة الجنوبية المنحدرة من جبل الكرمل تجاه الساحل الواقعة قرب بلاد والروحة [3]، كانـت حيفا تملكها في بداية تشكيل الإقطاعية، ولكن خربة الحرمية (حرامي) لم يرد ذكرها في اتفـاق الصلح ضمن القرى التابعة لإقطاعية حيفا عام 682هـ م /أغـسطس 1283م، ولكنهـا وردت كجزء متحالف مع عتليت. وهذا بحد ذاته يوضح لنا أن حراميس ومنذ سنة 630هـ ـ/1232م، قد اشتريت من قبل مالكها القديم يوحنا ابلين Johann von Iblin وضـمت لأرض المعبـد، وبهذا أصبحت أراضى منطقة حراميس تشكل طوق أمني حول قلعة عتليت من الجهة الـشمالية والشرقية.وهكذا منذ سنة 630هـ/1232م، أنّ حراميس فصلت عن إقطاعية حيفـا ولـم تعـد مرتبطة بها، و أصبحت تابعة لأملاك المعبد في عتليت Casatllum Peregimtum وهذا مـا تشير غليه الوثائق.

و قد أصبحت حيفا تتملك سبع قرى وسبع خرب فقط،بعد أنّ وقع المنـصور سـيف الـدين قلاوون معاهدة الصلح مع الفرنجة عام 682هـ ـ/ 1283م. وتمكـن الأشـرف خليـل بـن

([1]) Bayer. G. Akko und Galilaea pp. 183-286

([2]) المقريزي: **السلوك**، جـ1، ق3، ص 713، ابن الفرات: **تاريخ**، جـ7،ص 161، القلقشندي: **صـبح**، جـ ـ14، ص 51، Beyre.**Das Gebiet Gaedarea** ,pp.65- 66 انظر أيضا: زيد: **صـيدا**، ص 255-257 و ص 293-301، حسن عبد الوهاب: **قيسارية**، ص 231.

([3]) بلاد الروحة: هي الأرض المنخفضة كثيرة التلال، وتجدر الإشارة أليه أن حراميس (خربة الحرامية) لم يرد ذكرهـا في اتفاق الصلح ضمن القرى التابعة لإقطاعية حيفا، ولكنها وردت مـع عتليـت، Bayer Akko und. Galilaea.pp. .183. D. 60

قلاوون[1]، من طرد الفرنجة نهائيا من بلاد الشام بعـد أن فـتح عكـا وحيفـا وصـيدا عـام 690هـ/1291م.

2.1 لآراء التي دارت حول تسمية حيفا بهذا الاسم والأسماء التي عرفت بها عبر التاريخ:

تقع حيفا على ساحل البحر المتوسط، على السفح الشمالي لجبل الكرمل، وعلى الـشاطئ الجنوبي لخليج عكا، كما أنها واقعة على بعد ثلاثة أميال جنوب مصب نهر المقطع[2]، و يـرى البعض أن أصل الكلمة من حف بمعنى شاطئ[3]، بينما يرى ياقوت الحموي: أن اصل التـسمية مشتقة من لفظة الحيفا وهي الحيف أو المظلة والمحمية[4]، وقال هي حصن على ساحل الـشام وذلك لأن جبل الكرمل يحيط بها ويحميها ويظللها، وقد عرفت عبر التاريخ والعصور الـسابقة بأسماء متعددة ذات معانٍ مختلفة، ويعد العرب الكنعانيون هم أول من سكن منطقة حيفا، وهـم الذين شيدوا حيفا القديمة على بعد كيلو متر جنوب المدينة الحالية[5]، التي بقى مـن أثارهـا بعض المخلفات التي تدل على مكانتها وجذورها الكنعانية،و لعل أهمها بعض المـدافن الواقعـة

([1]) أبو الفداء: **المختصر**، جـ4، ص 23، المقريزي: **السلوك**، جـ1، ق3، ص 763-765، البيشاوي: **الممتلكـات**، ص 357، عبد الوهـاب: **قيـسارية**، ص 231، **Richard**.op. cit. vol. II.pp. 424- 428, **Stevenson**.op. cit., pp. 352- 355.

([2]) ثلاثة أميال = 5544 متر نهر المقطع: يصب في البحر الأبيض المتوسط شمال جبل الكرمل ويبعد عن حيفا ثلاثـة أميال، ويعرف أيضا بنهر حيفا، وعرفه الرومان باسم نهر باسيدا، وذكره الصليبيون باسمه القديم (نهر كيشون)، وهـو ثالث انهار فلسطين Rivus Pacide وطوله 13كم، ويتالف من مياه مرج ابن عامر التي تتجمع مع بعضها البعض فـي شمال شرق، تل المتسلم، ثم تتخذ مجراها سائرة ببطء ومتقطعة احيانا ومنها اسمه (نهر المقطع) ثم يجري نحو الـشمال الغربي إلى أن ينتهي جنوب خليج عكا على مسافة نحو أربعة كيلو مترات، وتجدر الاشارة إلى أن مجرى نهـر المقطـع ينقطع في فصل الصيف، لانه نهر موسمي تجري فيه الامطار في فصل الشتاء وعند مصبه تكثر المستنقعات التى تنتـشر فيها الحشرات مثل البعوض والذباب مما كان يؤدي إلى انتشار الأمراض والأوبئة وخاصة الملاريا، انظـر بورشـارد: المصدر نفسه، ص 38-39-97، انظر مي صيقلي: **حيفا العربية**، ص27، مصطفى مراد الـدباغ: **بلادنـا فلـسطين**، جـ1، ق 2، ص 29.

([3]) Cf. Fetellus. **Description of Jerusalem and The Holy Land**. p. 48

([4])ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، جـ4، ص 456، انظر ايضا أديب الخطيب: **جغرافية فلسطين**، ص 156. مصطفى الدباغ: **بلادنا فلسطين**، جـ7، ق2، ص 487

([5]) احمد فخري: **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، ص 35.

على سفح جبل الكرمل،إلى جانب اكتشاف بقايا هياكل بشرية في كهوف جبل الكرمـل[1]، وقـد بينت الأبحاث الأثرية التي أجريت في منطقة مغارة الـواد قـرب حيفا،فـضلا عـن الأدوات الحجرية والرسومات التي تم اكتشافها هناك أنها تعود في تاريخها إلـى فتـرة حـوالي ألـف وخمسمائة سنة قبل الميلاد[2]، وربما تكون بلدة (حث حيفر) الواردة في التوراة والواقعة على شاطئ البحر وبظاهرها جبل الكرمل، وفي منحدر هذا الجبل قبور كثيرة لليهـود، كمـا توجـد مقبرة لليهود علـى جبـل الكرمـل، كـان يهـود عكـا وحيفـا حتـى العـصر الـصليبي يستخدمونها[3]،وكذلك يوجد على جبل الكرمل الكهف الذي أوى إليه النبي اليأس، وكذلك بظاهر بلدة (حث حيفر) القديمة يوجد دير للنصارى يدعى دير القديس الياس، وعلى قمة الجبل أطلال المذابح التى ذكرها النبي الياس في زمن أخاب ملك إسرائيل، ويمر نهر كيشون (نهر المقطـع) أسفل الجبل، وعلى بعد أربعة فراسخ (12 ميلا) من الجبل تقع بلدة كفر ناحوم، وقد ورد ذكر حيفا في التلمود على صورة حيفة، ومعناها الفرضة والمرفأ[4]، كما وردت في التلمود باسم إيفا. سيكامينوم (Sycaminom) الواقعة في مكان تل السمك الحالي الذي يعلو البحـر عنـد حيفـا القديمة[5].

([1]) المرجع نفسه، ص 35-36، محمود العابدي: **الآثار الاسلامية في فلسطين والأردن**، ص 73.

([2]) ويذكر براور أن المقبرة اليهودية فوق جبل الكرمل، فيها قبور لرجال دين يهود، وفيها ايضا قبور سيدنا ابراهيم وابنه اسحاق ويعقوب عليهم السلام، رغم أن جميع المصادر التاريخية العربية والاجنبية تتفق على أن سيدنا ابراهيم واسـحاق ويعقوب عليهم السلام قد دفنوا في الخليل، ولا ادري من اين اتى براور بهذه المعلومة، Cf. Prawer. J.The Jewish. p. 253. وذكر يوشع براور أن النبي إبراهيم وابنه إسحاق مقبورين في المقبرة اليهودية فوق جبل الكرمـل، وفيهـا قبـور لرجال دين يهود .Cf.Prawer **,The Jewish** ,pp.199,253 Prawer. J. **The History** of Jewish.pp. 199-253.

([3]) أن دير القديس الياس كان مستديرا ويبلغ محيط قاعدته نحو اربع اذرع، انظر رحلة بنيامين، ص 93-94، هـامش رقم 3.

([4]) الفرضة: هي حيفا في التلمود وهي فرضة شهيرة على شواطئ فلسطين في سفح جبل الكرمل، كانت قـديما تـسمى مدينة الكرمل، ولم تعرف باسمها الحالي الا في القرن الأول للميلاد، وورد ذكرها في التلمود (قدوشـين) ص 33، امـا حث جفر الواردة في التوارة (2 ملوك 14: 25) فالمعتقد أنها القرية المعروفة بمزرعة المشهد على بعد ميلين من شـرقي صفورية، ص 92، هامش 3.

([5]) تل السمك: يقع على الساحل غربي حيفا و كانت بلدة سيكامينوم (Sycaminum) التي تقع جنوب راس الكرمل أيـام الحكم الروماني تقوم عليه المدينة، وتحتوى المنطقة على تل أنقاض أساسات أبنية وأرصـفة مرصوصـة بالفسيفـساء،

وعرفت حيفا أثناء الحكم اليوناني للمنطقة في القرن الرابع قبل الميلاد باسم إيفـا (Efa) وهي تعني حواء[1]،الذي ربما يعني المدينة الجميلة الجذابة، ويعتقد أن هذا التحليل صـحيح إذا ما نظرنا إلى موقع المدينة على شاطىء البحر وفي سفح جبل الكرمل الذي يزيـد مـن سـحر المدينة وجمالها.

وقد اطلق الرحالة الغربيون الذين زاروا فلسطين في بداية العصور الوسطى على المدينة اسم بورفيريا(Porfium)، لأنه كان يعتقد أن مدينة حيفا الواقعة على سفح جبل الكرمل، تقـع في موقع مدينة بورفيريا القديمة[2]، وهذا اعتقاد خاطىء، لان تلك المدينة كانت تقع على مسافة أبعد باتجاه الشمال، وهناك من يشير إلى أن (بور فيريا) القديمة تقع على بعد ثمانية أميال شمال مدينة صيدا، أما حيفا فأطلقوا عليها بور فيريا الجديدة للتفريق بينها وبين بـور فيريـا القديمـة الواقعة على الشاطئ اللبناني[3]. ولعل لفظة بور فيريا تعني الأرجوان أو المحار واللؤلؤ، الـذي استخرج من حلزون البحر في هذه المنطقة، وتعتبر حيفا مصدراً رئيـساً لـصناعة الإصـباغ البورفية[4]، وربما يوجد كميات كبيرة من الأصداف البحرية عند قاعدته، ومنها أيضا اسـتخرج الفينقيون لون الأرجوان القرمزي، كما ورد ذكر حيفا بأسماء مختلفة في الكتاب المقـدس منهـا اكشاف وكيفا (Caiphas) [5]، كما ورد في المخطوط الذي يحمل الرمز (F) وكيفا Kifa في

ومرسى سفن، ومقبرة منقورة في الصخر والى الشرق توجد آثار أساسات كنيسة أرضيتها مرصوفة بالفسيفساء، انظـر: **الوقائع الفلسطينية**، ص1500، الدباغ: **بلادنا**، جـ7، ق 2، ص 557-558.

([1]) اتفق الباحثون على أن الإنسان الذي عاش على مقربة من كهف الطابون على جبل الكرمل، كان حلقة بـين الإنـسان البدائي والإنسان الحالي، ولعل هذه هي مرحلة التطور الإنساني من النوع العتيق البائد إلى النوع الحديث، وقد أطلق على هذا الإنسان الأول في حيفا وجبل الكرمل اسم (إنسان فلسطين)، انظر: فخري:**دراسـات**، ص 35، ميخائيـل: **دراسـات**، جـ3، ص 33.

([2]) موسوعة المدن الفلسطينية، ص 185-186، شراب: **معجم**، ص 308، اغبارية: **حيفا**، ص 19-20.

([3]) Fetellus ,op. cit. p. 48 (Cf. Jaqcues de Vitry**. The History of Jerusalem**.p.4 وذكر وليم الصوري: أن جودفري البويوني منح تانكرد أمارة الجليل ومدينة حيفا التي تسمى بارفيريون وهي مدينة ساحلية على البحر الكبيـر مع جميع توابعها، وليم الصوري:المصدر نفسه، جـ1، ص 463.

([4]) انظر: صيقلي: **حيفا**، ص 26-27.Fetellus.op. cit. p. 49

([5]) الدباغ: المرجع نفسه، جـ7، ق 2، ص 535، شراب: المرجع نفسه، ص 308-309، اغبارية: المرجع نفسه، ص 19-20، **موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 185.

مخطوطات وكلامون(Klime)، والاسم كلامون هو ترجمة رومانية للتسمية العربيـة لحيفـا، وتعني الناحية أو الإقليم، وكان الصليبيون يطلقون عليها اسـم كيفـاس[(1)] (Cayphas) أحيانـا وأحيانا أخرى سيكامينوم (Sycaminom) وخيفس، وأطلق عليها الاسم نسبة للكـاهن الكبيـر خيفس من عهد السيد المسيح، كما ذكرها وليم الصوري، ضمن أربعة عشر مدينة تشكل منطقة فينيقية البحرية بدايتها جنوب مدينة حيفا[(2)] وذكرها بنيامين الطليطلـي الـذي زارهـا عـام 558هـ/1163م، باسم (جات حيفر)، وأطلق على سكانها اسم الأدوميين، وهناك رحالة آخر سماها حيفو.

وعلى الرغم من تعدد مسميات مدينة حيفا أو ظهور اسمها بعـده أشـكال ولغـات، إلا أن التسمية الدارجة والمتعارف عليها هي التسمية الإسلامية وهي حيفاHaifa))، التي درج العرب على استعمالها بلفظ واحد وثابت منذ فتحهم للمنطقة، وبقي الاسم دارجا حتى يومنا هذا.

3.1 حيفا في التاريخ القديم:

لم يستطع المؤرخون والباحثون تحديد الفترة الزمنية التي نشأت فيها مدينة حيفا، رغـم أن الأبحاث تشير إلى كون منطقة حيفا إحدى المناطق المهمة التي استوطنها الإنسان القديم وأقـام بها حضارته،بسبب موقعها الطبيعي المتميز، وقد بينت الأبحاث الأثرية التي أجريت في منطقـة مغارة الواد قرب حيفا، والأدوات الحجرية والرسومات التي تم اكتشافها هناك أنها من المـدن الفلسطينية التي أسسها الكنعانيون حوالي عام2000. ق.م[(3)]، وقد بينت الاكتشافات الأثريـة أن

([1]) كيفاس أو كيفا: (Caiphas)وذكرها الحاج الروسي دانيال الراهب بقوله: (ثم وصلنا إلى كيفـا أو كيفـاس(حيفـا)، وهناك زرنا جبل الكرمل الذي تقع فيه مغارة النبي أيليا النبي الكريم)،انظـر الرحلـة، ص87-88-105،، بورشـارد: **وصف الأرض المقدسة،** ص 38-39، وليم الصوري: المصدر نفسه، جـ1، ص 463، وذكرهـا باسـم بورفريـون والمعروفة أيضا باسم حيفا والتي تدعى باللغة العامية باسم كيفاس،الدباغ: المرجع نفسه، جـ7، ق 2، ص 536، اغبارية: المرجع نفسه، ص 19، خمار: **موسوعة،** ص 97.

([2]) وليم الصوري: المصدر نفسه، جـ3، ص 19، و أما المدن التي تقع في نطاق هذه الولاية من ناحية الجنوب مدينـة (بورفيريون) المعروفة أيضا بحيفا والمسماة في اللغة الدارجة كيفاس، وليم الصوري، ص19-20.

([3]) شراب: معجم، ص 115، الدباغ: **بلادنا،** جـ7، ق 2، ص 486-487، **موسـوعة المـدن،** ص 192، إغباريـة: المرجع نفسه، ص 19.

العرب الكنعانيين هم أول من استوطنوا منطقة حيفا وجبل الكرمل، كما أنهم شيدوا حيفا القديمة في المنطقة المعروفة اليوم باسم تل شكمونا الواقعة على بعد كيلو متر عن حيفا الحالية، وقد بقي من هذه المدينة القديمة بعض الآثار[1]، التي تدل على مكانها، منها مدافن في جبل الكرمل على شكل ثلاث قناطر.

وفي عهد الملك رمسيس 1191ق.م نشبت عند شواطئ حيفا معركـة بـين الفلـسطينيين والمصريين، امتلك الفلسطينيون بعدها الساحل من غزة إلى الجبل،. ولما استولى اليهود علـى جزء من فلسطين في عهد يوشع بن نون كانت حيفا من نصيب سبط منسي، وأصبحت تابعـة لحكم أشير أحد أسباط بني إسرائيل، بعد سقوط الحكم الكنعاني[2]، ويبدو أن حيفا خضعت لحكم الآشوريين خلال القرن الثامن، ق. م، و خضعت للحكم الفارسي عندما استولى الفـرس علـى فلسطين عام 538، ق. م[3]، وقد استمرت حيفا وبقية المدن الفلسطينية تحت الـسيادة الفارسـية نحو مائتي عام، حتى جاء الاسكندر المقدوني وقضى على الإمبراطوريـة الفارسـية واحتـل فلسطين في الثلث الأخير من القرن الرابع ق.م. وعلى وجـه التحديـد عـام 333. ق.م[4]، وبخضوع فلسطين للحكم اليوناني، أصبحت حيفا والمنطقة الريفية التابعة لهـا واقعـة تحـت سيطرة الاسكندر المقدوني، وبعد موته أصبحت فلسطين منطقة صراع بين خلفـاء الاسـكندر المقدوني، حيث تنازعها السلوقيون حكام الشام والبطالسة حكام مصر[5].

([1]) **موسوعة المدن**، ص 191، **الموسوعة الفلسطينية**، جـ2، ص 300.

([2]) **موسوعة المدن**، ص 191، **الموسوعة الفلسطينية**، جـ2، ص 300.

([3]) الدباغ: المرجع نفسه، جـ7، ق 2، ص 489.

([4]) أبو الفداء: **المختصر**، جـ1، ص 45، ابن الوردي: **تتمة المختصر**، جـ1، ص 47، انظر أيضاً: محمد كرد علـي: **خطط**، جـ1، ص 55، عارف العارف: **المسيحية**، ص 33-35.

([5]) استولى بطليموس الأول حاكم مصر على منطقة القدس وفينقية وقبرص، والمدن الساحلية في بلاد الـشام بمـا فيهـا حيفا،بينما استولى انطوخيوس Anticohos على صور ويافا وغزة وعندما شعر بطليموس أنه ليس باستطاعته محاربـة انطوخيوس، هدم معظم المدن الساحلية مثل يافا وعكا وحيفا كذلك السامرة وعاد إلى مصر، ولعل هذا يشير إلى أن بلاد الشام بما فيها فلسطين كانت خلال تلك الفترة في حالة من الفوضى والاضطربات السياسية والاقتصادية، ممـا أدى إلـى البؤس والفقر، انظر: محمد علي: **الخطط**، جـ1، ص 56-57، العبادي: المرجع نفسه، ص 34-37.

خضعت حيفا لحكم البطالسة، ولم تزودنا المصادر المعاصرة بمعلومـات ذات قيمـة عـن أوضاعها خلال تلك الفترة، ولكن المدينة بقيت تحت حكم البطالسة نحو أربعـين عامـاً، حتـى خضعت فلسطين للحكم الروماني على يد القائد بـومبي (بومبيـوس) عـام 64 -63.ق. م[1] وأصبحت حيفا عندها جزءا من الإمبراطورية الرومانية.

ارتبطت مدينة حيفا بعد ميلاد المسيح عليه السلام بعدة أحداث ومناسبات دينية جعلت لها مكانة خاصة، ويروى أن النبيين الياس واليشع علما تلاميذهما الديانة المسيحية في موقع يطلـق عليه اسم الخضر (مدرسة الأنبياء)[2] قرب الفنار الواقع بين تل السمك ورأس الكروم، والموقع بناء إسلامي قديم وسط حديقة كان يضم مسجدا فيه مغارة تضم كتابة يونانية. واشـتهر جبـل الكرمل أيام النبي الياس لانتصاره فوق قمته على أعدائه حيث قام بـذبح كهنـة بعـل [3]مـن الوثنيين، حتى أن بعض الناس يدعونه أحيانا باسم جبل مار الياس، ويذكر الإنجيـل أن الـسيد المسيح قد وطئ أرض حيفا وباركها حين مر مع السيدة مريم العذراء في طريقه من مصر إلى الناصرة، وكانت هذه الطريق تمر بحيفا القديمة، وتحاذي مقام سيدنا الخضر عليه السلام وتسير

([1]) بومبي: يعرف باسم كنايوس بومبيوس، وهو ينحدر من أسرة رومانية عريقة، كلف عام 76، ق. م، بالقـضاء علـى المتمردين في إنحاء إيطاليا، وقد تولى قيادة الجيش الروماني عام 66، ق. م، واستولى على سوريا وفلسطين عـام 63-64. ق. م، وقد انتخب قنصلا وحيدا عام 52. ق. م. ونشبت خلافات بينه وبين الإمبراطور يوليوس قيـصر، وانتهـي الأمر برحيل بومبي إلى مصر حيث اغتيل سنة 47، ق. م، عندما كان يريد النزول إلى البر، انظر الكسندر بترى: **مدخل إلى تاريخ**، ص 45-49، عارف العارف: **المفصل**، ص 23-40، العبادي: المرجـع نفـسه، ص 47-48-57، أمـين سلامة: **التاريخ**، ص 350-386-387.

([2]) بورشارد: المصدر نفسه، ص 38،

Albert dAix.pp. 521-523,**William of Tyre**.op.cit.vol.1.p.399.

الموسوعة الفلسطينية، جـ2، ص 300، **موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 192،

([3]) تذكر التوراة حدوث معجزة النبي اليشع مع المرأة الشونمية (نسبة إلى شونم) على جبل الكرمل، الملوك الثاني 4-8-31، وتقول الأساطير عاش النبي الياس في مغارة على هذا الجبل، وتقول الأسطورة انه كان يطعمـه غـراب، دانيـال الراهب: المصدر نفسه، 1106- 1107 م، ص 87-88، وقد ازدهرت حيفا حتى غدت من الموانئ العظيمة التي طمـع الفرنج في الاستيلاء عليها، انظر: محمود العابدي، **الآثار الإسلامية**، ص 37، **الموسوعة الفلسطينية**، جـ2، ص 300، انظر: **موسوع**ة **المدن الفلسطينية**، ص 192، .64 -63 .pp.**Ludolph von Suchems** .

مع شاطئ البحر أمام باب الكنيسة اللاتينية [1].ومر بحيفا بولس الرسول في رحلته الثالثة عـام 58م، قادما من عكا، وقد حفل جبل الكرمل منذ ظهور المسيحية بالنساك ومنهم القديس يعقـوب ناسك الكرمل.

وكانت حيفا في العهد البيزنطي تابعة لولاية فلسطين الأولـى Plestina Prima، التـي كانت تتألف من نابلس، وبيت المقدس والسهل الساحلي حتى جبل الكرمل[2] وخـضعت للحكـم الفارسي عام 611م، إذ تمكن القائد الفارسي شهر باراز[3] من الاستيلاء على المـدن الـسورية والفلسطينية، و دمر أسوار مدينة القدس، بمساعدة اليهود المقيمين داخل المدينة. ويبدو أن فترة خضوع بلاد الشام بما فيها فلسطين للحكم الفارسي لم تكن طويلة[4]، إذ جهز الإمبراطور هرقل 610 - 641م[5]، قواته وتوغل في الحدود الفارسية حتى وصل إلى مدينة نينـوى فـي شـهر كانون أول 627م، والتقى مع الجيش الفارسي في معركة كان النصر فيها حليفه، ولقـى فيهـا كسرى مصرعه وسعى خليفته إلى عقد الصلح مع الدولة البيزنطية، فأجابه البيزنطيون إلى ذلك،

([1]) انظر: قسطنطين خمار: **موسوعة فلسطين الجغرافية**، بيروت 1969، ص 97، **موسوعة المـدن الفلـسطينية**، ص 192، انظر مصطفى مراد الدباغ: **بلادنا فلسطين،** جـ7، ق 2، ص 486- 487، حسن إغبارية: المرجع نفسه، ص19.

([2]) انظر .Beyer Caesarea.p. 70 انظر الدباغ: المصدر نفسه، جـ1، ق 2، ص 662، وتجدر الإشارة إلى أن بـلاد الشام كانت مقسمة إلى سبعة أقسام إدارية أثناء الحكم البيزنطي، وذلك حوالي عام 400م، وهذه الأقسام الادارية عبارة عن ولايات Provincia وكان لكل ولاية رومانية Provincia حاكم يضع نائب أمير اللـواء، انظـر نورمان بيز الإمبراطورية الرومانية، ص 146، الدباغ: **بلادنا**، جـ1، ق2، ص 692،

([3]) شهر براز: قائد فارسي يدعى فرخان ماه اسفنديار، وتدعى مرتبته شهر براز، ولم يكن من أهل بيت المملكة، كانـت والدته منجبة، لا تلد الا نجيبا احضرها ابرويز كسرى لاستشارتها فيمن يرسل من أبنائها للقتال الـروم، فاشـارت عليـه بشهربراز لاتصافه بالحلم، فسار إلى الروم وخرب مدنهم وقطع أشجارهم، واستخدم الحيلة والدهاء في قتال هرقل حتـى جعله يرجع من المدائن إلى بلاده، قتل اردشير ملك الفرس وتولى مكانة أربعين يوما ثم قتل على يد ثلاثة أخوة من أهـل اصطخر. انظر الطبري: ص231، ابن الجوزي: **المنتظم**، جـ3، ص 349، ابن الأثير: **الكامـل**، جـ 1، ص 475-478-479-499،

([4]) العارف: **المفصل،** ص 30-31، رانسيمان، المرجع نفسه، جـ1، ص 25، الدباغ: **بلادنا**، جـ1، ق 2، ص 699، العريني: **الدولة البيزنطية**، ص 118

([5]) هرقل: ترجع أسرته إلى اصل ارميني تزوج من فابيا وانجب منها قسطنطين، الذي خلفه على الحكم، وتزوج من ابنة أخته ماريتا، مما أدى إلى إثارة الشعب والكنيسة عليه، وهو من اعظم أباطرة التاريخ البيزنطي، فهو الذي أوجد بيزنطـة في العصور الوسطى، ميزت عهده الحروب الطويلة الأمد مع بلاد فارس، العريني: المصدر نفسه و الصفحة، رانسيمان، المرجع نفسه، جـ1، ص 28-29،

وبهذا النصر عاد البيزنطيون يسيطرون على مدن فلسطين بما فيها المدن الساحلية ومن ضمنهاحيفا مرة أخرى، ولم تدم السيطرة البيزنطية على حيفا فترة طويلة، إذ خضعت حيفا في نهاية الأمر لحكم العرب المسلمين، الذين فتحوا بلاد الشام بما فيها فلسطين وثم مدينة حيفا، سلام عليك يا سوريا،سلام لا لقاء بعده[1].

4.1 حيفا في العصور الإسلامية حتى قدوم الفرنجة:

في مستهل صفر 13هـ/634م عقد الخليفة أبو بكر الصديق أربعة ألوية وجهها إلى بلاد الشام، وكان قائد لواء فلسطين عمرو بن العاص[2]، الذي يرجح أنه قام بفتح مدينة عكا في 15 هـ/636م، اعتمادا على انه هو الذي فتح غزة ويافا وسبسطية واللد ومعظم مدن فلسطين، غيرالقدس وقيسارية، وسيطر المسلمون على مدن الساحل الفلسطيني بما فيها حيفا والقطاع الريفي الذي يحيط بها في 19هـ/640م[3]، وقد خضعت فلسطين لبعض التغيرات الإدارية في بداية الحكم الإسلامي لها، وقد أبقى الحكام المسلمون على البناء الإداري كما كان في أواخر

([1]) ابن أعثم: **الفتوح**، جـ1، ص 140، ابن خياط، ص 119، الطبري: **تاريخ**، جـ3، ص 443-444، ابن الأثير: **الكامل**، جـ2، ص 498-499، وبعد معركة اليرموك غادر هرقل بلاد الشام عام 14هـ/635م أغسطس عام 635م، ركب هرقل البحر وقال وداعا يا سوريا، رانسيمان، جـ1، ص 33-34، Cf. Oxtrogorsky. p. 97 ,

*وهناك رواية أخرى تقول بأن هرقل قال عندما فتح المسلمون بلاد الشام مودعا:

*وسلام عليك يا سوريا،سلام لا لقاء بعده.

([2]) ذكر البلاذري أن سقوط قيسارية بيد المسلمين كان في سنة 19هـ/640م، رغم اختلاف الروايات بتحديد سقوط قيسارية وباقي مدن الساحل الفلسطيني منها حيفا، انظر البلاذري: **فتوح**، ص 140-141، الطبري: **تاريخ**، جـ3، ص 603-604، جـ4، ص 102، ابن عبد الحكم: **فتوح**، ص 192، الحموي: **معجم البلدان**، جـ4، ص 241-422، انظر أيضا، سالم، **تاريخ**، جـ2، ص 167-169، فتحي عثمان: **الحدود الاسلامية البيزنطية**، ص 304، محمد كرد علي: **خطط الشام**، ص 90.

([3]) الكورة: وهي مجموعة من قرى ومحال وجمعها كور، انظر ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، جـ5، ص 156، الزبيدي: **تاج العروس**، جـ14، ص 77، **المعجم الوسيط**، جـ2، ص 805، ويقصد بها أيضا أعمال المنطقة فإذا قلنا كورة فلسطين المقصود أي أعمالها، انظر ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، ص 355، ابن رسته: **الإعلاق النفيسة**، ص 328، الاصطخري: ص 43. وهناك من يشير إلى أن كلمة كورة ماخذوة عن الكلمة اليونانية (خورا Khora) بمعني الظهير الزراعي للمدينة، او المنطقة الريفية المحيطة بها. وقد عرفت مجموعة من الكور في فلسطين اهمها كورة قيسارية، وكورة بيت المقدس، وكورة بيسان، وكورة نابلس، وكورة يافا... الخ

الدولة البيزنطية، واقتصر التغير على أسماء المقاطعات وعواصمها، إذ أطلق المسلمون علـى فلسطينPalestina - Prima ، في النظام الإداري البيزنطي، اسم جند فلسطين الذي كان يشتمل على عدد من المدن الفلسطينية، مثل اللد، ونابلس، وسبسطية، وحيفا، وقد قسم المسلمون الجنـد إلى وحدات إدارية أصغر عرفت كل وحدة باسم الكورة[1]، وفي هذه الحقبة استقرت قبيلة جذام في حيفا والمنطقة المحيطة بها ؛ كما استقرت قبائل عربية أخرى في سهول فلسطين[2] وأقامت جماعة من بني مخزوم القرشية وغيرها من القبائل العربية مثل عـرب الـشقيرات والعلاقمـة وغيرهم في منطقة حيفا[3].

وكانت بلاد الشام وفلسطين مستقرة هادئة في عهد معاوية بن أبي سفيان، الذي تـوفى سـنة 60هـ/ 680م[4] وتولى ابنه يزيد أمر الخلافة من بعده، ما لبث أن انتـشر الفـساد وسـاءت الأحوال في جميع البلاد، وترتب على ذلك القضاء على الدولة الأموية قـضاء تامـا، فـي 27 جمادى الآخرة عام 132هـ/9 فبراير 750م[5]، ثم خضعت فلسطين وحيفا للخلافة العباسـية، وقد شهدت بلاد الشام وفلسطين الكثير من الأحداث وآلت البلاد لحكم الدولة الطولونية، ثم عادت بلاد الشام بما فيها حيفا إلى حظيرة الدولة العباسية سنة 292هـ/935م[6]، ثم آلت فلسطين إلى

([1]) انظر: سعيد البيشاوي: **نابلس**، ص 40- 41، مصطفى الدباغ: **بلادنا فلسطين**، جـ1، ص 62، Cf. Beyer , das Gebiet der Caesarea ,p. 70.

([2]) معجم ما استعجم، جـ1، ص 289، ياقوت الحموي: **معجم**، جـ4، ص 456، مصطفى الدباغ: **بلادنـا فلـسطين**، جـ7، ق 2، ص 484.

([3])البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 144-145، أبو الفداء: **تقويم البلدان**، ص 160، النويري: **نهاية الأرب**، جـ19، ص 175، ياقوت الحموي: **معجم**، جـ4، ص 456-457، مصطفى الدباغ: المرجع نفسه، جـ1، ق 1، ص 54-55.

([4])علي: **خطط الشام**، جـ1، ص 101، سعيد البيشاوي: **نابلس**، ص 41.

([5]) بويع يزيد بن معاوية بالخلافة في رجب سنة 60هـ/680م، انظر الطبري: **تاريخ الرسـل**، جـ5، ص 60، وتـم القضاء على الخلافة الأموية نهائيا 132هـ/750م، وبويع أبو العباس السفاح بالخلافة، انظر ابن الأثير: **الكامل**، جـ5، ص 403- 424.

([6])أبو الفداء: **المختصر**، جـ2، ص 53، ابن الأثير: **الكامل**، جـ7، ص 535-536.

محمد كرد علي: **خطط**، جـ1، ص 101، توفى احمد بن طولون سنة 270هـ/884م، وكانت إمارته نحو ست وعشرين سنة، وكان حازما عاقلا، انظر بعودة فلسطين إلى الدولة العباسية. أبو الفداء: **المختصر**، جـ2، ص 60.

حكم الاخشديين سنة 323هـ/935م، الذي امتد حكمهم لحيفا وفلسطين حتى أواخر سنة 359هـ/971م[1]. وهو تاريخ خروج الحملة الفاطمية إلى الشام.

على أية حال فقد آلت بلاد الشام وفلسطين وما يحيط بها من أراض وريفها للفاطميين، وقطعت الخطبة للعباسيين في تلك البلاد، وأقيمت للخلفية الفاطمي، ومن المرجح أن قسما من سكان فلسطين بما فيها حيفا قد اعتنقوا المذهب الشيعي، وقد أشار المقدسي البشاري إلى ذلك بقوله: " وأهل طبريا ونصف نابلس والقدس وأكثر عمان شيعة "، ويفهم من كلامه أن المذهب الشيعي كان منتشراً في فلسطين إلى جانب المذهب السني، إلا أننا نرجح أن فئة قليلة من سكان فلسطين اتبعته[2] وقد امتدت السيطرة الفاطمية في فلسطين بما فيها حيفا ما يزيد على قرن من الزمن حتى تمكن الأتراك السلاجقة من بسط سيطرتهم على المنطقة الشام بوساطة اتسز ابن أوق الخوارزمي[3]، أحد اكبر قادة السلطان ألب أرسلان السلجوقي[4]،الذي فرض سيطرته على

([1]) ابن الأثير: **الكامل**، جـ8، ص 591، أبو الفداء: المصدر نفسه، جـ2، ص 109، انظر أيضا النخيلي: **فتح**، ص 249، البيشاوي: **نابلس**، ص 42.

([2]) ابن ميسر: **تاريخ** ، جـ2، ص 38، ابن الأثير: **الكامل**، جـ10، ص 382، أبو الفداء: **المختصر**، جـ2، ص 109.

([3]) اتسز بن أوق الخوارزمي أو التركماني، ذكرته بعض المصادر باسم الاقسيس أو أقز، كان مقدما للأتراك الغز في بلاد الشام، فضلا عن كونه أحد قادة السلطان السلجوقي الب ارسلان، وقد استولى على معظم المدن الفلسطينية بما فيها حيفا وإقليم الجليل سنة 463هـ/1075 م. وكان اتسز حاكما دمويا متسلطا ظالما،، غزامصر وفشل في غزوته، وقتل شقيقه في المعركة وعندما عاد إلى فلسطين وجد ان سكان بيت المقدس قد أغلقوا أبواب المدينة في وجهه فحاصرها ودخلها عنوة، وقتل أعداداً كبيرة من سكانها وبعد فترة قام تاج الدولة تتش بقتله، انظر ابن القلانسي: ذيل، ص 98-99، ابن عساكر: **تهذيب تاريخ دمشق**، جـ2، ص 194، ابن الأثير: **الكامل**، جـ10، ص 68-111، انظر النويري: **نهاية**، جـ26، ص 316- 317، أبو الفداء: **المختصر**، جـ2، ص 188-189، الحسيني: **اخبار الدولة السلجوقية**، ص 149، سعيد البيشاوي: **نابلس**، ص 43، Cahen, Alp Arslans vol. 2.pp. 240-241.

([4]) ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق والب ارسلان في التركية تعني الأسد الهمام أو الباسل ملك البلاد بعد ابيه، استقر في السلطة حين توفى عمه عام 455هـ/1062م، وهو اول من ذكر على منابر بغداد بعد السلطان، ملك حلب في 463هـ/1070م، وقد اتصف بالعدل والأنصاف وحسن السيرة، انتصر على الدولة البيزنطية في معركة ملاذ كرد (مانزكرت) قرب خلاط في عام 465هـ/1071م، وتوفى يوم السبت أواخر شهر ربيع الأول 465هـ/4 كانون اول 1072م، انظر: ابن الجوزي: **المنتظم**، جـ8، ص260-262، ابن الأثير: **الكامل**، جـ10، ص 65-67، الحسيني: المصدر نفسه، ص 107-109، البيشاوي: **نابلس**، ص 43، Cf. Gahen. Alparslan. vol. 2..p. 240

جميع المدن الفلسطينية والمنطقة المحيطة بها، باستثناء مدينة عسقلان[1]، وقد نجح أخيـرا فـي بسط سيطرته على دمشق عام 468هـ/1076م، وذلك تنفيذا للسياسة الخارجية للسلاجقة الرامية إلى إخراج الفاطميين من بلاد الشام[2]، وكرد فعل لانتزاع بلاد الشام وفلسطين من الفـاطميين. ولمحاولة اتسز غزو الديار المصرية، أرسل الفاطميون قائدهم ناصر الدولة الجيوشي[3]، الـذي تمكن من استعادة بيت المقدس من السلاجقة سنة 469هـ/1077م، وتمكن القائد الفاطمي مـن الاستيلاء على أعمال دمشق وأعمال فلسطين، ولكن عندما علم الفاطميون بقدوم تاج الدولة إلى دمشق لمساعدة اتسز رحلوا عنها إلى الساحل وعسكروا عند حيفا وعكا[4]، ولكن تاج الدولة قام بقتل اتسز وأصبحت فلسطين تحت سيطرته، ومهما يكن من أمر فقـد اسـتمر الـصراع بـين السلاجقة والفاطميين، بالرغم من استعادة الأسطول الفاطمي لمعظم سواحل الشام حتـى مدينـة جبيل شمالا سنة 482هـ/1089م[5]. غير أن المناطق الداخلية في فلسطين والشام بقيت بأيـدي السلاجقة وحلفائهم من أمراء العرب أو أمراء التركمان[6]ويبـدو أن أحـوال حيفـا والمنطقـة

([1]) ابن القلانسي: **ذيل،** ص 98-99، أبو الفداء: **المختصر،** جـ2، ص 187، النويري: **نهاية الارب،** جـ26، ص 316، ابن الوردي: **تتمة،** جـ1، ص 563، ابن تغري بردي: **النجوم،** جـ5، ص 87، Cf. Stevenson. vol. I. p. 292.

([2]) ابن الأثير: **الكامل،** جـ10، ص 68، ابن العبري: **تاريخ مختصر الدول،** ص 192، الذهبي: **العبر،** جـ3، ص 66، انظر ايضاالبيشاوي: **نابلس،** ص 44.Cf. Also. Benvenisti. vol. I. p. 293..

([3]) ناصر الدولة الجيوشي: هو أحد القادة الفاطميين الذين اعتمد عليهم أمير الجيوش بدر الجمـالي مـن اجـل اسـتعادة المناطق التى استولى عليها السلاجقة من الفاطميين، انظر ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 120، وقـد ذكـر ابـن الأثير: الكامل في التاريخ، باسم نصر الدولة، وأشار إلى انه حاصر دمشق عندما تحصن بها اتسز، وعندما علـم نـصر الدولة بقدوم نجدة سلجوقية لاتسز غادر المنقطة سريعا، انظر، ابن الأثير: **الكامل،** جـ10، ص111، وذكر ابـن تغـري بردي انه توجه إلى الشام سنة 482هـ ـ/1089م، واسـتولى علـى صـور وصـيدا وحيفـا وعكـا.انظـر:**النجـوم الزاهرة،**جـ5،ص128، المقريزي: **اتعاظ الحنفا،** جـ2، ص 326، البيشاوي: **نابلس،** ص 44.

([4]) ابن الوردي: **تتمة،** جـ1، ص 571، ابن خلدون: **تاريخ،** جـ5، ص 5، اليافعي: **مرآة،** جـ3، ص100، البيشاوي: **نابلس،** ص 44-45.

([5]) جبيل: كانت تعرف باسم Kupna عند المصريين، وهذا اسم غير سامي، حوله الفنيقيون بعد احتلالهم إلى جبلة، وبقى اسمها السامى جبيل، واسم المدينة اليوناني (بيبلوس) الذي اصبح يعني كتاب، وأشار جاردنر Gardiner إلـى ان اسـم المدينة بالوثائق المصرية جبلة،Cf. Encient Egyptien (Jublu) Onomastica. vol. I.p. 1 .

([6]) كانت بيت المقدس على سبيل المثال في يد سقمان وايلغازي ابنيّ ارتق التركماني، انظر، ابن الأثير: **الكامل،** جـ10، ص 283،

المحيطة بها كانت هادئة خلال الفترة التي خضعت فيها المدينة للحكم الفاطمي(1) ولم تزودنا المصادر المعاصرة بأي معلومات تفيد تعرض حيفا لأحداث هامة، وبقيت حيفا خاضعة للحكم الفاطمي(2) حتى قدوم الفرنجة الصليبيين ومحاصرتهم للمدينة عام 493هـ/1100م، وعلى أية حال ظل الصراع قائما بين الفاطميين والسلاجقة، فقد تحمس الفاطميون لمد نفوذهم في بلاد الشام على حساب السلاجقة والخلافة العباسية، على حين نشط السلاجقة لطرد الفاطميين من هذه البلاد(3)، ومما لا شك فيه أن اضمحلال الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في القاهرة، وتنازعهما جاء نكبة على المسلمين بعامة والقوى الإسلامية بخاصة، في الوقت الذي كان أولى بالخلافة الإسلامية أن تتطلع إلى جمع الكلمة وتوحيد الشمل بدل الفرقة، والتنافر(4) وإضافة إلى ذلك انقسم السلاجقة على أنفسهم وقتذاك وقامت الحروب بينهم، من اجل مصالحهم الشخصية وبسط نفوذهم على مدن بعضهم البعض(5)، وكان لهذه الحروب اثر كبير في الشرق الإسلامي، إذ ألقته في محنة كبيرة، أدت إلى تفكيك القوى الإسلامية وضعفها، وسهل ذلك

---

(1) ابن ايبك: **كنز الدرر**، جـ6، ص 449، الذهبي: **دول الإسلام**، جـ2، ص 20، أبو الفداء: **المختصر**، جـ2، ص 211، ابن الأثير: **الكامل**، جـ10، ص 283،

Cf. also, Duggan **The Story of the Crusades** p. VI.Smail. TheCrusaders.p. 214.

(2) ابن الأثير: **الكامل**، جـ10، ص283، النويري: **نهاية**، جـ26، ص 316-317، ابن ايبك: **كنز**، جـ6، ص 449، انظر أيضا رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 376، عاشور: **شخصية**، ص 16-22، فهيم: **يافا**، ص 50، Cf. Also Duggan. A. op.cit..p. 71. Smail.op. cit. p. 214.

وقد بسط الفاطميون سيطرتهم على فلسطين في صيف 491هـ/1098م، وتمكنوا من طرد السلاجقة من هذه البلاد، وساعدهم على ذلك انشغال السلاجقة بصد الهجوم الفرنجي في شمال بلاد الشام، وهكذا تمكن الفاطميون من مد حدودهم حتى نهر الكلب شمالا قرب بيروت، ومجرى نهر الأردن شرقا وبذلك تكون فلسطين قد خضعت كاملة لسيطرتهم، انظر ابن القلانسي: المصدر نفسه، ص 135-136، ابن الأثير: **الكامل**، جـ10، ص 283، ابن ايبك: المصدر نفسه، جـ6، ص 449، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، جـ 2، ص 22.

(3) العارف: **المفصل**، ص 144، البيشاوي: **نابلس**، ص 44-45.

(4) الشيخ: **الجهاد**، ص 37، البيشاوي: **نابلس**، ص 45.

(5) كان السلاجقة قد انقسموا على أنفسهم ونشبت الحروب الدامية بينهم فقد اندلع الصراع بين سليمان بن قتلمش وتاج الدولة تتش، وانتهى الأمر بمقتل سليمان في 479هـ/1086م، ثم نشب صراع آخر بين بركياروق ابن ملك شاه وبين عمه تاج الدولة تتش، وانتهى الأمر بمقتل تاج الدولة 488هـ/1096 م، وكذلك نشب صراع جديد بين أبناء تتش رضوان ودقاق. انظر، ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص 147- 245-246-269-275، أبو الفداء: المختصر، جـ3، ص 8، الذهبي: **دول الإسلام**، جـ2، ص16-19، العيني: **عقد**، ص 176-177، الذهبي: **العبر**، جـ3، ص293-319-321، البيشاوي: **نابلس**، ص 45.

للصليبيين مهمتهم في الحملة الصليبية الأولى فقد استفادوا من الصراع الناشب بـين الـسلاجقة والفاطميين، وبين السلاجقة بعضهم والبعض الأخر، وما ترتـب علـى ذلـك مـن الفوضـى والاضمحلال في بلاد الشام، فاحتلوا البلاد الإسلامية دون مقاومة تذكر.و على أية حال تمكـن الصليبيون من احتلال سواحل بلاد الشام ثم اتجهوا نحو مدينة الرملة، ومنها إلى بيت المقـدس، ووصلت طلائع القوات الصليبية أمام أسوار بيت المقدس في 15 رجب سنة 492هـ/7 يونيـه 1099م[1].

([1]) ابن الأثير: **الكامل**، جـ10، ص 272-283، مجهول: **أعمال الفرنجة**، ص 69-70، 104-114،105.

الفصل الثاني

حيفا في ظل السيطرة الفرنجية

(493هـ/1100م)

1.2 حصار الفرنجة لمدينة حيفا عام 493هـ/1100م.

2.2 أوضاع أهالي مدينة حيفا أثناء الحصار الفرنجي للمدينة (493هـ/ 1100م).

3.2 استيلاء الفرنجة على مدينة حيفا وتبعيتها للأمير تانكرد.

4.2 الصراع بين تانكرد والملك بلدوين الأول.

5.2 نظام الحكم الاقطاعي في حيفا وغيرها من المدن التي خضعت للسيطرة الفرنجية.

6.2 جهود اقطاعية حيفا في دعم المجهود العسكري والمؤسسات الدينية.

1.2 حصار الفرنجة لمدينة حيفا عام 493هـ /1100م

بعد الاستيلاء على المدينة المقدسة بثمانية أيام أي في الأول من رمضان 492 هـ/22 تموز 1099م، اجتمع قادة الفرنجة لانتخاب رجل منهم لحكم بيت المقدس، وبعد مشاورات تـم انتخاب الدوق جودفري البويوني Goudafry of Bouillon [1]، كما تم فـي اجتمـاع آخـر انتخاب ارنولف مالكورون Arnolf Molcorn [2]، بطريركا على بيت المقدس في الأول مـن أب 1099م[3] وفيما كانت ترسى دعائم الدولة الوليدة تابع، القادة الفرنجة توسيع ممتلكاتهم بضم نابلس التي قام أهلها بإرسال وفد إلى جودفري البويوني يدعونه لتسلم المدينة دون قتال، فكـان أن أرسل تانكرد وأخيه يوستاش البويوني Eustace of Bouillon [4] لاستلام المدينة وأدخلها في حوزة الفرنجة وذلك في أوائل رمضان 492وهـ/ أواخر تموز 1099م[5]، بعد أن اصـبح جودفري البويوني اول حاكم لاتيني لبيت المقدس وحامي القبر المقدس، أصبحت المهمة الملقـاة عليه شاقة وعسيرة، ففي الداخل كان عليه أن يؤمن حدوده سواء مع السلاجقة بالـشام أو مـع

([1]) جودفري البويوني Goudafry of Bouillon: كان يعرف بدوق اللورين السفلى ولد في شهر جمادى الأولـى سـنة 450هـ/تموز سنة 1058م، وهو ابن الكونت يوستاش وكانت والدته ادا Ida تتمتع بشخصية بارزة وتنتمي إلى عائلـة عريقة النسب في الغرب الاوروبي وكان الدوق اللورين بدون اولاد فتبنى ابن اخته جودفري ليكون ابنا له وفي حالة وفاته فان جودفري يتولى عرش الدوقية وكان اخت جودفري ماتلدا Matilda متزوجة من الملك ستيفين Stephen ملك إنجلترا الشهير. Cf John of Wurzburg: p.41. Cf also.**Besant and palmer**: Jerusalem. p. 213 ..

([2]) ارنولف مالكورون: كان معلما خصوصيا لسيسليا (Cecilia). ابنه وليم الفاتح، وكان مرافقا لروبرت النورماني، وقـد اشترك في الحملة الاولى بصحبة اودو اوف بوى شقيق وليم الفاتح وكان ارنولف، لا يزال شماسا مساعدا، وكانت حياتـه غير ثابتة وعلاقته الغرامية موضعا للاغاني بين الفرنجة.انظر:الصوري: **الاعمال**،جـ1، ص445 .

([3]) مجهول: **اعمال**.ص120، الصوري. المصدر نفسه، جـ1. ص446.

([4]) يوستاش البويوني Eustace of Bouillon: هو الأخ الأكبر للأمير جودفرى، ويدعى باسم والده، وقـد شـارك فـي الحملة الاولى واسهم مع تانكرد في الاستيلاء على نابلس وقد عاد الى بلاده بعد انتهاء الحملة الاولى. انظر: الـصورى: **الأعمال**، جـ1،ص 451. اما تانكرد: ينتمي هذا الأمير تانكرد لعائلة شهيرة، فوالده الماركيز اودوا بونز Odo Bouns ووالدته هي ايما Emma ابنة روبرت جويبسكار، واستطاع هذا الأمير ان يكون بحق اشهر من اخواله، الـذين حققـوا مجدا عسكريا كبيرا في اوروبا، ويرى راؤول ان ثراء عائلة لم يكن ليغريه، فلم يكن مبذرا، ولم يثرى سلطان عائلته فـي نفسه نوازع التعالي، وقد فاق اقرانه في استخدام السلاح وبز الشيوخ في رزانته ووقاره، وتجلت علامات شـجاعته بـين الجميع، لانه كان جنديا على درجة عالية من الكفاءة، فقد عمل في خدمة جودفرى رغم ان الثروات كانت تفيض بين يديه، ومع ذلك فقد وصفته الاميرة كومنينا بانه كان صاحب إطماع في مـا يملكـه الاخـرون. Raoul de Caen. P. 605. Comnena. Alexiad P.340

([5]) مجهول،**اعمال**.ص120، انظر ايضا:البيشاوي: **نابلس**.ص121.

الفاطميين، كما كان عليه أيضا تأمين خطوط إمداداته مع الغرب الأوروبي، الذي كان شـريان الحياة بالنسبة للفرنجة في الشرق، ولن يتأتى له ذلك الا عن طريق استيلائه على مدن الـساحل الفلسطيني، لان الفرنجة لم يبسطوا سيطرتهم الا على ميناء يافا، الذي كان الأسطول الجنوي قد نجح في الاستيلاء عليه في 24 رجب 492هـ/منتصف يونيه 1099م، وذلك قبل شهر واحـد تقريبا من سقوط بيت المقدس والى جانب ذلك خاض الفرنجة معركة عسقلان ضـد الفـاطميين وانتصروا فيها عام 492هـ/10 آب عام 1099م،[1] ...ترتب على ذلك نتائج بالغة الأهمية، إذ أدى انتصارهم في عسقلان إلى تثبيت أقدامهم في الأراضي المقدسة، ومنحهم مزيدا من القـوة والثقة بالنفس كانوا في أمس الحاجة إليها[2]، وأصبحت المدن الـساحلية الفلـسطينية مفتوحـة أمامهم، وكان من ضمن هذه المدن بالطبع مدينة حيفا، ونظرا لتطلع تانكرد لإقامة إمارة خاصة به تُرضى طموحه وتتناسب مع إسهاماته في الحركة الفرنجية[3]، فقد تطلع إلى الجليـل بمدنـه الهامة مثل طبرية وبيسان والناصرة،ليشكل الإمارة المرتقبة[4] ولا بد وانه فاتح جودفري في هذا الأمر عقب الانتصار في عسقلان.

وبعد أن اطمأن الصليبيون للأوضاع العسكرية في الجنوب أي (من جانـب الفـاطميين)، طلب جودفري البويوني من تانكردالزحف إلى الجليل ليكون إقطاعا خاصا به[5] وكـان الـدافع

([1])ابن القلانسي: **ذيل**، ص137، ابن ميسر: أخبار، جـ2،ص 39، ابن الأثير: **الكامـل**، جـ ـ10، ص 190. مجهـول: **أعمال**، ص120- 123، الصوري، **أعمال**، جـ 1، ص459 .
Fulcher of Charter op.cit P. 125.

([2]) لرافعي و عاشور، **مصر**، ص 34.211 Stevenson. **The Crusaders** p.

([3])Prawer. The Latin. p.64 انظر ايضا: البيشاوي، **نابلس**، ص48- 49

([4]) Prawer. J. op. cit. P. 64. رانسيمان المرجع نفسه، جـ1، ص429، البيشاوي، **نابلس**، ص49.

*مدينة بيسان: ذكرها ابو الفداء انها مدينة صغيرة بلا اسوار ذات بساتين وانهار واعين، وهى واقعة على الجانب الغربي من الغور، وهى كثيرة الخصب، انظر ابن الفقيه: تقويم البلدان، ص243، وتبعد بيسان عن نـابلس حوالى 76 كيلو متر، طوطح وخورى: **جغرافية فلسطين**، ص74.

* الناصرة: تقع على بعد نحو 70 ميلا (141 كيلو متر) شمال بيت المقدس انظر: الدباغ: **بلادنـا**،جـ ـ1، ق21، ص 170. وذكرها القزويني انها مدينة بالقرب من طبرية، وقيل ان اسم النصارى مشتق منها. انظر: القزوينـي: **اثـار**، ص 277.

([5])Prawer. J. op.cit. p.64.

وراء اختيار الفرنجة للتوسع في الجليل ما يمثله هذا الإقليم من عمق استراتيجي للكيان الفرنجي الناشئ في بيت المقدس، إضافة إلى ما يتمتـع بـه الإقلـيم مـن ثـروة اقتـصادية ومـوارد طبيعية[1]،كان الفرنجة بأمس الحاجة إليها لترسيخ كيانهم الناشئ ودعمه، إضافة إلـى الطمـوح الشخصي للأمير تانكرد،الذي اتخذ من مدينة نابلس قاعدة لانطلاقه إلى إقليم الجليل، حيث اعـد قواته ونظم جيشه وزحف على مدن الجليل الهامة[2] التي تم الاسـتيلاء عليهـا، دون مقاومـة تذكر،وقام بطرد المسلمين من هذا الإقليم، وهكذا تهيأت الظروف أمام تانكرد لإنشاء إمارة فـي الجليل شمال فلسطين[3] ثم قام تانكرد بغزو الأراضي الواقعة شرق نهـر الأردن والمعروفـة باسم إقليم السواد أو سواد طبرية[4]، وهكذا ظهرت إمارة الجليل وعاصمتها طبرية في شـكل إمارة كبيرة وقوية . ومن المحتمل أن تانكرد كان ينوى الحصول على إمارة مستقلة في شـمال المملكة اللاتينية، تمتد شمالا وشرقا لتشمل كل الأراضي الواقعة عبر نهر الأردن حتى حـدود دمشق ونهر اليرموك في الجنوب وفي حين كان الحد الغربي للإمارة يصل إلى البحر المتوسط ...

وأخذ تانكرد يبحث عن منفذ بحري لإمارته، ووقع اختياره على مدينة حيفا، ولقب تانكرد نفـسه بلقب(أمير الجليل) والذي لم يكن لقبا ملكيا بل كان يحمل لقب يشبه لقب أمير إنطاكية أو أميـر الرها أي حاكما مستقلا[5]، ويبدو أن تانكرد قد اكتفى بالحدود الشمالية والشرقية التـي وصـلت إليه إمارته، وأخذ موقفه يتدعم شيئا فشيئا بحيث غدا في صفر 493هـ ـ/كـانون أول 1100م، قادرا على الخروج ببعض فرسانه ومشاته إلى أرسوف لمشاركة جـودفرى البويـوني وبقيـة

---

(1) Beyer.G. Akko. Und. Galileae. P. 184

(2) رانسيمان: المرجع نفسه،جـ1، ص 429.عاشور: المرجع نفسه، جـ1، ص 251 -252، البيشاوي: **نـابلس**، ص 49.

(3) Prawer. J. op. cit. P. 17.، البيشاوي، **نابلس**، ص 49

(4) ابن القلانسي: **ذيل**، ص 149.

(5) Albert d Aix. Ch.22. p. 521.Prawer , J.**The History of theJews**.pp. 36- 38

ستفين رنسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 446- 447،

القوات الصليبية المجتمعة هناك في الحصار المفروض على المدينة والذي انتهى بالفشل[1]، وما زال تانكرد ينتظر الفرصة المناسبة للاستيلاء على حيفا، وقد أكد الأمير جـودفرى البويـوني العزم على الاستيلاء على المدن الساحلية الفلسطينية التي ما زالت بيد أصحابها المسلمين ومـن بينها بالطبع مدينة حيفا، وعندما وصل أسطول بندقي مكون من مئتي سفينة إلى ميناء يافا فـي شعبان 493هـ/حزيران 1100م، أسرع جودفري لمقابلة البنادقة والتفاوض معهم بخصوص تقديم المساعدة من اجل الاستيلاء على المدن الساحلية مثل عكا وحيفـا وأرسـوف وقيـسارية وغيرها[2]، ووافق البنادقة على ذلك، شريطة أن يتم تقديم العون حتى 493هـ/15 أغـسطس 1100م، وقد اشترطوا أن يكون لهم ثلث كل مدينة يسهمون في الاستيلاء عليها، فـضلا عـن سوق وكنيسة في كل مدينة، وان يسمح لهم بحرية التجارة في سائر البلاد التى خضعت للسيطرة الفرنجية الصليبية[3]، واتفق الطرفان على آن تكون مدينة عكا هـي الهـدف الأسـاس والأول للهجوم الصليبي بناء على رغبة الأمير جودفري البويوني، وعندما اكتملت الاستعدادات وصل فجأة خبر وفاة الأمير جودفري البويوني، ومع ذلك أصر الأمير تانكرد على عدم إضاعة فرصة مساعدة الأسطول البندقي، فاقترح تعديل خطة الهجوم، وتأجيل مهاجمة مدينة عكا، والمبـادرة إلى السيطرة على مدينة حيفا، مدعيا إنها قريبة مـن بيـت المقـدس، وأكثـر نفعـا للفرنجـة الصليبيين[4]، هذا إلى جانب أن الاستيلاء على مدينة عكا المحصنة جيدا، يبدو صـعبا بالنـسبة لحجم قوات المملكة الفرنجية التي كانت هزيلة وقتذاك[5]، وقد حظي اقتراح تـانكرد بمباركـة البطريرك دايمبرت البيزي (Daimbert of Pisa) وبعض الرجال البـارزين فـي الجـيش...

([1]) وليم الصوري: المصدر نفسه، جـ1،ص472.Albert d' Aix.op. cit. pp.516 - 517

([2]) ابن القلانسي: **ذيل**، ص 138 - 139.انظر ايضا: المقريزى: **اتعاظ الحنفا**، جـ 2، ص 26 .Ibid.pp. 517- 518

Cf. Also Stevenson -w-p.op. cit. pp. 40 - 41. يوشع براور: **مملكـة بيـت المقـدس اللاتينيـة**، ص 150

Prawer. J.op.cit. p. 34.

([3]) Mayer. 11. op. cit. p. 67. Albert d' Aix.op. cit. Ch. 19. p. 519.

فوشية الشارترى: **تاريخ الحملة**، ص 103 Stevenson -w-p.op. cit. 1. p. 41

([4]) سعيد عبد الفتاح عاشور: **الحركة الصليبية**، جـ1، ص 268، علي السيد، **إمارة الجليل**، ص 185.

([5]) Prawer. J. op.cit. pp. 34 - 35

وتولى تانكرد والبطريرك دايمبرت البيزي[1] قيادة الجيش، وأرسلا إلى مقدم الأسطول البندقى خبرا يعلمانه بما تم الاتفاق عليه أخيرا، بخصوص تغيير خطة الاستيلاء على مدينة عكـا الـى احتلال حيفا[2]، وبالشروط نفسها التى اتفقا عليها مع جودفرى . وأما عن مشاركة البطريـرك دايمبرت البيزي في القوات المتجهة للاستيلاء على حيفا، فيبدو انه كان يطمح بمساعدة الأميـر تانكرد في الحصول على كرسي البطريركية في بيت المقدس، والحصول على المنح والهبـات من المدن التي يتم الاستيلاء عليها، وأن يكون له نصير قوي من كبـار الأمـراء والبارونـات الفرنجة من اجل تحقيق أطماع واسعة المدى . وليس من شك ايضا في ان الأمير تانكرد قد تقدم بالاقتراح الرامي للاستيلاء على مدينة حيفا من اجل تحقيق أهداف شخصية، منهـا أن يكـون ميناء حيفا المنفذ البحري لإمارة الجليل على البحر المتوسط[3]. وبطبيعة الحال كان على الأمير تانكرد ان يقوم بجمع فرسانه ومشاته من اجل إتمام هذه المهمة، ولا بد انه توجه إلى المدن التى خضعت لسيطرته مثل نابلس ومدن الجليل الاخرى من أجل الحصول على المؤن وحشد القوات أسوة بما قام به قبيل معركة عسقلان، وبعد ان جهز جميع فرسانه ومـشاته وأدوات الحـصار المكونة من سبعة مجانيق وعدد من ابراج الحصار المتحركة والمصنوعة من الأخشاب المتينة، إضافة الى أسلحة القتال الاخرى، بدأت القوات الفرنجية البرية بالتحرك صـوب حيفـا، وفـي الوقت نفسه تحرك الأسطول البندقي صوب المدينة في أواخر رمضان عام 493هـ ـ/أواخـر تموز يوليه عام 1100م، وعندما وصلت القوات الفرنجية شرعت بفرض الحصار على حيفـا

---

(1) دايمبرت البيزي :(Daimbert of Pisa) ينسب الى مدينة بيزا الإيطالية، وكان رئيسا لأساقفتها، وقـد حـضر مـع مجموعة من المرافقين الى ميناء اللاذقية، وقد اختير بطريرك على بيت المقـدس ديـسمبر 1099م/492 هـ ـ، انظـر: الشارترى: تاريخ الحملة، ص 166. William of Tyer. vol. 1. p. 402 أشار أحـد المـؤرخين الحـديثين الـى ان دايمبرت كان من المؤيدين المخلصين للبابا اريان الثانـ ـ ـ ـي

.Cf. Richard. J. **the Latin of Kingdom of Jerusalem.** vol. 1. p. 99

ويقال ان ما بذله دايمبرت البيزي من الهدايا لجودفرى البويوني يسر له ارتقاء كرسي البطريركية في بيت المقدس.انظـر رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 430. البيشاوي: **الممتلكات**، ص 70 - 71. هامش 113.

(2) Prawer. J. op.cit. p. 35.

(3) Richard. op.cit. voL. 1,.p. 73. Prawer.J. op. cit. pp. 36 - 38.

انظر ايضا: البيشاوي، **نابلس**، ص 51.

من البر والبحر[1]، وقام تانكرد بنصب المجانيق على سفوح جبل الكرمل المطلة مباشرة علـى حيفا بعد ان احكم الأسطول البندقي الحصار[2]، ويبدو أن الفرنجة ركزوا حصارهم وهجـومهم على برج المدينة في محاولة منهم لاقتحامها، وبدون تردد تصدى السكان للدفاع عـن مـدينتهم بكل شجاعة وعزم، وقد استخدموا الزيت المغلي، والكتان الملتهب، والقار المشتعل، والأبـراج المتحركة أثناء دفاعهم عن المدينة، ولم يستطع الفرنجة الاستيلاء على المدينة على الرغم مـن هجماتهم المتكررة عليها، ولعل ذلك يرجع لصمود سكانها وحصانتها وقوة أبراجهـا [3]، وفـي الوقت الذي لم تبذل الدولة الفاطمية جهودا كبيرة، ولم تسهم في الدفاع عن المدينة التي لم يكـن يوجد داخلها سوى حامية فاطمية صغيرة وقد بدا واضحا أن سكان المدينة وقع علـى كـاهلهم الصمود والتصدي لهذا الهجوم.

2.2 أوضاع أهالي حيفا أثناء الحصار الفرنجي للمدينة 493هـ/1100م.

أعقب سقوط القدس في أيدي الفرنجة في 26 شعبان 492 هـ/17تموز 1099م، مذبحة فظيعة راح ضحيتها المدافعون عن المدينة وسكانها، وتم جمع اليهود في الكنيس وحرقه علـيهم، ممـا سبب الرعب والهلع في باقي المدن الفلسطينية،وكان من أهمها مدينة حيفا التي كانـت وقتـذاك خاضعة لحكم الدولة الفاطمية وكان يقطنها جالية يهودية كبيرة العدد اذا ما قورنت بالجاليـات اليهودية في المدن الفلسطينية الاخرى، لان أعدادهم كانت قليلة بصفة عامـة فـي الاراضـي المقدسة[4] . وكانت جالية حيفا اليهودية تتمتع بفترة ازدهار نسبي طوال الحكم الإسلامي، فقـد مارست أعمال صيد السمك والحازون الأرجواني المستخدم في الصباغة، وكذلك كانوا يعملـون

---

(1) Albert d' Aix.op.cit. p. 521

(2) Albert d' Aix.op. cit. pp. 523 - 542. Cf. Also.Prawer. J. op.cit. p. 36.
انظر أيضا رانسيمان:المرجع نفسه،جـ1، ص 446 - 447

(3) prawer.J. op.cit. p. 39

(4) Conder. C. **The Latin Kingdom**. p. 243
الطليطي: **الرحلة**، ص 111، السيد: **الخليل**، ص 321، ذكر البرت بأنه تم توجيه الاشارة الى الجنود بأنه تكون الإغارة حول مدينة حيفا حتى يتم لهم اجتياح اليهود الذين كانوا يدافعون عن المدينة بضراوة. واجتياح حصونهم. Cf. Albert d' Aix.op.cit.p. 522.

بصناعة الزجاج الثقيل[1]الذي اشتهرت به حيفا، وكان تركيزهم على العمل بتجارة البحر وفـي الميناء، وقد احتكروا تجارة البحر المتوسط، وأحيانا كانوا يعملون بالزراعة. وقد ظهـر مـنهم كثيرمن الأغنياء والعلماء[2] قبل استيلاء الفرنجة على حيفا، وكان ترتيبهم فـي الـسلم الطبقـي الاجتماعي يأتي بعد الطبقة الحاكمة وهم المسلمون، وقد كانت الجالية اليهودية في حيفا تقطن في تجمعات سكنية يهودية خاصة بهم، ولا شك أن المذابح التي تعرض لها يهـود اوروبـا أثنـاء الحركة الصليبية والتي امتدت آثارها إلى فلسطين لدليل على مدى وحـشية مرتكبيهـا، وفـي الحقيقة أن اليهود يتحملون جزءا من مسؤولية ما حدث لهم[3]. لاحتكارهم الاعمـال التجاريـة والصناعية الهامة في ذلك الوقت كذلك وقف المسيحيون الشرقيون جنبا إلى جنب مع المسلمين، وكانوا يعتنقون المسيحية على المذهب الأرثوذكسي[4]، بعكس اللاتين الـذين كـانوا يعتنقـون المسيحية الكاثوليكية، وكانت العلاقات بين الأرثوذكس والمسلمين قوية في ظل الحكم السلجوقي والفاطمي، وكانوا يعيشون في حيفا حياة مستقرة ويمارسون جميع المهـن والحـرف ويـؤدون شعائرهم الدينية في حرية تامة قبل قدوم الفرنجة، لدرجة انهم فضلوا البقاء في حيفا وقراها بعد عودتها للحكم الإسلامي في690 هـ/1291م، وكذلك وجد داخل مدينة حيفا العنصر السرياني، وقد أشار الشارتري[5] إلى وجود إلى وجود أعداد كبيرة من الأرثوذكس السريان فـي المـدن

([1])كرمل: **تاريخ حيفا**، ص 22- 23، السيد: الخليـل، ص 322 Mann. J. The Jeus in Egypt and in Palastine ,vol. 1. pp. 223 - 224 .

([2])...Conder. C. op.cit. p. 243علي السيد: المرجع نفسه، ص322

([3])كانت الجماعات اليهودية تسيطر على شؤون المال والتجارة في اوروبا العصور الوسطى، وكان طبيعيا ان يلجأ الـيهم كثيرون من اجل الحصول على القروض، وفي اثناء فترة الاستعداد للحروب الصليبية لجأ فرسان الغرب الـى المـرابين اليهود للحصول على الاموال اللازمة، وكان للديون الثقيلة التي كبلوهم بها أثرها في إذكاء نار العدواة الكامنة في نفـوس المسيحيين ضد اليهود ومن ناحية اخرى اتخذ يهود اوروبا موقفا معاديا من الحركة الصليبية منذ البدايـة ممـا زاد مـن مشاعر السخط والكراهية ضدهم. عاشور: **الحركة**، جـ1. ص141-144.وقد تجاهل براور هذه الحقيقة، ولم يشر لهـا اطلاقا. انظر:**الصليبيين**، ص48

.Runciman.op.cit.vol. 1. pp. 134 - 141

([4])أشار رانسيمان إلى أن معظم المسيحيين الشرقيين كانوا ينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية انظر: تـاريخ، جــ2، ص 472.

([5]) Fulcher of Chartres. op.cit. p.p. 143 - 146Felettus.Desreption ,p.12

الفلسطينية ومنها مدينة حيفا قبل الغزو الفرنجي لبيت المقدس، وبعد عودة حيفا للحكم الإسلامي ظل السريان في مدنهم وقراهم مع المسلمين[1] وكانت اللغة العربية هي اللغة الرسـمية لكافـة السكان الأصليين في حيفا وغيرها من مدن الاراضي المقدسة[2] رغـم انهـم يعرفـون اللغـة السريانية التي كانت سائدة في بلاد الشام في ذلك الوقت .

ويبدو أن المسلمين من سكان حيفا قد تشاوروا مـع اليهـود ووضـعوا الخطـط وأقـاموا التحصينات والأبراج والخنادق اللازمة للدفاع عن المدينة، والتي كانت هي أصلا مدينة محصنة بالأسوار والأبراج[3]، وقد أبدا اليهود رغبة شديدة للدفاع عن انفسهم ومقاومـة الغـزاة، وقـام المسلمون بتزويدهم بالأسلحة والمؤن، وكل ما يحتاجونه من معدات لصد المعتدين، خاصة وان اليهود اظهروا كراهية شديدة للفرنجة الصليبيين، وليس من شك في ان العامـل النفـسي بـين السكان اليهود قد لعب دورا هاما في تحفيزهم على الصمود والاستبسال خوفا من ان يحل بهم ما حل بإخوانهم في بيت المقدس والجليل[4]، ولا بد وانهم قاموا بتخزين المواد التموينية اللازمـة من اجل إطالة أمد الحصار، ووقفوا جميعا داخل المدينة وقفة رجل واحـد مـع وجـود الإرادة والتصميم القوي على التصدي للغزاة، حتى تأتي النجدات الفاطمية لمساعدتهم . وهكـذا قـرر أهالي المدينة الدفاع عن مدينتهم، والعمل معا دون سقوطها بيد الفرنجة بالرغم انه كـان فـي المدينة حامية فاطمية إلا أن هذه الحامية كانت ضعيفة لا تستطيع وحدها مقاومة الغـزاة، لهـذا أبدى جميع سكان حيفا استعدادهم للدفاع عن مدينتهم وعن انفسهم حتى النهايـة، وفـي سـبيل الاستعدادات وتوفير الاحتياجات والمواد اللازمة للدفاع، تعاون سـكان حيفـا مـع الحاميـة

السيد: **الخليل**، ص 321.

(1) Burchard of Mont Sion. op. cit. P. 28.

(2) يوشع براور: **عالم الصليبيين**، ص122، البيشاوي، نابلس،ص195. Conder.op.cit. p. 166.

(3) Trans Layto.Sancti Nicola. Loc. cit.pp. 277 - 278.

Albert d' Aix.op. cit.p. 211. انظر رانسيمان: المرجع نفسه. جـ1، ص 445.

(4) رانسيمان: المرجع نفسه. جـ1، ص 447. براور: **عالم**، ص 58 - 59.

الفاطمية، واتخذوا معا قرار التصدي والدفاع عن مدينتهم خوفا أن يحل بهم ما حل بإخوانهم من سكان المدينة المقدسة[1].

3.2 استيلاء الفرنجة على مدينة حيفا وتبعيتها للأمير تانكرد

تم حصار حيفا برا وبحرا، وتعرضت لوابل من الحجارة والنيران، من فـوق منحـدرات جبل الكرمل، وخلال هذا الهجوم طلب الأمير تانكرد من قواته الاقتراب من أسوار المدينة، اما الأسطول البندقي فقد قام بمهاجمة الميناء، وكانت نتيجة هذا الهجوم خسارة سفينة في المعركـة التي دارت رحاها في الميناء، الآمر الذي دفعهم إلى التراجع خائري القوى إلى خليج حيفـا[2]، مما يفيد أن أهالي استعدوا استعدادا كبيرا للدفاع عن مدينتهم وحشدوا القـوات الكافيـة وأدوات القتال اللازمة لمنع سقوطها بيد الفرنجة، لأن القوات المدافعة عن المدينة كانـت صـغيرة ولا يمكنها الصمود أمام القوات المهاجمة فترة طويلة من الزمن، ويبدو أن العامل النفسي قد لعـب دورا هاما في تحفيز سكان المدينة على الصمود خوفا آن يحل بهم ما حل بسكان مدن عربيـة أخرى تم الاستيلاء عليها، ولكن تانكرد شدد الحصار على المدينة، وعـاد الأسـطول البنـدقي ايقترب من سواحلها، وكادت تسقط في أيدي القوات الغازية عندما علـم تـانكرد أن الأميـر جودفرى البويوني قد وعد صديقه جالديمار كاربنيل[3] بمنحه مدينة حيفا بعد الاسـتيلاء عليهـا

---

(1) Trans Layto.Sancti Nicola.pp.276 - 278 Albert d' Aix.pp.521 - 523.، رانسيمان: المرجـع نفـسه، جـ1، ص 447.

(2) Albert d' Aix.op.cit. p. 521. Pewer.J. op.cit.p. 39. ، عاشور: المرجع نفسه، جـ1، ص 261، البيشاوي: **الممتلكات**، ص 72 - 73، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 447.

(3) جالديمار كاربنيل(Geldemar Carpenel):هو من بين الفرسان الذين اشتركوا مع بقية افراد الجيش الصليبي ومعـه فرسانه ومشاته، بالاستيلاء على مدينة حيفا، وعندما رأى جالديمار أن تانكرد قام بضم حيفا لإمارته، قام بمغادرة المدينـة مع مجموعة من اتباعه واتجه إلى الخليل، نظرا لعدم قدرته على الوقوف في وجه تانكرد والبطريرك دايمبرت البيـزي، وقد وقف جييرارد أوف افسنيز الى جانب تانكرد في حيفا، ولم يعد بعد ذلك لإقطاعية الخليل التـى اقطعـت لجالـديمار كاربنيل وهو أحد فرسان الصليبيين الذين حضروا مع الأمير ريموند الصنجلي إلى الأرض المقدسة وبعد أن توج الملـك بلدوين الأول على عرش المملكة، قدم له جالديمار شكوى بخصوص مدينة حيفا التى سلبها منه تانكرد، وبعد إن تـسلمها بفترة وجيزة قتل في معركة الرملة الاولى سنة 494هـ/1101م،. Albert d' Aix pp.522 - 553 .

مباشرة، بينما ذكر وليم الصوري أن جودفري كان قد وعد بمنح حيفا للأمير تـانكرد[1] الـذي ثارت ثائرته عندما علم بذلك، فما كان منه الا انه امتنع عن الاستمرار في المشاركة بمحاصرة المدينة، لانه كان يطمع بضمها لاملاكه، لكي تكون منفذا بحريا لإمارته، وبطبيعة الحال فانه من غير المعقول أن يقدم الأمير جودفري على منح المدينة لأميرين في آن واحد، لان ذلك العمـل من شانة إثارة الاضطرابات والقلاقل في الدويلة الناشئة، هذا بالإضافة إلى أن المؤرخ المعاصر فوشية الشارترى لم يتعرض إلى هذه النقطة رغم اشارته إلى استيلاء الفرنجـة علـى مدينـة حيفا،كما أسهب في الحديث عن المذابح التي وذكر البرت دكس أن الأمير جودفرى وعد بمنح مدينة حيفا الى جالديمار كاربنيل كما أشارت الشكاوي التى قدمها جالديمار ضد تانكرد، بينمـا ذكر المؤرخ وليم الصورى ان جودفرى كان قد منحها للأمير تـانكرد William of Tyer op. cit .vol . 1. p. 339 .انظر أيضا رانسيمان : المرجع نفسه، جـ1، ص447 . وفـي اعتقادنا أن الأمير جودفري منحها للأمير جالديمار لعدة اعتبارات منها أن الأمير تانكرد كـان من كبار الأمراء، و كان نصيرا للبطريرك دايمبرت البيزي الذي كان الأمير جودفري يحـاول تحجيمه، هذا إلى جانب أن مجرى الأحداث تشير إلى تأكيد رواية المؤرخ البرت دكس.

اقترفها الفرنجة بما فيهم البنادقة، وعن احتفاظ تانكرد بالمدينة، وعدم سماحه لـبعض الرجـال بدخولها لانه كان على علاقة غير ودية مع بلدوين الأول[2]، وهـذا يجعلنـا نـرجح أن ولـيم الصوري اعتمد في روايته على ماآلت إليه أحوال مدينة حيفا، بعد بـسط الـسيطرة الفرنجيـة عليها، والى جانب ذلك لم يكن وليم الصوري معاصرا لأحداث هذه الفترة، ولذلك فمن المـرجح أن الأمير جودفري البويوني قد منح حيفا للأمير جالديمار كاربنيل لعدة اعتبارات منها أن الأمير تانكرد كان من كبار الأمراء، وربما كان جودفري يخشاه، أضف إلى ذلـك أن تـانكرد كـان

Cf. Richard.J. the Latin Kindom of Jerusalem.vol.. 1.p. 61.
انظر عاشور: المرجع نفسه، جـ1، ص268، رانسيمان: المرجع نفـسه،جـ 1، ص447، البيـشاوي: **الممتلكـات**، ص 73.هامش (1).

(1) Albert d' Aix.op.cit.pp.522 - 553. Pewer.J. op.cit.p. 38

(2) Fulcher of Chartres.op. cit. p. 142.. سعيد البيشاوي: **الممتلكات الكنسية**، ص72.

مناصرا للبطريرك دايمبرت البيزي، الذي كان الأمير جودفري يحاول تحجيمه، هذا إلى جانـب أن مجرى الأحداث تشير إلى أن الأمير جودفري قد منح حيفا لجالديمار كاربنيل طبقا لروايـة البرت دكس الذي لم يكن موجودا في الشرق[1]، فربما سمع عن هذه القضية من بعض أصدقائه أو من الحجاج الذين كانوا يفدون إلى الاراضي المقدسة ثم يرجعون إلى بلادهم وهكـذا ثـارت ثائرة الأمير تانكرد وامتنع عن المشاركة بمحاصرة حيفا كمـا ذكرنـا سـابقا، وعنـدما علـم البطريرك دايمبرت البيزي بهذا الأمر حضر إلى حيث يقيم تانكرد، وعمل على تهدئه مشاعره وغضبه قائلا له : انظر أيها الأخ العزيز تانكرد، كيف أن قائد البنادقة مع كل فرقته قد أنهكتهم الحرب وليس هناك ايه قوة جديدة تضاف اليهم، وحيث انهم شعروا بالخوف، فأمروا الأسـطول بالعودة إلى عرض البحر بعيدا عن المقاطعة[2] وهكذا بدا واضحا أن القوات الفرنجية البريـة المهاجمة لمدينة حيفا لم يكن بمقدورها الاستيلاء على المدينة دون وجود قـوة بحريـة كافيـة لدعمها، وقد ظهر ذلك من خلال تراجع الأسطول البندقي إلى عرض البحر عندما أخلت قـوات تانكرد مواقعها، وكذلك حديث البطريرك دايمبرت البيزي مع تانكرد عن الإرهاق الذي أصـاب البنادقة أثناء حصارهم لمدينة حيفا مما يفيد انهم قد يتراجعون عن الاشتراك في اقتحام المدينـة في حالة استمرار تانكرد في موقفة القاضي بعدم الاستمرار في القتال، وحين سمع ما قالـه لـه البطريرك دايمبرت البيزى، وذلك للتشجيع الذي وجه إليه باسم المسيح، أجاب بأنه لن يترك ايه فرصة من اجل الإغارة عليها، وأمر قواته بالهجوم من جديد على المدينة من اجـل إضـعاف مقاومة المدافعين عنها، ونتيجة لاستمرار حصار المدينة تكللت الهجمات المتواصلة مـن البـر والبحر بالنجاح، إذ تمكنت القوات الفرنجية من دخول مدينة حيفا عنوة فـي 18 شـوال 493

([1])ذكر البرت دكس إن جودفري وعد بمنح مدينة حيفا لصديقه جالديمار كاربنيل، Albert d' Aix. vll. 19.pp. 519 - 520 ،بينما ذكر وليم الصوري أن جودفري منح حيفا إلى تـانكرد، الـصوري: المصدر نفسه، جـ1، ص 463، وتؤكد معظم المصادر والمراجع أن جودفري منح حيفا لصديقه جالـديمار كاربنيـل، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 441، البيشاوي: **الممتلكات**، ص 72 - 73،

([2]) Albert d' Aix.op.cit.p. 523- 553.Prewer.J.The Latin Kingdom. p 18

Richard. J. **The Latin Kingdom**. vol. 1. p. 99. رانـسيمان: المرجـع نفـسه، جـ 1، ص 447،البيشاوي:**الممتلكات**، ص 72، دويكات: **طبرية**، ص 97.

هـ/ عشرين اب عام1101م، وذلك بعد أن هاجمت البرج الرئيس[1] في خطوط الدفاع وتمكنت القوات المهاجمة من الوصول إليه، وهربت مجموعة قليلة من سكان حيفا العرب واليهود إلـى كل من قيسارية وعكا وأماكن أخرى من المدن والقرى الفلسطينية، وقام المهـاجمون بارتكـاب مجزرة رهيبة راح ضحيتها أغلبية السكان[2]، وهي لا تقل عما ارتكبوه من مـذابح فـي بيـت المقدس، وقد عاد البنادقة الذين كانوا بعيدين في البحر من اجل الإسـهام فـي عمليـات القتـل والابادة ضد أهالي مدينة حيفا واخذ نصيبهم من الأسلاب والغنائم التى حصل عليها الفرنجـة والتى كانت ضخمة جدا، وتتألف من الذهب والفضة والملابس والخيـول والبغـال والحبـوب والزيوت[3]، وقام تانكرد بضم حيفا لإمارته حتى يرضى طموحه وأماله[4]، ويبدو انه اتفق مـع البطريرك دايمبرت البيزي على ذلك، وبعد أن أمسك تانكرد بزمام الأمور ولم يسمح لجالديمار كاربنيل بتحقيق آماله في الاستحواذ على حيفا، لدرجة انه قام بطرده هو واتباعه مـن المدينـة، وأمام هذا الموقف الصعب لم يسع جالديمار كاربنيل إل أن يجمع قواته ويغادر المدينة متجهـا نحو مدينة الخليل، نظرا لعدم قدرته على الوقوف في وجه الأمير تانكرد والبطريرك دايمبـرت البيزي، وقد وقف جيرارد افسنيز إلى جانب تانكرد في حيفا ولم يعد إلى اقطاعية الخليل، الـذي كان افسنيز أحد فرسانها[5]، وعندما توج بلدوين الأول ملكا على مملكة بيت المقدس الصليبية[6]،

.lbert d' Aix.op.cit. pp. 522- 524. **Fulcher of Charters**. op.cit.. p. 142([1])
.Richard. J. **The Latin Kingdom.** vol.. 1. p. 61، التنوخي، تاريخ، ص374، البيشاوي: **الممتلكات**، ص 73.

([2])ابن الأثير: **الكامل**، جـ1، ص 335، النويرى: **نهايـة**، جـ ـ28، ص Fulcher of Charters. p. 260
.142. Cf. Also. Prewer. J. **The History of Jews**.p. 39
رانسيمان: المرجع نفسه، جـ 1، ص447،

([3]) Prewer. J. op.cit.p. 90.Cf. **Also Jean Richard**.vol. A. p. 30.
البيشاوي: **نابلس**، ص 51،

([4]) Cf. Albert d' Aix.op.cit. p.p. 522- 523 البيشاوي: **الممتلكات**، ص 73.

([5]) Albert d' Aix.op.cit. p.p. 523 - 524 - 537
لم يرد قي الوثائق ما يدل على احتجاج جيرارد افيسنز على إعمال تانكرد، انظر أيضا البيـشاوي: **الممتلكـات**، ص73. هامش، رقم 1. Cf. Runciman. vol. -1.p. 317. Richard. J. vol.. 1. p. 404

([6]) Albert d' Aix.op.cit. pp. 523 - 524 - 537.Cf. Also Meyer.op.cit.pp. 344 - 348
السيد: **الخليل**، ص112.

قدم له جالديمار شكوى بخصوص مدينة حيفا التي سلبها منه تانكرد، وبعد تسلمها بفترة وجيـزة قتل جالديمار في معركة الرملة الاولى سنة 494هـ/1101م[1] يتضح مما سبق أن كبار السادة الأمراء الصليبيين الاقطاعيين كانوا يمتازون بالشراهة وحب السيطرة والاستحواذ على كثيـر من الاراضي العربية الاسلامية على حساب أصحابها الشرعيين، حتى لو أدى ذلك إلى التضحية بمصيرهم في الاراضي المقدسة.

ومهما يكن من امر فقد أصبحت مدينة حيفا بعد استيلاء الفرنجة الصليبيين عليهـا إحـدى المدن التابعة لامارة الجليل التي أسسها الأمير تانكرد، على الرغم من أن الظروف لم تسمح له بالبقاء في فلسطين، والاستمتاع بالامارة التي أسسها بفضل جهوده وقوته، اذ اسـتدعاه أهـالي أنطاكية لتولى الأمارة بالنيابة عن خاله الأمير بوهيموند النورماندي[2]، الذي وقـع فـي أسـر المسلمين.

وبعد استيلاء الفرنجة على حيفا كانت المدينة خاوية من السكان الا مـن بعـض الـسريان والمسيحيين الشرقيين، إذ قام الفرنجة بقتل معظم سكانها من المسلمين واليهود، بينما لجأ مـن استطاع الفرار إلى المدن الفلسطينية المجاورة التي ما زالت بحوزة المسلمين، ويبدو أن تانكرد قد اسكن في حيفا مجموعة من الفرنجة، كان من بينهم جنوده وفرسانه، ومن المرجح أن البنادقة حصلوا على ثلث المدينة وقاموا بتوطين المواطنين الإيطاليين في القسم الذي حصلوا عليه بناء على الاتفاق الذي أبرمه قادة الفرنجة، من أمثال جـودفري البويـوني وتـانكرد والبطريـرك

---

(1) Fulcher of Charters.op.cit. p. 549.، مقتل جالديمار كاربنيل، السيد:المرجـع نفـسه، ص119 - 122. Cf. Albert d Aix.pp. 527- 549. Richard. J. op. cit. vol. 1. p. 61. Prawer. J. the Latin Kingdom of Jerusalem. Jerusalem 1972. p.18.،انظر أيضا البيشاوي: **الممتلكات**، ص 73، هامش (1).

(2)ارسل سكان انطاكية وفدا إلى تانكرد يطلبون منه القدوم إلى مدينتهم للإشراف عليها نيابة عن خاله بوهيمنـد، الـذي وقع أسيرا في معركة جرت قرب مدينة ملطية في أقصى الشمال بين الأتراك والفرنجة، إذ تربص أمير الاتراك كمشتكين ابن الدنشمند ببوهيمند وتمكن من اسره، وأودعه بالسجن،

انظر ابن الأثير: **الكامـل**، جـ ـ10، ص 300، Fulcher of Charters.pp. 134- 135. 250 - 251. William of Tyre.op.cit. Vol.1. p. 419. Munitum in Balduini III. **Historia Nicenae Vel Antiochanae** Prologum. Ed. R. H. C. Occ. Tome. v. p.177.، البيشاوي: **نابلس**، ص 69، هامش 264.

دايمبرت البيزي مع البنادقة، ومما يؤكد هذا الرأي أن السكان قاموا بتزويد الأمير بلدوين الأول - شقيق الدوق جودفري - وجيشه بالخبز والنبيذ، عندما حضر إلى المنطقة واقام بها أربعة أيام وفتح أهلها له الأبواب، ولكنه لم يدخل المدينة على الرغم من عـدم وجـود تـانكرد فيهـا[1] وعرض الأهالي من البنادقة في حيفا الفرنجية على الأمير بلدوين تزويده بالأطعمـة والمـؤن لقواته وفق شروط مرضية[2] وعلى الرغم من ذلك فأننا نعتقد أن مدينة حيفا كانت تعـاني مـن نقص كبير في عدد السكان أسوة بمدينة بيت المقدس، وربمـا لا نبـالغ إذ قلنـا أن مجمـوع الفرنجةالذين استقروا فيها لا يغطون حيا من أحيائها، ومن المحتمل أن حاكم حيفا الفرنجي قـد عمل على استقطاب الفرنجة من اوروبا لسد النقص الحاد في عدد السكان، وربما سـمح لاهـل الريف الحيفاوي المسلمين بالقدوم إلى حيفا، وبيع ما تنتجه أراضيهم من محاصيل فـي المدينـة حتى يتشجع المواطنون على الحركة والنشاط، وتبدو المدينة وكأنها لا تعاني من أي نقص فـي عدد السكان.

4.2 الصراع بين تانكرد والملك بلدوين الأول:

جاءت وفاة جودفري البويوني في 9 رمضان 493 هـ/18 يوليه 1100م، بداية هامة وخطيرة في الصراع حول منصب حاكم بيت المقدس لان مسالة وراثة العرش لـم تكـن قـد حسمت بعد وعليه فقد بقى العرش شاغرا لمدة ثلاثة اشهر[3]حيث كانت حيفا وباقي الاراضـي

([1])الشارتري: **تاريخ**، ص143. رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص458.
لم يدخل الأمير بلدوين مدينة حيفا، خوفا من أن يثأر تانكرد من الأمير بلدوين البويوني بسبب الأذى والضيم الذي عـانى منه تانكرد في إنطاكية عند قليقية، وقد احترم اتباع تانكرد وسكان مدينة حيفا الفرنجة الامير بلدوين وخرجـوا لاسـتقباله وحيوه بمودة وحب، لكونه أحد أمراء الفرنجة فضلا على انه شقيق سيدهم الأمير جودفري البويوني كما انه المرشح لتولى منصب ملك بيت المقدس اللاتينية. الشارتري: تاريخ، ص143 -144،

([2])الشارتري: المصدر نفسه، ص144،.William of Tyre.op. cit vol. I.p. 419
. Munitum in Balduini III. op. cit.Tome V. p.177.

([3])كان بلدوين الاول ناجحا في حكم (امارة الرها)، وتلقى خبر وفاة جودفري عن طريق المسافرين، وعلم منهم أن سكان بيت المقدس قد اختاروه ليكون خليفة لاخية في حكم البلاد، وحزن بلدوين لموت اخيه، الا انه ابتهج بوراثته فـي حكـم بيت المقدس، وقام بلدوين قبل سفره بمنح امارة الرها إلى ابن عمه بلدوين اوف بورج، ثم تحرك في السابع من ذي الحجة سنة 493هـ/الثاني من اكتوبر سنة 1100م صوب بيـت المقـدس، الـصورى: المـصدر نفـسه، جـ ـ1، ص477، Fulcher of Chartres.op.cit.pp. 136-137. 143- Albert d Aix.p. 257. Munitum in **Balduin**

التي تمكن الفرنجة من وضع يدهم عليها تعاني من الاضطرابات الداخلية بسبب الخلافات فيمـا بين القادة الفرنج وكذلك من تهديد المسلمين لهم بالداخل والخارج، وتمثلت الاضطرابات الداخلية في ظهور فريقين كلاهما يخالف الأخر في تحديد مصير الحكم الصليبي في الاراضي المقدسة، وفي البداية حاول الفرنجة حل تلك المشكلة بان أرسلوا إلى الكونت ريموند الـصنجلي كونـت طرابلس لتنصيبه على عرش المملكة ولكنه رفض ذلك العرض بشدة[1]فقد بادر فريـق رجـال جودفري البويوني في بيت المقدس ونادوا بقدوم بلدوين البويوني الوريث الشرعي للحكم[2]فـي حين تزعم الفريق الأخر دايمبرت البيزي [3] والامير تانكرد ذو النفوذ القـوي اعتمـادا علـى ممتلكاته الشاسعة في الجليل وحيفا وهكذا اتخذ الاثنان موقفا معارضا لاستدعاء بلدوين، وتعيينه على بيت المقدس خلفا لأخيه جودفري [4] أرسل كل من تانكرد والبطريرك دايمبـرت رسـالة عاجلة إلى بوهيمند أمير إنطاكية وخال الأمير تانكرد حاكما على بيت المقدس غيـر أن اسـره على يد المسلمين احبط محاولة هذا الفريق، وفي الوقت نفسه وافق بلدوين على قبـول العـرش وقام بالتنازل عن الرها لابن عمه بلدوين بورج Baldwin de Bourj على أن يكون خاضعا لسيادته في بيت المقدس[5] وغادر الرها في24 ذي القعدة 493 هـ/2 تـشرين الاول 1100م،

III.op.cit. P 177. Cf - also. Michouds.M. History of the crusades. VOL. 1. P. 275.- Rohricht. R.Geschichte Des konigreichs jerusalem pp. 10 -12. Cf. Stevenson. p 42. Conder. p. 80.
هنالك من يقول أن جود فري، رشح اخاه بلدوين امير الرها ليكون خليفته في حكم بيـت المقـدس.البيـشاوي: **نـابلس،** ص70، هامش 272،

(1) Anna Comnena **The Alexiad**. P. 355

(2) Fulcher of Charters.op.cit. p. 142. Albert d' Aix.pp. 521 - 523.، في تلك الأثناء ارسـل لاتـين بيـت المقدس إلى بلدوين صاحب الرها يخبرونه بوفاة اخيه جودفري.. ويعرضون عليه عرش بيت المقدس، وذلك فـي شـوال عام 493هـ/ديسمبر 1100م، وقبل بلدوين هذا العرض وشد الرحال متجها إلى المدينة المقدسة التى دخلها في 4 محـرم عام 494هـ/9 نوفمبر 1100م، انظر عبد الوهاب: **قيسارية،** ص 68 - 69،

(3) Richard,J,The Latin Kingdom of Jerusalem Trans From The Original by Jenat Shinty. Amesterdam.1979. vol. 1. p. 99.
اتخذ تانكرد موقفا معارضا لاستدعاء بلدوين الاول وتعينه حاكما على بيت المقدس خلفا لأخيه جودفري وكان تانكرد فـي موقفه هذا مؤيدا لدايمبرت. انظر وليم الصوري: المصدر نفسه،جـ 1، ص477.

(4)حيث تانكرد كان يكن الكراهيه لبلدوين، منذ ان نشبت بينهما المنازعات في قليقيه منذ ثلاث سنوات. انظر رانـسيمان: المرجع نفسه،جـ1، ص448،.Cf. William of Tyre. op. cit. vol.1. p. 40 - 41 .

(5)انظر رانسيمان: المرجع نفسه،جـ1،ص455.

مرتحلا إلى بيت المقدس مع أهل بيته وحرسه المؤلف من مائه فارس وسبعمائة مـن المـشاة، وكان فرحا مسرورا لما أصابه من الإرث والملك[1] ثم شق طريقه إلى الجنوب على الطريـق الساحلي،وقد حاول المسلمون استغلال تلك الظروف التي تمر بها المملكة، وحاولوا اعتـراض طريقه الا انهم لم يفلحوا في ذلـك، ووصـل الاميـر بلـدوين الأول فـي 25 ذي الحجـة 493هـ/تشرين الأول 1100م، إلى حيفا الميناء الفرنجي الوحيد في المنطقة[2] ومن المعروف أن حيفا تعتبر من املاك تانكرد ضمن إمارة الجليل، غير أن تانكرد كان وقت ذاك فـي بيـت المقدس يساعد البطريرك دايمبرت في محاولته الفاشلة لاستعادة برج داود من عساكر اللورين، وليس هذا فحسب بل حاول تانكرد الاستيلاء على القدس نفسها لانه كان يمني نفسه بان يصبح حاكما للقدس بعد وفاة جودفري وهو ما تدلل عليه شخصيته ذات الروح الاستقلالية والطمـوح الكبير، لذلك أصيب بخيبة أمل لكونه لم يقع الاختيار عليه لتولي هذا المنصب، علما انه كـان يعد الرجل الثاني في الدولة بعد وفاة جودفري، لذلك راودته فكرة الاستيلاء على السلطة وتكوين مملكة لنفسه على حساب العرش، ولكن قام بلدوين الأول قبل وصوله إلى فلسطين بإرسال هيو سانت اومر[3] للدفاع عن المدينة ضد تانكرد، واخفق الهجوم الذي شنه تانكرد فـي عـام 494 هـ/25 تشرين الأول 1100م، على المدينة المقدسة وبرج داود، وعند حيفـا أثـر بلـدوين أن يعسكر خارج المدينة، رغم أن أهالي حيفا من الإفرنج فتحوا له الأبواب.

وبعد ان استراحت عساكره بضعة أيام [4] واصل السير بمحاذاة الطريق الساحلي متجها إلى بيت المقدس في الوقت الذي كان فيه تانكرد يحاصر برج داود، وعلم بوصول بلدوين إلى حيفا

---

(1) Fulcher of Charters. pp. 352-354. Albert d' Aix. vol.31. p. 527.
انظر ايضا رانسيمان: المرجع نفسه،جـ1، ص45، فنك،**تأسيس**،جـ1،ص72

(2) Fulcher of Charters. pp. 354 - 356. رانسيمان: المرجع نفسه، جـ 1، ص 457 - 458

(3)كان هذا أول ظهور بشكل رسمي للأمير هيو دي سانت اومر على المسرح السياسي في فلسطين، ويبدو أن بلدوين قد حفظ لهيو هذه المساعدة، فكان أن كافأه بتعينه فيما بعد أميرا على اقطاعية طبرية. وكان من اعظم نبلاء الملـك بلـدوين الأول، الشارتري: ص 127، الصوري: جـ1، ص 489، نعيرات: بيسان، ص 55، هامش 1، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ 1، ص458. دويكات: **طبرية،** ص101

(4)الشارتري: المصدر نفسه، ص 142، رانسميان: المرجع نفسه، جـ1، ص458،

فأسرع عائدا إلى الساحل لمنع بلدوين من دخول يافا الا أن سكانها الفرنج طردوه ومنعوه مـن دخول المدينة بينما فتحوا أبوابها لبلدوين[1] وسط حماسة السكان غير انه لم يمكث بها وانطلـق نحو بيت المقدس، وآثر أن يتوجه أولا إلى جنوب فلسطين، وبالقرب من الخليل دخل في معركة سريعة مع المسلمين واسر خمسة واربعين رجلا قام بترحليهم الى برج داود في القـدس، كمـا استحوذ على كميات كبيرة من الأسلاب والغنائم، ووصل بلدوين إلى بيت المقدس في 4محـرم سنة 494هـ/9 نوفمبر 1100م[2]، بعد رحلة شاقة واجه خلالها مصاعب جمة، وخرج الفرسان والبارونات وقسم كبير من رجال الدين للقائه والترحيب به وابتهج الفرنجة مـن سـكان بيـت المقدس[3] بقدومه ودخل كنيسة القيامة وانسحب البطريرك دايمبرت البيـزي بطريـرك بيـت المقدس الى دير جبل صهيون، أما تانكرد فتحرك مع فرسانه وجنوده صوب الشمال الى امارته في الجليل ثم استقر في حيفا[4] وبهذا بات من الصعب عليه ان يصبح تابعا لبلـدوين، وبقيـت مدينة حيفا تدار من قبل اتباع تانكرد دون السماح للملك بلدوين التدخل في شؤونها، ولـم يقـم بلدوين الأول بزيارة إمارة الجليل بما فيها مدينة حيفا في تلك الفترة، ربما لعـدم رغبتـه فـي التصادم مع تانكرد المسؤول الأول عن الأمارة، ولم تشترك جنود وفرسان حيفا فـي الغـارات التى شنها الملك بلدوين الأول ضد المقاومة الشعبية الفلسطينية الموجودة على طريق الحجـاج،

([1])يافا مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب من مصب نهر العوجا واسمها تحريف لكلمـة (يـافى) الكنعانية بمعنى جميل، وهي من اقدم موانئ العالم، وقد بناها الكنعانيون، فتحها عمر بن العـاص، ووصـفها المقدسـي البشاري بأنها تقع على ساحل البحر ولكنها بلدة صغيرة، اما أبو الفداء فقد وصفها بأنها بلدة جميلـة ولهـا مينـاء وهـي محصنة جدا، وأسواقها مكتظة بالتجار، اما الإدريسي فقد وصفها بأنها نزهة بيت المقدس وتحيط بها الأشـجار البرتقـال والليمون، الادريسي: **نزهة**، جـ1، ص 364، البشاري: **أحسن التقاسيم**، ص 174، شراب: **معجم**، ص 726.

([2]) William of Tyre.vol.1.p. 41. Cf. Stevenson.p. 42. Conder. op. cit.p. 8
Fulcher of Charters. pp. 142 - 143..p. 143.Note. 7.Albert d Aix.op. cit.pp. 531- 532
رانسيمان، جـ1،ص459، السيد: **الخليل**، ص113.

([3])الشارتري: المصدر، نفسه ص 143،. Albert d' Aix. pp. 530 - 531. William of Tyre. vol.1. p. 422. Richard. pp. 31 - 32.
انظر رانسيمان: المرجع نفسه،جـ1، ص458، البيشاوي: **نابلس**، ص51 - 52.

([4]) Fulcher of Charters.vol.11.iii.13 - 14.pp. 368 - 369
رانسيمان: المرجع نفسه،جـ1،ص 459. البيشاوي: **نابلس**، ص 73، السيد: **الخليل**، ص 113-114.

وفي وادي فلاح جنوب شرق حيفا وعلى جبل الكرمل، وبين يافا وبيت المقدس[1] . وما حـدث في فلسطين من فوضى منذ وفاة جودفري لم تلبث أن زالت بعد قدوم شقيقه بلدوين الذي وصل إلى فلسطين في يوم عيد القديس مارتن الموافق يوم الأحد الأول من محرم 495 هـ/11 تشرين ثاني 1100م .

اتخذ بلدوين الأول لقب ملك بيت المقدس بموافقة الجميع وعن طيب خاطرهم[2] على أن بلدوين الأول بلغ من الحكمة والتعقل ما يمنعه من الانتقام ولم يتخذ آية إجراءات ضد خصومه، خوفا من إثارة الفتن[3]والاضطرابات في تلك الفترة الحرجة مثل عـزل البطريـرك دايمبـرت البيزي وتركه ينعم بكل ما حازه من حقوق، بينما توجه بلدوين في غزوه لقتال العرب[4]، بعـد ان اعد قواته ونظم جيشه وتحرك في جولة استطلاعية، على ان دايمبرت أدرك انه من الخيـر له أن يقبل هزيمته، ويقتنع بما حدث، وتبددت آمال البطريرك دايمبرت في إقامة حكومـة ثيـو قراطية قوية.

---

(1) Albert d' Aix.pp.533 - 536.Cf.Also Steveson.p. 44.
وصف فوشيه الشارترى المقاومة الاسلامية والفلسطينية والعربان في جنوب فلسطين باللصوص، لانهم دأبو على الترصد للمسيحيين وقتلهم في المنطقة الواقعة بين الرملة وبيت المقدس، كما تحدث عن قيام الملك بلدوين الاول بقتل عـدد كبيـر منهم، كما وصف اشكال الارهاب فيذكر انه عندما الم الذعر بالمسلمين واعتصموا بكهوف الجبال قام الصليبيون باشـعال النيران عند مدخلها وسرعان ما خروجوا منها بسبب الدخان والنيران واحدا تلو الاخر، وعندئذ عملوا فيهم السيف وقطعوا رؤوسهم، كما تم نهب ما لديهم من فضة وماشية، انظر Fulcher of Chartres. pp. 143. 144. انظر السيد: المصدر نفسه، ص 113، هامش 3،

(2) Fulcher of Chartres. op. cit.pp. 369 - 370. Albert d' Aix.p.531 - 532 Willam of Tyre. X. 6. 1.
pp. 410- 411.رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 459، البيشاوي، **نـابلس**، ص 52 - 53، دويكـات: **طبريـة**، ص100- 101.

(3) Fulcher of Chartres.p. 143.op. cit. Loc.cit
البيشاوي، **نابلس**، ص 52 -53،. رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 459

(4) عاشور: **الحركة**،جـ1، ص277. رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 459.

مع العلم أن بوسعه أن يبقى محتفظا بسيادته الاسمية[1] . اما تانكرد أمير الجليل فكان وصـول بلدوين الأول إلى العرش طالعا سيئا له، وكان الكثر ضراوة وصلابة، إذ رفض تانكرد أن يؤدى يمين الولاء لبلدوين[2]، كما رفض مقابلة الملك الجديد الكثر من مرة حينما اسـتدعاه فـي عـام 494هـ/كانون ثاني 1101م، إلى بيت المقدس ليرد على ما حدث من تمـرده علـى رغبـات الأمير المتوفى جودفري والمعروفة حول تسليم حيفا، غير أن تانكرد رفض مرتين ما وجهـه إليه بلدوين الأول من دعوته، وعند ذلك عقد بلدوين الأول المحكمة العليـا - CaurtLe Roi (Curia Regilis محكمة الملك) التي أقرت بأحقية جالديمار في امتلاك المدينة، الا أن تانكرد رفض في بداية الحكم، ثم وافق أخر الأمر على أن يلتقي بالملك بلدوين الأول على شاطئ نهـر العوجا الصغير، بين يافا وأرسوف، غير انه لما حان وقت اللقاء لم يظهر تانكرد، وطلـب أن يكون الاجتماع في حيفا بدلا من نهر العوجا[3] . أمام هذه الأزمات التي تعرض لهـا تـانكرد، ونجاح بلدوين بالوصول الى بيت المقدس[4] وقرار المحكمة العليا (محكمة الملك) التـي أقـرت بأحقية جالديمار بامتلاك حيفا، ورفض تانكرد في البداية للحكم، وكان تتويج بلدوين ملكا علـى بيت المقدس في موكب مهيب . وتبددت آمال كل من تانكرد ودايمبرت في تحقيـق أهـدافهما، وشعرالأول بحرج موقفة وسط تلك الأزمة، ولكن الأوضاع سرعان ما تغيرت بوصول رسـالة من أهل إنطاكية في 494 هـ/آذار 1101م، يدعو تانكرد والتي تدعوه لتسلم زمام الوصايا على انطاكية خلفا لخاله بوهميند الذي وقع في أسر المسلمين حلا ناجحا للموقـف بـين الـرجلين[5]

([1])الشارترى: المصدر نفسه، ص143، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 458 - 459، نعيرات: **بيـسان،** ص94. دويكات: **طبرية،** ص100 - 101.

([2]) William of Tyer.op.cit vol.1. p. 400. Stevenson. pp. 43 - 44.
انظر رانسيمان: المرجع نفسه،جـ1، ص 459. البيشاوي: **نابلس،** ص 52.

([3])الشارتري: المـصدر نفـسه، ص 165، ولـيم الـصوري: جــ1، ص Albert d Aix. op.cit.p. 537،488 ، رانسيمان:، جـ 1، ص 460،

([4]) Albert d' Aix.op. cit.p.537.William of Tyre. op. cit.p. 400.
Stevenson. op. cit.pp. 43 ، نعيرات: **بيسان،** ص 94

([5])الشارترى: المصدر نفسه، ص Albert d' Aix.op. cit.pp.537 - 538.113
وقد جاء في رسالة أهل انطاكية الى تانكرد ما يلى:

وأخيرا تمت المصالحة بين بلدوين الأول وتانكرد في لقاء تم في ميناء حيفا في 5 جمادى الأول 494 هـ/8 آذار 1101م، وقد أسفر ذلك عن تخلي تانكرد عن البلاد التابعة لـه، إلـى الملـك بلدوين الأول، وبهذا تكون حيفا قد اصبحت خاضعة للسيادة الملكية[1]، بشرط أن يكون من حق تانكرد استرداد تلك المناطق إذا عاد قبل انقضاء ثلاث سنوات وثلاثة اشهر[2] وقد وافق بلدوين الأول على ذلك، وغادر تانكرد فلسطين في السادس من جمادى الأول 494 هـ/التاسع من آذار 1101م، ليباشر نشاطه في شمال الشام وسط أسف شديد من قبل الجميع عليـه يحمـل أمانيـه الطيبة [3] وضحى بالآمال التي كان يترقبهـا بعـد وفـاة جـودفري البويـوني Godfry of Bouillon)) وحدث يوم عيد الميلاد سنة494 هـ/1101م، أن بذل بلدوين الولاء للبطريـرك دايمبرت البيزي الذي توجه ملكا [4] ليصبح أول ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية ولعل السبب الذي من اجله أقدم الملك بلدوين الأول على تفتيت إمارة الجليل إلى اقطاعيـات صـغيرة هـو صراعه مع تانكرد، وما لمسه من خطورة تجميع الأملاك بهذا الحجم في يد أمير واحد[5] لـذلك

لا تتاخر بل احضر الينا وتولى الحكم علينا وامتلك مدينة انطاكية والبلاد الخاضعة لها الى ان يعود اللورد بوهميند سـيدنا وسيدك من الأسر، فانت من اهله، وانت بصير بالعواقب في الحرب، وأنت اقوى منا واقدر على الدفاع عن هـذه الـبلاد واذا ما عاد اللورد بوهميند فسنفعل ما يلزم، انظر رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 460.

(1)الشارتري: **تاريخ الحملة**، ص 113 - 114، William of Tyre. p. 428.

مونروند: الحرب المقدسة، جـ1، ص 214 .

(2)الشارتري: المصدر نفسه، ص114 .53 - Albert d' Aix.op. cit.pp.537

Cf. Also Steveson.op.cit.p.74. Deschamps,.B. op.cit.vol. 1. p. 125

رانسيمان: المرجع نفسه،جـ1، ص460..

(3)الصورى: المصدر نفسه،جـ1، ص489 .

البيشاوي: Fulcher of Chartres.op. cit.pp. 28 - 135 - 150-151 , Albert d' Aix.op. cit.pp. 538 -540.

الممتلكات، ص 74. رانسيمان: المرجع نفسه،جـ1، ص 460.

(4).ulcher of Chartres, pp. 384-385 , Albert d' Aix.vol. pp. 536- 537

William of Tyre.op.cit.vol. 1. pp. 413- 414.

رانسيمان: المرجع نفسه،جـ1، ص 460.، البيشاوي: **الممتلكات**، ص74. ونجح البطريرك دايمبرت البيزي باسـتعادة جزء من اعتباره عندما توج بلدوين الأول في بيت لحم بدلا من تتويجه في العاصمة (بيت المقدس)، وتمـسك دايمبـرت بمكانته الخاصة (السيد الأعلى لبيت المقدس)، ولكن عاد وغضب عليه الملك بلدوين الأول الذي اقطعه مكانا منعزلا حول طبرية وظل به منعزلا طوال شتاء (494 - 495هـ/1101 - 1102م) انظر تاريخ الحروب الصليبية، جـ1، ص 73.

(5)الشارتري: المصدر نفسه، ص 144، .Cf. Also Steveson.op.cit.p. 74

دويكات: **طبرية**، ص101، نعيرات: **بيسان**، ص 144

فكر في اتباع سياسة تهدف إلى ربط وتقوية صلة الإقطاعيات الفرنجية بالتاج مستقبلا، وبصورة مباشرة الحرص على تقوية نفوذ الملك تجاه الأمراء الاقطاعيين، لذلك عمل على تقسيم الإمـارة بهدف تقوية الرقابة على الأمراء الجدد، والتقليل من الموارد العسكرية والاقتصادية التـي فـي حوزتهم، بتشتيت أملاكهم، والمضاعفة من قوة ونفوذ التاج، وعليه فان السادس مـن جمـادى الأول 494 هـ/التاسع من آذار 1101م، كان هو التاريخ الأكثر قبولا لقيام اقطاعية حيفا، وهو تاريخ مغادرة تانكرد للأراضي الفلسطينية. وقد تبين أن قدوم بلدوين الأول إلى بيـت المقـدس بالوقت المناسب هو الذي قضى على بوادر الانقسامات في صفوف فرسان الفرنجة في المملكـة اللاتينية في بلاد الشام، في وقت كان الوضع العسكري ومستقبل الفرنج يحتم على كل فرنجـي في الأراضي المقدسة أن يحمل السلاح. وقام الملك بلدوين الأول بمنح حيفا لجالديمار كاربنيل(1) وأصبحت حيفا والزمام الزراعي المحيط بها تشكل اقطاعية فرنجية قائمة بذاتها، وقد جرى ضم منطقة جبل الكرمل لحدود هذه الاقطاعية (2) وحتى وادي فلاح في اتجاه الجنوب الشرقي، والتي استمرت تؤدي الخدمات العسكرية والكنسية والمادية لمملكة بيت المقدس اللاتينية حتى استردها السلطان صلاح الدين الأيوبي عقب معركة حطين 583 هـ/ 1187م وقـد عـاد الفرنجـة واستولوا عليها أثناء الحملة الفرنجية الثالثة عام 587 هـ /1191م وعندما غادر تـانكرد(3)

---

(1) Fulcher of Charter.op. cit. pp. 135- 136.William of Tyre. vol. 1. p. 411. Beyer.J.Akko ,p.249.
لم تستمر سيطرة الأمير تانكرد على حيفا اكثر من سبعة شهور، Richard.J. op.cit.vol.1. p. 85
انظر ايضا ابن الأثير: **الكامل**، جـ10، ص 30، البيشاوي: **نابلس**، ص73- 74، دويكات: **طبرية** ص 101.

(2) Richard.J. op.cit.vol.1. p. 86 Albert d' Aix.op.cit.p.538.
نعيرات: بيسان، ص 94. 13 - 12 Cf.Also Rohricht.R. Regest. Poc. No. 57. pp.
عندما رأى جالديمار كاربنيل أن الملك بلدوين الأول قد أرسى العدالة ووقف إلى جانبه، واخذ يشكو بشدة المظـالم التـي أوقعها به تانكرد فيما يتعلق بمدينة حيفا التي تولاها جالديمار منحه من القائد جودفرى البويوني، الذي استحق طاعة الجند، ولكن تانكرد استولى على المدينة عندما علم بموت الأمير جودفري البويوني، وعندما استمع الملك بلدوين لهذه الـشكاوي عقد مجلسا للتشاور مع رجاله بخصوص هذا الأمر Cf.Albert d' Aix.op. cit.p.537.

(3) تانكرد: أحد الأمراء النورمان القادمين من إيطاليا، وينتمي لاسره شهيرة فوالدة هو الماركيز ادويـونز Odo Bonus ووالدته اما Emma ابنه روبرت جويسكارد، وقد استطاع تانكرد أن يكون بحق اشهر من أخواله الـذين حققـوا مجـدا عسكريا فلم يغره ثراء ابائه، فلم يكن مبذرا، ولم يثر سلطان عائلته في نفسه نوازع التعالي، فقد فاق أقرانه فـي اسـتخدام السلاح، وتجلت علامات شجاعته بين الجميع لانه جنديا على درجة عالية من الكفاءة، ومع ذلك فهو يعمـل فـي خدمـة جودفري البويوني (حامي القبر المقدس) على الرغم من الثروات التي كانت تفيض بين يديه.

فلسطين إلى إنطاكية في 494هـ/1101م، وتنازل عن أمارة الجليل بما فيها حيفا إلـى الملـك بلدوين الأول الذي قام بمنحها إلى جالديمار كاربنيل [1] وربما ظلت حيفا متحدة مع أمارة الجليل بين عامي 503- 506 هـ/1109 - 1112م، وعلى الأغلب فقد شكلت حيفا منطقة، معتـرف بها قانونيا، بعد مقتل سيدها جالديمار كاربنيل في معركة الرملة الاولـى[2] 494هـ ـ/1101م، وتحولت حيفا وما يحيط بها من قرى إلى اقطاعية صليبية خضعت لروجـر الحيفـاوي(وسـيد اقطاعية الخليل أيضا[3]. اما حدود الاقطاعية فليس من السهولة بمكان تحديدها تحديدا دقيقا لكون الحدود كثيرا ما تتغير إما بإضافة أجزاء أو بفقدان أخرى، ومع ذلك يحاول الباحـث أن يرسـم حدودا تقريبية لإقطاعية حيفا، وان حدودها في الجنوب تبدأ من شـمال قلعـة Destricum دوستري على شاطئ البحر المتوسط وجنوب خربة بير الحرامية Haramisالواقعة في اقطاعية حيفا والتي تشكل السلسلة الجنوبية المنحدرة من جبل الكرمل تجاه ساحل البحر والواقعة قـرب بلاد الروحة أرض منخفضة وكثيرة الذي يفصل اقطاعية حيفا مـن الجنـوب عـن اقطاعيـة قيسارية، ومن أعالي هذا الوادي تنحني الحدود في اتجاه الجنوب الشرقي بمحاذاة سلسلة جبـل

Cf. Raoul de Caen. Gesta Tancridd.p.p. 605-703. William of tyre.vol. I. p.p. 69-134. ،.Chalandonf. History de La Premiere Croisade.Paris 1925. p. 300. Grousset. R. vol.I. P. 179 انظر البيشاوي: **نابلس،** ص 66، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ 1، ص 416 - 460،

([1])جالديمار كاربنيل :Geldemar Carpenel من بين الفرسان الذين اشتركوا مع بقية الجيش الصليبي بالاستيلاء علـى مدينة حيفا، وعندما رأى جالديمار أن تانكرد قام بضم حيفا لامارته، قام بمغادرة المدينة مع مجموعة من اتباعة واتجه إلى قلعة الخليل، نظر لعدم قدرته على الوقوف في وجه تانكرد والبطريرك دايمبرت البيزي، وبعد أن توج الملك بلدوين الأول على العرش المملكة، قدم له جالديمار شكوى بخصوص مدينة حيفا التي سلبها منه تانكرد، وبعد أن تسلمها بفترة وجيـزة قتل في معركة الرملة الاولى 494هـ/1101م.

Cf. Albert d Aix.p.p. 523- R. 37 - 549. Cf. Also. Richard. J. vol. p. 404انظر البيشاوي: **الممتلكـات،** ص 73، هامش (1)، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 447 - 449.

([2]) Rohricht. R. Geschichte des Kongreichs Jerusalem Innsbruch. 1898. Cf. Also Albert d Aix. .549-553 - 537 - 523 .p.pانظر رانسيمان: المرجع نفسه، جـ1، ص 447 - 460، البيشاوي: الممتلكـات، ص 73، هامش (1)

([3])قامت منظمة الداوية العسكرية بإنشاء قلعـة دسـتروي Destrictum فـي النـصف الأول مـن القـرن الـسادس الهجري/النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي وقد عهد اليهم بها لحمايتها وحماية الحجاج وطرق القوافل من عكا وحيفا إلى يافا وبيت المقدس، وبالقرب من نفس المكان أيضا قام الداوية بإقامة قلعة أخرى في هذا المنطقة عرفت باسـم قلعة الحجاج أو قلعة عتليت. انظر أيضا عبد الوهاب: **قيسارية،** ص 95، هامش (96)

الكرمل الذي يقع اغلبه في اقطاعية حيفا، حتى يصل شرقي خربة السلطانية وتل القيمون، وتمثل منطقة وادي فلاح خطرا كان يهدد الفرنجة عندما كانوا يمرون عبر هذا الطريق، لوجود المستنقعات نتيجة لتراكم مياه الأمطار، فضلا عن كثافة أشجارها [1]

اما حدود اقطاعية حيفا من الشمال فتبدأ من مصب نهر المقطع (ذراع دلتا كيشون Kison delta عند الطريق الجنوبي لخليج عكا، وتسير حدودها الشمالية بمحاذاة مجرى نهر كيشون الذي يفصلها عن منطقة عكا، وتستمر الحدود في الامتداد في اتجاه الجنوب الشرقي بمحاذاة مجرى نهر المقطع الجنوبي والذي يفصل اقطاعية حيفا عن إمارة الجليل حتى يصل تل القيمون والالتقاء هناك مع الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية للإقطاعية، وبهذا فان مساحة اقطاعية حيفا بلغت تقريبا آنذاك 200 كم . ويحيط بالإقطاعية من جهة الشرق عدد من الإقطاعيات الصليبية الاخرى مثل القيمون من أمارة الجليل وجزء من منطقة عكا، اما من جهة الغرب فيطل جزء من اقطاعية حيفا على البحر الأبيض المتوسط، وقد ترك هذا الموقع الجغرافي الفريد أثره عليها، إذ كانت حلقة الوصل بين شمال مملكة بيت المقدس وجنوبها، وسوف تتضح أهمية هذا الدور عندما تصبح هذه المملكة قاصرة على المنطقة الساحلية فقط، وبالتالي سوف تزداد أهمية اقطاعية حيفا.

5.2 نظام الحكم الإقطاعي في حيفا وغيرها من المدن التي خضعت للسيطرة الفرنجية

مارس الفرنجة في حكمهم لبلاد الشام ومملكة بيت المقدس نظام الحكم الإقطاعي الغربي، وتبنوا أشكال الحكومة التي عرفوها في بلدانهم الأصلية وبخاصة في فرنسا[2]، وقد قام الأمير جودفري، أول حاكم لاتيني لبيت المقدس بوضع أساس النظام الاقطاعي في بلاد الشام وفلسطين، غير ان السمات البارزة لهذا النظام لم تظهر في عهده بسبب قصر المدة التي حكمها،

---

(1) Beyer.G.Das Gebit Caesarea.pp. 19 -20. Cf. Also Muller Gastles of the Crusdes.pp. 71-72

(2) جوناثان رايلى سميث: **الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص**، ص 21. سعيد عاشور: المرجع نفسه، جـ1، ص 466، براور: **عالم**، ص 130، دويكات: **طبرية**، ص 123

وقد بدأت ملامح هذا النظام بالوضوح في عهد أخيه بلدوين الأول[1]، أول ملوك مملكـة بيـت المقدس اللاتينية الذي توج في ديسمبر 1101م، وقد اتضح هذا النظام عندما قام بتقسيم إمـارة الجليل بعد رحيل تانكرد إلى إنطاكية سنة 494هـ /1101م، فقد احتفظ بجزء مـن الإمـارة، وأقطع الباقي لبعض الأمراء المقربين منه، والذين يثق بهم ويأمن جانبهم، أمثال هيو دي سانت اومر Hugh de sainte Omer [2] و جالديمار كاربنيل،

إن تكامل الأنظمة الاقطاعية الفرنجية قد اصبح واضحا في جميع النـواحي زمـن الملـك بلدوين الثاني 512 - 525هـ/1118- 1131م[3] حيث أصبحت الحكومة الـصليبية قويـة بصورة واضحة، بعد أن أحكمت قبضتها على جميع الأنظمة الاقطاعية،عنـدما دفـع الأمـراء والسادة الأموال التي تلزمهم بالتبعية الاقطاعية، إذ كان ملك بيت المقدس يحتـل قمـة الهـرم الاقطاعي في المملكة، وهو القائد الأعلى للجيش، والمتحكم في الأراضي والموارد فضلا عـن الإقطاعيات التي تؤول إليه عند انقراض الأسر الاقطاعية[4]، ثم يليه أربعة مـن كبـار الـسادة الاقطاعيين، ثم يليهم سادة الإقطاعيات الصغيرة[5] وهم الذين كان يعهـد الـيهم ادارة شـؤون

.Fulcher of Charters. op.cit. p. 148.Albert d' Aix.op. cit.pp. 536 - 537([1])
William of Tyre. op. cit. vol. 1. p. 427.Jaen d Iblin.op. cit. vol. 1. p. 327.
براور: المرجع نفسه، ص 31 - 32، ماير: **تاريخ الحروب**، ص 458، انظر: البيشاوي: **الممتلكات**، ص 74.

([2])هيو دي سانت اومر :Hugh de St. Omer ينتسب هذا الامير لمنطقة فولكنبورغ في فرنسا وذلك لانه من مواليد تلك البلد، وكان هيو قد حكم مدينة سانت اومر Saint More في ظل السيادة الاقطاعية لاسرته وهي اسرة des Chastllanis de Sainr Omer منذ القرن السابع الميلادي، ومن هنا جاء ارتباط اسم الاسرة بالمدينة، وكان يعد من اعظم نبلاء الملك بلدوين الاول، انظر الشارترى: ص127، الصوري: جـ 1، ص 489، دويكات: طبريا، ص50 - 52.

([3])براور: المرجع نفسه، ص 130. البيشاوي: **الممتلكات،** ص 77،

([4])عن المواريث الحشرية، انظر القلقشندي، جـ3، ص 460، المقريزي: **الخطط،** جـ1، ص 111، العرينـي: **نمـو،** جـ2، ص 43، نعيرات: بيسان، ص 103، هامش 7: صدر بعد سنة 573هـ/ 1177م، القانون الذي يجيـز لوارثـة الاقطاع أن تختار لها زوج من بين الثلاثة الذين يرشحهم الملك، على أن بلدوين الثالث عرض، فـي سـنة 545هـ ـ/ 1150م، على كونستانس أميرة إنطاكية أن تختار واحدا من بين ثلاثة رجال تقدموا لخطبتها، ومع ذلك لم يجبرها علـى أن تقبل احدا منهم، انظر رانسيمان:تاريخ الحروب، جـ1، ص 477، هامش 3.

([5])عاشور: المرجع نفسه، جـ1، ص 466. برروار: **عالم**، ص 130، باركر: **الحروب،** ص55، وهم الأمراء الاربعـة بعد الملك سيد صيدا، امير الجليل، أمير كونتية يافا وأمير الكرك والشوبك، انظر رانسيمان: **تاريخ الحـروب الـصليبية،** جـ1، ص 87297 Cf. Richard.J. op.cit.p. ،. ثم هناك اثنا عشر اقطاعية صغيرة وهي اللـد والرملـة ونـابلس

الاقطاعية والإشراف على مختلف جوانب الحياة فيها، وكانت علاقة السيد الاقطاعي بالملـك إذ يصبح الاقطاعي تابعا للملك أو احد افصاله Vassals تحكمها حدود وابعاد الروابط والعلاقـات الاقطاعية، وأبعادها إلى جانب الالتزامات الاقطاعية الواجبة عليهم وخاصة الخدمة العسكرية، وبقية الالتزامات الاقطاعية التي عرفها الصليبيون في اوروبا آنذاك(1)، فضلا عن تزويد الخزانة الملكية بجزء من واردات الاقطاعية المالية، إذ كان الدخل الملكي في بيت المقدس يعتمد علـى الضرائب المفروضة على الأراضي المقطعة(2) كذلك كان من واجب الفصل (المُقطع) أن يدافع عن الملك ويثأر له، وان يكون رهن يديه في وقت الحاجة له، ويقدم لسيده الملك مـا يحتاجـه، وان يكون صادقا معه(3) اما عن واجبات الملك تجاه السيد الاقطاعي، فقد كان من واجبة حماية الإقطاعيات من الغارات الخارجية المعادية، والمساعدة في إقامة التحصينات والقـلاع اللازمـة لحماية الإقطاعيات والمدن وطرق المواصلات وتقويتها، وكان على الملك الـصليبي أن يقـوم بتعويض السادة الاقطاعيين عن خسائرهم في الحرب(4) ومن واجباته أيضا تطبيـق القـوانين، والحفاظ على أرواح الناس، وتحقيق الأمن في المملكة إضافة إلى قيادة الجيوش الملكية، ومـن واجبات الملك العمل على تطبيق القوانين وحماية الكنائس، ولذلك شاهدنا كيـف قـام الأميـر

والخليل وحيفا وبيسان وارسوف وقيسارية والقيمون وتبنين وبانياس، واسكندرونه، وطبرية وبيروت. دويكـات: طبريـة، ص 123.

. Vitry of Jerusaeem.vol. 11. p. 26..Jacgues de ([1])

سعيد عاشور: **الحركة الصليبية،** جـ1، ص 455466 - 453 .Cf. Also Mayer: The Crusades. p.p ..

كان يتعين على السيد الاقطاعي الذى يحلف يمين الولاء ان يركع أمام الملك ويضم يدية ويضعها بين يدين الملك. انظـر .Jacgues d' Ibelin.op. cit.p. 454وكان السادة الإقطاعيون الذين يقدمون يمين الولاء والطاعة للملـك يخاطبونـه بقولهم (أيها الملك نحن نعلم انك كما وصفت نفسك لنا، ونحن على أتم الاستعداد لتلبية اى طلب تطلبه منا، ونصبح معـك في كل ما يتعلق بشؤون الإقطاعيات والمملكة، أيها الملك لقد أقسمت بإنجيل الرب انك سوف تبقى وتحمى كل ممتلكاتـك، ونحن في ذلك جنودك الذين ناصرهم ا للدفاع عنك وعن ممتلكاتك المقدسة.انظر البيشاوي: **الممتلكات،** ص 81، هامش 1.

([2]) Prawer.The Latin Kingdom.p. 119.، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 478.

([3]) Besant and Palmer.op.cit.p.225.، انظر دويكات: **طبرية،** ص 124.

([4]) Besant and Palmer.op.cit.p. 225.

البيشاوي: الممتلكات، ص 82. دويكات: **طبرية،** ص 124.

التميمي: **الحروب،** ص 72 - 73.

جودفري البويوني حاكم بيت المقدس بمعاونة أمير الجليل تانكرد في بناء تحـصيناتها طبريـة حينما استولى الصليبيون عليها[1] كذلك كان ملك بيت المقدس مقيدا في كثير من المسائل الهامة برأي أمرائه الاقطاعيين و افصاله ورأى المحكمة العليا، فلم يكن بوسعه أن يعزل أي أميـر أو سيد عن اقطاعه الا بموافقة المحكمة العليا[2]، لذلك حين قام الملك عموري الأول ملـك بيـت المقدس، بانتزاع إقطاع رالف سيد طبرية دون قرار صادر عن المحكمة العليا، اصطدم القرار الملكي هذا بمعارضة شديدة وعلنية لم تتوقف الا بعد التوصل الى حل وسط يسمح بالحفاظ على ماء الوجه للطرفين[3]، على الرغم ان الملك كان زعيم النبلاء ورئيس المحكمة العليـا، الا انـه خضع للقانون الذي جعل مكانته مساوية لمكانة سائر افراد المجتمع في المملكة، وامتاز الـسيد الاقطاعي الصليبي عن نظيره السيد الاقطاعي في الشرق بقيامه بإدارة كل الأمـور بمـا فيهـا القضاء ـ وباستثناء ما يتصل بالقانون الكنسي، فإن كل الإدارة الخاصة باقطاعيته كانت تـأتمر بأوامره بما فيها القضاء، بينما كان السيد الاقطاعي الشرقي يهتم بإدارة شؤون أراضيه ولا سيما من الناحية المالية، وكانت العدالة من اختصاص القاضي[4].

إهتم الفرنجة في اقطاعية حيفا بالنواحي الدفاعية، وذلك عبر تشييد سلسلة مـن الحـصون والقلاع[5] على طول شاطئ الاقطاعية وجبل الكرمل، وقد شيدت القلعة أو الحصن لغرضـين:

([1]) انظـر نعيـرات: بيـسان، ص102. دويكـات: طبريـة، ص 124 - 125، Albert d' Aix. op.cit.p.517. البيشاوي: الممتلكات، ص 81 - 82. Benvenisiti. M. op. cit.pp. 275.

([2]) Richard. J.The Latin Kingdom of Jerusalem.vol. 1. p. 93. Runciman. S. op. cot.vol.2. p. 300 Cf. Also: Barker.The Crusades. 38. Mayer.E. H.op. cit.p. 308 .، البيشاوي: الممتلكات، ص81

([3]) مايز: المرجع نفسه، ص 358، Jeah d' Ibelin.op. cit. vol. 1. p. 327. ، انظر دويكات: طبرية، ص 124. البيشاوي: الممتلكات، ص93. Runcinman. S. op.cit vol.2. p.300.

([4]) كلود كاهن: الشرق، ص 201. دويكات: طبرية، ص 124 . Richard. J. The Latin Kingdom. vol.1. p. 93.، باركر: المرجع نفسه، ص 59.

([5]) القلعة: هي الحصن الممتنع المشرف في منطقة جبلية أو في مدينة، أو على السواحل، وهي تـشمل أيـضا المطـامير والخنادق وما يشابهها من حصون ومعاقل، ابن منظور: لسان العرب، جـ 8، ص290، الفيروز ابـادي: جـ 1، ص 975، والقلعة بسكون اللام هي الحصن المشرف، المقريزي: الخطط،جـ 3، ص 25،

الأول عسكري بمعنى المكان المحصن المعد للدفاع عن شواطئ وحدود الاقطاعية وحمايتها من انزالات وغارات الأعداء، والثاني باعتبارها المكان المخصص للسكن(1)، حيث كان سيد حيفـا يقيم في هذه القلاع والحصون الواقعة داخل أسوار المدينة، ومن هناك تدار شـؤون الاقطاعيـة الإدارية والعسكرية(2)، وكان سيد اقطاعية حيفا هو وحده الذي يستطيع أن يتصرف بإقطاعيته كيفما يشاء، فيمكنه التنازل عن إقطاعيته أو عن جزء منها إلى غيره من النبلاء(3)، وهذا يعنـي انه كان ينبثق عن الإقطاعيات الكبيرة اقطاعيات اصغر منها يتمتع بها النبلاء الخاصون بالـسيد الاقطاعي الكبير.

ولذلك فإننا نجد سلسلة من الارتباطات الاقطاعية التي تنشأ بكل ما يتعلق بملكية الأرض، وتتوزع هذه الروابط بين عدد كبير من النبلاء الذين تتحدد أهميتهم حسب مكـانتهم و تـدرجهم الاجتماعي، وكثيرا ما كان يلجأ السادة الإقطاعيون إلى منح أجزاء من الاقطاعية إلـى القـادة العسكريين والجنود البواسل، حتى يقوموا بحماية اقطاعية هذا النبيل " السيد الاقطاعي"

ويتضح من هذا كله أن النظام الاقطاعي الذي طبقه الصليبيون في بلاد الشام وفلسطين هو على ما كان سائدا في اوروبا من نظم اقطاعية في العصور الوسطى، مـع أجـراء بعـض التغيرات التي تتلاءم مع التركيبات السكانية في البلاد(4)، مثل قانون الخدمة العسكرية، الذي لـم يحدد الخدمة الحربية بفترة محددة من السنة لحاجة المملكة الدائم للقتال مع المسلمين، بالإضـافة إلى الأحكام والقوانين التي تمنع تركيز الإقطاعيات في يد نبيل واحد، حتى تتمكن كل إقطاعية من تقديم الخدمة الحربية المطلوبة منها وعدم قدرتها على الانفصال أو التمرد على حكام بيـت

---

(1) .Benvenisiti.op. cit. p. 277، نعيرات: **بيسان**، ص 111،

(2) .Albert d' Aix. op.cit.p.518انظر ايضا سميل: **الحروب الصليبية**، ص 30.

(3) .Chalandon - F - op. cit. p. 300 سعيد البيشاوي: **الممتلكات الكنسية**، ص 82

(4)براور: عالم، ص 128، البيشاوي: الممتلكات، ص66. ويقول براور: أن النظام الاقطاعي الصليبي في مملكـة بيـت المقدس، وعلى أساس من النظام الاقطاعي، وهو النظام الوحيد الذي كان يعرفه الغرب، وان كان قد تم تعديلـه لمواجهـة الظروف المحلية والتحديات الخاصة.أنظر:**عالم الصليبيين**،ص128

المقدس [1]ويلي السيد الاقطاعي، في الهرم الوظيفي في الاقطاعية الكند سطبل[2] وهـو الـذي ينوب عن السيد اللورد الاقطاعي في إدارة شؤون القلاع والحصون والأبراج والأسـوار فـي اقطاعية حيفا، والذي يشترط فيه أن يكون من ذوي الخبرة العسكرية حتى يتمكن مـن تحقيـق الهدف من بناء هذه الحصون والقلاع، وكان منصبها وراثيا في معظم الاحيـان، حيـث يـتم اختيارهم من بين الفرسان أو السادة الاقطاعيين، ويتولى مهام منصبه بعد أن يؤدى يمين الولاء والإخلاص والأمانة لسيد الاقطاعية والملك، وتعتبر وظيفة الكند سطبل مـن اكثـر وظـائف المملكة والإقطاعية الصليبية أهمية، إذ يوكل اليهم المحافظة على الأمن والنظام في المدينة.

اما الفيكونت " Viscont " [3]فهو نائب سيد الاقطاعية في رئاسة المحكمة البرجوازية، وجباية الضرائب والرسوم، والغرامات وتنفيذ الأحكام التي تصدرها المحكمة[4] وهو الذي يـضع يـده على الأملاك التي ليس لها وريث (المواريث الحشرية)[5]، والإشراف على نفقات الحكم المحلي، واعتقال المجرمين - وكان دوره بارزا في المدن الساحلية مثل حيفا للأشـراف علـى الميناء واستقبال الحجاج والقادمين الجدد من اوروبا وتحقيق الأمن لهم، وكان يقيم داخل أسوار حيفا في القلاع باعتباره من أهم موظفي الإدارة المحلية[6] ويأتي في الهـرم الـوظيفي بعـد الفيكونـت

---

(1) Archer and Kingsford. The Grusades. The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem. p. 128. البيشاوي: **الممتلكات،** ص 77.

(2)الكند سطبلConstable ، واصل الكلمة لاتيني مأخوذة من الكلمة Conelanus او Comesabuli والتي تعنـي فـي العصور الوسطى حاكم القلعة أو حاميتها، وهو ضابط الأمن في مملكة بيت المقدس الفرنجية، والقائد الحربـي الـرئيس للملك ويقوم بتوجية الجنود والقادة أثناء المعارك الحربية، انظر ماير: الحروب، ص241، البيشاوي: الممتلكات، ص194، ريشار: **تكوين،** ص 153، نعيرات: **بيسان،** ص 112، هامش 1.

(3)الفيسكونت :Visvount هو نائب اللورد، وكان منصبه وراثيا في معظم الاحيان وهو من صـفوف النـبلاء او مـن الفرسان او السادة الاقطاعيين التابعيين للملك، وهو الوكيل المالي للمنطقة وهو الذي يحرر الاعلانـات ودعـوات الملـك للنبلاء من اجل تقديم الخدمة العسكرية، كما كان مسؤولا عن قيادة السرجندية وعن معداتهم واسلحتهم، Baeker. E. op. cit. p.44. Runciman. S. vol. 2. p.304..البيشاوي: **الممتلكات،** ص 96 - 97،

(4) La Mont.op.cit. pp. 135 - 136. البيشاوي: **الممتلكات،** ص 96، هامش 3،دويكات: **طبرية،** ص 124.

(5)عن المواريث الحشرية،القلقشندي،جـ، ص460. المقريزى: **الخطط،** ص111. نعيرات: **بيسان،** ص103.

(6) Rohricht. Regesta.p.62. Cf. Also.Benvenisti.op.cit. pp. 163 - 164. دويكات: **طبرية،** ص 125

المحتسب[1]الذي كان يساعد الفيكونت في عمله، وينوب عنه في حالة غيابه (Mohtssep)وهي وظيفة نقلها الصليبيون عن العرب، وبقيت محتفظة باسمها العربي، وكان يشترط فيمن يتولى الحسبة عند الصليبيين أن يكون من أهل العلم والمعرفة، وهو رئيس الشرطة، وكان تحت تصرفه فئة من العسكر مزودين بالسلاح للقيام بما يكلفون به من أعمال وكان ينبغي على من يتولى هذه الوظيفة أن يقسم اليمين بأنه سوف يعمل على احترام القوانين وتطبيقها، وكان من عادة المحتسب أن يذهب إلى الأسواق ويتفقد حوانيت الجزارين وباعة الخبز والنبيذ، وعليه مراقبة السلع المعروضة للبيع والطواف بالمدينة للوقوف بنفسه على جميع ما ذكر، كذلك كان يعهد إليه تنظيم الأمور الاجتماعية في المدينة وكان يشرف على نظافة الأسواق، ويحمي الجمهور من التلاعب بالكيل والميزان، ويقوم بزيارة المدارس الأهلية، والأطباء وصانعي الأحذية والصباغة وأسواق العبيد وأسواق البغال[2]. ومن الوظائف الاخرى التي عرفتها اقطاعية حيفا كغيرها من الإقطاعيات (البالي) وأطلق هذا الاسم على الموظف القدير في المدينة، (ويعني الشريف) وكان يوكل إليه رئاسة محكمة المدينة أو منصب أمين الصندوق أو وظائف أخرى في المدينة[3]

وكان لكل قرية رئيس خاص بها احتفظ في بعض الأحوال باسمة العربي (Rais) وفي بعض الاحيان كان يوجد رئيسان للقرية في حالة وجود عائلتين كبيرتين[4]، يعرف باسم المختار وأطلق عليه الفرنجة اسم الوسيط(Reguius)، لان علاقة أهل القرية بالسيد الاقطاعي

([1]) Beyer. Akko Und Galilaea.p. 245، ويأتي المحتسب Mathessp بعد كند سطبل المدينة وهي وظيفة نقلها الصليبيون عن العرب وبقيت محتفظة باسمها، ويجب أن يكون صاحبها من أهل العلم والمعرفة، الشيزري: نهاية الرتبة في نهاية الحسبة، ص126- 127، Benvenisiti.op. cit.p. 28. دويكات: **طبرية**، ص 125، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 488،

([2])الشيزري: المصدر نفسه، ص 128 - 129. البيشاوي: **الممتلكات**، ص96، هامش3.

([3])ابن الطوير، ص 115 - 116. كاهن، ص210.

Cf. Also. Le. Monte. Fedal.p. 36. Conder. The latin.p. 173.، نعيرات: **بيسان**، ص 104،

([4]) Prawer. The Latin.pp. 371 - 372. Beyer. Akko Und Galilaea.p. 247.

رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 472 - 475.

تتم عن طريقه، وكان يقوم على حل المشاكل عن طريق رئاسة محكمـة القريـة،وكان يجمـع الضرائب من السكان ويرسلها إلى السيد الاقطاعي المسيطر على الأرض[1]، وكان رئيس القرية أو الضيعة ملزم بأداء قسم الولاء للسيد الاقطاعي[2] وهذه الوظيفة من الوظـائف الهامـة فـي المملكة وخاصة فيما يتعلق بالقضاء، ونلاحظ أن ملوك بيت المقدس وكبار رجال الإقطاع فـي المملكة اللاتينية أسخياء فيما بذلوه من اقطاعات ومنح للكنائس والهيئات الدينية في المملكة، وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن عدد القرى التي حصلت عليها كنيسة القيامة في حدود بيت المقدس وصلت إلى سبعين قرية من خلال المنح والهبات المقدمة من ملوك بيت المقدس، وكذلك من البارونات ومختلف الشخصيات الملكية[3] اما الهبات في اقطاعية حيفا، فقد أغـدق الأميـر تانكرد المنح على دير القديسة مريم في وادي يهو شفاط في بيت المقدس بعد اسـتيلائه علـى حيفا في أواخر شوال سنه 493 هـ/أغسطس 1100م، إذ منحـه قريـة تـامينى (Tymini) التي تعرف باسم قرية جلجالة (Galgala) الواقعة في منطقة حيفا ضـمن أراضـي جبـل الكرمل، وهذا يعني أن دير القديسة مريم في وادي يهـو شـفاط كـان يمتلـك قريـة (El Carmel)جلجالة، ويحتفظ بما تدره من دون تقديم اى نوع من الضرائب على إيـرادات هـذه القرى، فضلا عن حصن يقع في مدينة حيفا أيضا حيث قام رجال الدين في دير القديسة مـريم في وادي يهو شفاط بإنشاء الكنيسة في الحصن، و أعطى الأمير تانكرد للدير بعض المنـازل والأشجار وطاحونة ومخبزا، تقع جميعها في مواجهة الحصن[5] ولم تشر المنحة إلى موقع هذه

([1])كاهن، ص 207. Richard. The Latin Kingdom. vol. 1. p. 39.
Prawer. op.cit. P. 272. Benvenisiti.op.cit..p. 20. وكانت علاقة أهل القرى بالسيد الاقطاعي تتم عن طريـق الرئيس، البيشاوي: **الممتلكات،** ص 103،

([2]) Prawer. op.cit. P. 368. Smile TheCruaders.p. 40.
رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 474، كاهن: **الشرق**، ص 207،

([3])Conder.The Latin Kingdom of Jerusalem.p. 194.، عاشور: المرجع نفسه، جـ1، ص 474، البيـشاوي: **الممتلكات،** ص 84.

([4])تاميني: تعرف باسم قرية جلجالة، وهى تقع في حدود اقطاعية حيفا، ويحدها من الشمال والشرق مدينـة حيفـا ومـن الجنوب قرية حنه (Anne) ومن الشمال الغربي قرية القديس الياس (St- Elias) (ويطلق عليها العرب اسم النبي الياس) البيشاوي: الممتلكات، ص190، هامش 3،

([5]) Rohricht op.cit. p.p. 18 - 19. البيشاوي: **الممتلكات** ـ ص191

العقارات والاشجار، ولكن يبدو أنها كانت تقع خارج الأسوار، لان الوثيقة ذكرت أن الدير حاز على حصن في مدينة حيفا، بينما لم تشر الوثيقة إلى وقوع العقارات والأشجار في مدينة حيفـا، مما يفيد أن جزءا من المنحة كان يقع في مدينة حيفا والجزء الآخر خارجها، وتجـدر الاشـارة إلى أن الملك بلدوين قام بالتأكيد على هذه المنحة بموافقة البطريرك وباروناته، بعد نحو خمـس عشرة سنة من حصول الدير على المنحة أي سنة 509هـ/1115م [1].

عندما كان ارنولف مالكرون[2] بطريركا على بيت المقدس، وهذا لا يعني أن الدير لم يكن يتمتع بالممتلكات التى حصل عليها بمقتضى المنحة، لان الوثائق لم تشر إلى ذلك، والمرجح أن الدير كان يتمتع بجميع الممتلكات التي حازها من الأمير تانكرد على الرغم أن هذه الممتلكات لم تكن مدونة في السجلات الملكية حتى سنة 509هـ/1115م، وكذلك سمح الملك بلدوين الثاني للسفن التابعة لدير القديسة مريم في وادي يهو شفاط (وادي قدرون) في القدس بالدخول والخروج مـن جميع الموانئ التابعة للمملكة[3] بما فيها ميناء حيفا مع اعفائها من دفع جميع الرسوم المقـررة، وهذا يوضح مدى اهتمام ملوك اللاتين في بيت المقدس، ورجال الدين والأمراء بـدير القديـسة مريم، ولعل كل هذه القرارات هي التي جعلت الدير من أغنى المؤسسات الكنسية في الاراضي المقدسة، وهذا مما اضعف من اقتصاد اقطاعية حيفا وباقي الاقطاعيات الساحلية، حيث يـذهب جزء من دخل الاقطاعية إلى دير القديسة مريم في وادي يهو شفاط، وربما أن ذلـك أدى إلـى تدني عدد الفرسان والسرجندية الذين تقدمهم اقطاعية حيفا لجيش الملك.

---

(1) Rohricht. R. op. cit. Loc. cit. انظر البيشاوي: **الممتلكات**، ص 191

(2) ارنولف مالكرون من روز: كان معلما خصوصيا لسيسليا ابنه وليم الفاتح، وكان مرافقا لروبرت النورماندي، اشـترك بالحملة الفرنجية الاولى وكان لا يزال شماسا مساعدا، كانت حياته غير ثابته مشهورة بالعلاقات الغرامية، انتخب بطريركا لبيت المقدس في 492هـ/1099م، ولم يمضى على البطريركية سوى أربعة اشهر حتى ابعد عنها بسبب كثـرة أعدائـه، وان انتخابه كان دون تروي ودون موافقة القانون الكنسي، انظر
William of Tyre ,op. cit. vol.. 1. p. 404.
Archer and Kingsford.p. 95. Richard d.op.cit. p. 99.

(3) Delaborde. H. F. op.cit. Doc. No. 18. pp. 41 -45.Cf. also Rohricht R. Regesta. Doc. No. 134. pp. 33 - 34. البيشاوي: **الممتلكات الكنسية**، ص 208 .

وضمن النظام الاقطاعي في مملكة بيت المقدس اللاتينية، كان الكثير من رجـال الـدين اللاتين يشاركون في الحملات العسكرية التي كان يقودها ملك بيت المقـدس ضـد المـسلمين، وكانت الكنائس والأديرة اللاتينية والطبقة البرجوازية في المملكة تقدم الخدمات العسكرية للملك الصليبي بناء على ما بحوزتهم من املاك، وليس على أسـاس العلاقـات الاقطاعيـة[1]، ففـي 493هـ /1100م، شارك البطريرك دايمبرت البيزي الأمير تانكرد في الاستيلاء علـى حيفـا، وهذا يوضح أن رجال الدين اللاتين وعلى رأسهم البطريرك ورؤساء الأساقفة والأساقفة كانوا يشاركون إلى جانب كبار الأمراء والفرسان في المعارك التي يقودها ملوك بيت المقدس ضـد ا المسلمين، ومهما يكن من أمر فقد استمرت المنح والإقطاعيات تتدفق على الكنائس والأديرة من سادة اقطاعية حيفا...

ففي يوم الخميس السادس عشر من شعبان سنة 559 هـ/يوليه 1164م، حصلت كنيسة القيامة على ست كاريوكات من أراضي مدينة حيفا قدمها روجر الحيفاوي (Roger of Haifa) وشقيقه يوحنا[2]. وقد نصت هذه الوثيقة الخاصة بهذه المنحة على أن تصبح هذه الأراضي حقا متوارثا لكنيسة القيامة، دون تقديم أية التزامات من قبل رجال الدين اللاتين في الكنيسة مقابل الحـصول عليها، وأشارت الوثيقة إلى أن ثلاث كاريوكات تقع بالقرب من بعض الينابيع الموجودة في حيفا وان ست بقرات سليمة، خالية من الأمراض تستطيع حراثتها جميع الكاريوكات، وقد قام الملـك عمورى الأول بالتوقيع على هذه الوثيقة [3].

([1]) Mayer: H.F. op. cit.p. 168.، عاشور: **الحركة**، جـ1، ص 472،انظر: البيشاوي: **الممتلكات**، ص 212.

اشترك البطريرك ارنولف مالكورون والأساقفة وبقية رجال الدين وعامة الصليبيين في بيت المقدس في المعركـة الـذي قادها الأمير جودفري البويوني وكبار الأمراء ضد القوات الاسلامية، انظر مجهول: إعمال، ص 122- 125.

Cf. also:William of Tyre.op.cit. vol.1. pp. 394- 397

([2])روجر الحيفاوي وشقيقة يوحنا كانا من كبار الأمراء والشخصيات البارزة والهامة في اقطاعية حيفا ومن المحتمـل أن يكونا من أقارب Rey.Les. Familles d' Outre - Mer de Ducange.p. 266.،البيـشاوي:**الممتلكـات**،ص 247- 248،

فيفيان (Vivian) وابنة باين سادة اقطاعية حيفا.

([3]) Genevive.B- B.Actes.Nos. 137.pp. 268- 269.سعيد البيشاوي: المرجع نفسه، ص 248، هامش 1،

يتضح أن هذه الكاريوكات غير رسمية، أي ما يعرف بالكاريوكات العربية التي تـساوى أربعة دونمات (أي أربعة آلاف متر مربع)، والأرض التي منحها روجر الحيفاوي تساوي أربعة وعشرين دونما، وهي من افضل أراضي حيفا الزراعية، وفي سنة 560 هـ/ 1165م.

قدم فيفيان سيد حيفا Vivian of Haifa وابنه باين Payen قرية في حدود اقطاعيـة حيفـا لكنيسة القيامة[1]، وقد قام الملك عمورى بالتأكيد على هذه المنحة [2].

وما يلفت انتباهنا أن حجم الاقطاعات والمنح التي كانت تقدم للكنائس والأديرة في مملكـة بيت المقدس في هذه الحقبة قد تضاءلت بنسبة كبيرة، ولعل ذلك يرجع إلى عدة عوامل أهمهـا ازدياد النشاط الإسلامي على حدود مملكة بيت المقدس الصليبية من اجل استعادة الـبلاد مـن الغاصبين، وما صاحب ذلك من خسائر بشرية واقتصادية أصابت الكيان الصليبي، مـن جـراء الغارات الاسلامية المتكررة على حدود المملكة، ولا بد أن المشاكل والخلافات التي كانت تظهر بين الصليبيين أنفسهم قد أثرت على حجم الاقطاعات الكنيسة، حيث أصبحت لا تزيد عن بيـت أو قطعة ارض صغيرة، وقد حاول كل أمير ورجل دين إثبات حقه دون النظـر أو الاهتمـام بحقوق الآخرين، الأمر الذي يشير إلى تزعزع المجتمع الصليبي، وانعدام الثقة بين أفراده، ولعل ذلك قد أثر على حجم الاقطاعات الكنيسة وتوقفها، على الرغم من لجوء رجال الدين اللاتين إلى شراء القرى والأراضي الزراعية بمساحات واسعة.

([1])فيفيان سيد حيفا (Vivan Of Haifa) وابنة باين (Payen) ينتمي لاحد الأسر النبيلة التى اسـتقرت فـي الاراضـي المقدسة منذ بداية الحكم الصليبي، وكان والدة باين الأول سيد لإقطاعية حيفا وفي سنة 533 هـ/1138م، اصبح فيفيـان سيدا لإقطاعية حيفا وقد ظهر في كثير من الوثائق كشاهد على المنح التي قدمها الملك فولك والملك بلدوين الثالث، وكـان فيفيان من أمصال الملك المقربينRey. op.cit. p. 266 .، البيشاوي: المرجع نفسه، ص248، هامش 1

([2])وتم توقيع الملك على هذه المنحة بحضور البطريرك عموري اوف نسل وعدد كبير من رجال الـدين والأمـراء فـي المملكة الفرنجية Genevieve.B.B. op. cit. pp.267- 286. Rohricht. R. op. cit. p. 108.
البيشاوي: المرجع نفسه، ص 249.

6.2 جهود إقطاعية حيفا العسكرية في دعم المجهود العسكري والمؤسسات الدينية

أدراك الأمير جودفري البويوني أول حاكم لبيت المقدس اللاتيني وحامي القبر المقـدس أن دولته يجب أن تكون دولة عسكرية من الطراز الأول دائمة الاستنفار وأنه من الواجب وجود الجيوش عند الطلب، وقد انعكس ذلك على اقطاعية حيفا التي كان عليها أن تسهم إلـى جانـب الامارات والإقطاعات التي تتكون منها المملكة اللاتينية، في تقديم الخدمات العسكرية الاقطاعية لحاكم بيت المقدس حسب قدرة الإمارة، وما تستطيع أن تقدمه من خدمات الفرسان والجنـود . وقد أسهمت اقطاعية حيفا منذ بداية تكوينها في الخدمات العسكرية اللازمة للمملكة، وفقا لما هو متبع ومتعارف عليه في العرف الاقطاعي[1] وهدف الفرنج منذ البدايـة إتمـام عمليـة الغـزو والتوسع شمالا وجنوبا من بيت المقدس في آن واحد، رغم قلة الإمكانيات البشرية لديهم ولكـن الخطة حققت نجاحا ملحوظا في إقليم الخليل في الجنوب وفي إقليم الجليل في الـشمال، وممـا تجدر الاشارة إليه أن اقطاعية حيفا قد شاركت بفرسانها وجنودها في الاسـتيلاء علـى المـدن الساحلية مثل أرسوف وقيسارية طبقا للنظام الإقطاعي، وربما ا قدمت لجيش المملكة التمـوين حسب إمكانياتها أيضا، ففي494 هـ/مارس 1101م، شهدت حيفا علـى شـواطئها أسـطولا جنويا، فهرع الملك بلدوين الأول إلى حيفا واستقبل المندوب البـابوي، وجـرى الاتفـاق مـع الجنويين على أن يخدموه لمدة فصل من السنة، ولهم ثلث ما يجري الاستيلاء عليه من غنيمـة، وأن يكون لهم شارع في سوق كل مدينة يتم الاستيلاء عليها، وهكـذا هـاجم بلـدوين مدينـة أرسوف من البر والبحر، مما أجبر سلطان المدينة عرض التسليم بشرط أن يعطي الأمان لسكان المدينة الذين نقلوا إلى عسقلان، ودخل الجيش الفرنجي أرسوف في يوم الإثنين 27جمادى الأول 494هـ/29 إبريل نيسان 1101م[2]، ثم توجه الجيش الفرنجي من ارسوف إلى مدينة قيسارية، وتم حصارها في أول رجب 494هـ/2 مايو سنة 1101م، إلا أن حاميتهـا رفـضت التـسليم

.Chalandon. f. op. cit. p. 298 La Mon te.op.cit.pp. 215 - 216(1)

براور. المرجع نفسه، ص 138. البيشاوي: **الممتلكات،** ص67.

(2)الشارترى: المصدر نفسه، ص114 - 115. الصورى: المصدر نفسه، جـ1، ص 495 - 497، ابن القلانسي: **ذيل،** ص 139. رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 129،

لاعتمادها على ما كانت للمدينة من تحصينات واسوار منيعة (1)، وقد كان ميناء حيفا بمثابـة قاعدة انطلاق للقوات الصليبية ضد قيسارية، وخير دليل على ذلك أن الأسطول الجنوي انطلـق منه صوب قيسارية واتخذها الجنويون قاعدة ارتكاز وراحة لأسطولهم . وبعد الحصار الـشديد والقصف المستمر بالمنجنيقات سقطت قيسارية عنوة في 16 رجب 494 هـ/ 17 مايو 1101م بعد تحطيم التحصينات الأمامية، وجرى الأذن لجنود الفرنج باستباحة المدينة (2)

ووقعت اعنف مذبحة بالمسجد الجامع، وقد سبق أن لجأ إليه عدد كبيـر مـن سـكان المدينـة، والتمسوا الرحمة، غير انهم لقوا مصرعهم رجالا ونساء حتى صار صحن الجامع مغطى بدماء المسلمين، ومع ذلك ظلت عسقلان تمثل مركز الخطر المستمر لبيت المقدس، ولكافة المملكـة اللاتينية، فانطلاقا منها تتابعت الحملات الفاطمية، وأول هذه الحملات بعد قيام الكيان الصليبي هي ما تعرف بمعركة الرملة الاولى لاسترجاع بيت المقدس(3)، وكان لفرسان حيفـا وجنودهـا

---

(1)أشار المؤرخون اللاتين على مناعة اسوارها فذكر البرت دكس سورها الضخم الشديد المتانة وكذلك ذكرهـا فوشـية الشارترى سورها شديد المتانة، كما ذكرها ناصر خسرو قبل ذلك عندما زارها في عام 457 هـ /1064م، لهـا سـور قوى، للمزيد انظرAlbert d' Aix.p. 455. Fulchir oF Chirtres.p. 153 .، وقد أشار الشارترى إلـى أن بلـدوين الأول أمر بإقامة برج بارتفاع عشرون ذراعا، وفي هذا دلالة على ارتفاع أسوار المدينة. ناصر خسرو: **سفر نامة**، ص 18 - 19، عبد الوهاب: **قيسارية**، ص 72 و ص 90 هامش 65.

(2)لقد دافع المسلمون في قيسارية باستماتة عن مدينتهم، ولكن اقتحم الفرنج المدينة فـي 16رجـب 494 هـ/17 ايـار 1101م، وارتكبوا مذبحة مروعة في جامعها راح ضحيتها الكثير من أهلها وأجمعت روايات المؤرخين الغربين انفـسهم على ما حدث، حتى أن اقدام الصليبيين لطخت بدماء القتلى المسلمين، وكان من بين الأسرى امير المدينة وقاضيها، وقـد امر بلدوين الأول بتقيدهما بالسلاسل طمعا في الحصول على فدية نظير اطلاق سـراحهما. Albert d' Aix.vol. 1. p, 544- 553. Richard. op. cit.vol. 1. p. 132. William of Tyre. x..16 - p. 423. ويروى انه كان من الغنـائم التي حصل عليها الجنوبيون كأس اخضر اعتقدوا انه مصنوع من الزمرد الصاب، ولا يزال هذا الإناء في خزانة كنيـسة سان لورنزو بجنوة، وصار يعتبر فيما بعد الكأس المقدس،
Hed: History. du Commer. Ccdu levant. L.p. 137
وذكر البرت دكس أن أهالي عكا قاموا بدفع آلاف بيزنت مقابل إطلاق سراح قاضي المدينة، اما أمير المدينـة فلـم تـشر الروايات إلى مصيره، كما استخدمت النسوة الأسيرات في إدارة الطواحين الموجودة في المدينة المحتلة. ابن القلانـسي: ذيل، ص 138- 139، ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص 204، أبو المحاسن: النجوم، جـ 5، ص 167، انظر: رانسيمان: المرجع نفسه،جـ2، ص 121، Beyre.op.cit.pp. 34.
، عبد الوهاب: قيسارية، ص 72 - 73، ص91، هامش رقم 72

(3)ابن القلانسي: **الذيل**، ص 14، ابن الاثير: **الكامل**، جـ10، ص218،

دور بارز في هذه المعركة، إذ قاد الأمير جالديمار كاربنيل سيد حيفا والخليل فرسانه وجنـوده في الصف الثالث من تنظيم الهجوم الصليبي، ومع بدء المعركة في العاشـر مـن ذي الحجـة 494هـ/17 من سبتمبر 1101م، سقط جالديمار صريعا في المعركة، وتشتت فرسانه وجنـوده بعد أن حكم حيفا ما يقارب السبعة أشهر، وتمكن الفاطميون من تحطيم صفوف العدو الاولـى، ولكن لم تلبث الكفة أن تحولت لصالح الصليبيين[1]فالحقوا الهزيمة بالمسلمين وقتلوا القائد المسلم، وفر الباقون إلى عسقلان بعد مقتل قائدهم سعد الدولة[2]، غير أن الأفضل الوزير الفاطمي فـي القاهرة لم يطق صبرا على تلك الهزيمة، فأرسل حملة أخرى عرفت باسم حملة الرملة الثانيـة في 25 رجب سنه 496هـ/15 مايو أيار 1102م، بقيادة ابنه شرف المعالي والتي وتجمعت في عسقلان، ودارت معركة عند بلدة وبينما المعركة دائرة اتجهت إلى يافا فرقة اسـلامية قوامهـا خمسمائة رجل من الجناح الأيسر لجيش المسلمين بعد تفوقهم في البداية، حيث قاموا بمحاصـرة المدينة والقاء الرعب في قلوب حاميتها،وجمعوا أسلحة الجند الصليبيين القتلى ولوحوا بها لرجال المدينة صائحين ان الملك وكل رجالة ذبحوا في المعركة، وعندما رأى الفرنج والملكة ذلك لـم يشكو في الامر لا سيما ان اثنين من الفرسان كانا قد فرا من المعركة إلى يافا واكـدا لهـم ان الملك ورجالة قد قتلوا، فساد الخوف والاضطرابات بينهم وقرروا إرسال رسالة إلى تانكرد فـي إنطاكية لدعوته بالحضور وانقاذ المملكة، وقد أعلن تانكرد فور تسلمه الرسالة عـن اسـتعداده لتقديم العون والمساعدة لمملكة بيت المقدس .اما قوات الميسرة الاسلامية فقد انسحبت من حول يافا، وفي الطريق عودتهم إلى عسقلان، التقت مع الملك بلدوين العائد الى يافـا، ودارت بيـنهم معركة شرسة انتهت بهزيمة المسلمين وفـرارهم إلـى عـسقلان[3]. يـازور[1] انهـزم فيهـا

Cf. Also Albert d' Aix. op.cit. pp. 549 - 551.. Fulcher oF Chartres,. op. cit.pp. 157 - 159،
رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص120 - 121،

(1) Albert d' Aix. op. cit. p. 551.، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 123،

(2)ابن القلانسي: **الذيل،** ص227. ابن الجوزى: **مرأة الزمان،** جـ 8، ق1، ص 7،
Grousset. op.cit. vol. 1.p. 227.، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 123- 124،

(3) الشارترى: **تاريخ الحملـة،** ص 119، الصورى: المصدر نفسه، جـ1، ص 500، ابن القلانسي: **الـذيل،** ص 141. السيد: **الخليل،** ص 178.

الفرنجة،وقتل معظم فرسانهم وجنودهم وفر الملك إلى حصن الرملة .الذي أحاط به الفـاطميون من كل جانب، بعد القضاء على معظم فرسانه فـي المعركـة التـي جـرت فـي 26 رجـب 495هـ/17 ايار 1102م، وهنا تقدم من الملك أعرابي سبق لبلدوين أن أطلق سـراح زوجتـه الحامل من الأسر وساعـد الملك على الهروب ليلا [2] وبعد يومين وصل إلى أرسوف وكان في استقباله روجر حاكم حيفا والخليل وسط فرح جميع القادة والفرسان والسكان الفرنج بنجاة الملك بلدوين الأول، وفي مساء نفس اليوم التحق بالملك في أرسوف ثمانون فارسا من خيرة فرسـان الجليل بقيادة هيو دي سانت اومر سيد الجليل،وانضم اليهم عشرة فرسان من حيفا وأرسـوف، بالإضافة الى جنود المدن الساحلية الفرنجية، وعاد الفرسان برا الى يافا [3]، اما الملك بلـدوين فقد اتجه بحرا الى يافا ودخلها مع فرسان حيفا والجليل ووصلته الإمدادات بحرا مـن الرهـا وأنطاكية، وتمكن من تجميع قواته ومحاربة المسلمين وإنزال هزيمة قاسية بقواتهم التـي ولـت الأدبار نحو عسقلان[4].

([1]) يازور: تقع شرق مدينة يافا، وهي قرية كنعانية ورد ذكرها في النقوش المصرية في عصر الملك احمس عام 1557 ق. م. وقد استولى عليها الفرنجة، واقاموا فيها قلعة السهول. وفي العصر المملوكي كانت من جملة البلاد التـى يملكهـا السلطان قلاوون. انظر شراب: معجم، ص 724.

Fulcher of Chartres. op. cit. pp. 168 - 169. Albert d' Aix.op. cit. p. 591. ([2])

ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص 218. رانسيمان: المرجع نفسه،جـ2، ص 125. دويكـات: طبريـة، ص 159. وينفرد وليم الصوري برواية مفادها، أن أحد الشيوخ القبائل العربية اخبر الملك بلدوين الاول، بخطط الجـيش الفـاطمي وعرض عليه الهرب من قلعة الرملة، قبل طلوع الفجر، وفعلا تم انقاذ حياة الملك، ويضيف الصوري ان هذا البدوى هـو احد زعماء القبائل العربية القاطنة بالقرب من البحر الميت، وقد سبق لبلدوين أن أطلق سراح زوجته من اسـر القـوات الفرنجية وكانت حامل. رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 127 - 176.

انظر William of Tyre. op. cit. vol. 1. pp. 445 - 448.

([3]) الشارترى: تاريخ الحملة، ص127. الصورى: المصدر نفسه، جـ1، ص 506. Albert d' Aix.op..cit. p. 591.

ويؤكد استيلاء المسلمين على الرملة واللد، وقتلهم لاربع مائة رجل واسر ثلاثمائة اخرين وارسالهم الى مـصر، ولـو استثمر المسلمون النصر كان كفيلا بالقضاء على الدولة الصليبية، لكن اختلاف القادة الفاطميين على الهدف المقبل (القدس ام يافا) اضاع النصر، بل تحول الى كارثة مأساوية على المسلمين، مما اتاح الفرصة للفرنجة كى يعيدوا تجميع صفوفهم، ووصول الامدادات الى ميناء يافا، ابن الاثير: الكامل، جـ8، ص 218. ابن القلانسي: ذيل، ص 229، السيد: المرجـع نفسه، ص 179

Fulcher oF Chirtres.op. cit.p. 172. Albert d' Aix.op cit. p. 596 ([4])

شارك روجر حاكم حيفا والخليل إلى جانب قوات المملكة والأسطول الجنوي في حصار مدينة عكا الذي استمر نحو عشرين يوما، وقام واليها زهر الدولة الجيوشي الفاطمي بتنظيم الدفاع عنها[1]، ولكنه لم يتمكن من مقاومة الفرنجة الذين ضاعفوا من ضغطهم البري والبحري على المدينة والحامية الفاطمية فيها، إلى أن استسلمت المدينة لما لحق بأهلها من الجوع و الدمار بالإضافة إلى انه لم تصل إليها أي مساعدات أو نجدات من مصر[2]، لذلك عرض التسليم وفقا لما سبق أن اتفق عليه في أرسوف من شروط، فمن يرغب من السكان في مغادرة المدينة بوسعهم أن يخرجوا آمنين بما معهم من الأمتعة، ومن لم يشأ الخروج يصبحون من رعايا ملك الفرنج، وقبل بلدوين هذه الشروط والتزم بها، بل أجاز لرعايا المسلمين أن يحتفظوا بمسجدهم، وتمكن الفرنجة من دخول عكا في شعبان 497هـ/أيار عام 1104م، وهكذا حصل بلدوين الأول على ميناء صالح لرسو السفن في كل الفصول والسيادة على الشاطئ الفلسطيني[3]، بعد أن حرم الأسطول الفاطمي من أهم قواعده بالشام وفي ذي الحجة 498 هـ/أغسطس 1105م، قام الوزير الأفضل بآخر محاولة لاسترداد سواحل الشام وفلسطين...

وحشد في عسقلان جيشاً كبيراً بقيادة ابنه سناء الملك، ولنجاح تلك الحملة لم يتردد في طلب مساعدة طغتكين اتابك دمشق، الذي استجاب للنداء وأرسل ألفا وثلاثمائة فارس لمعاونة القوات

ستيفن رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 129.، ولمعرفة المزيد عن احداث معركة الرملة الثانية، اسامة زكي، **حملات الرملة الثلاث**، ص 59 - 62. علي احمد السيد: المرجع نفسه، ص 180،

([1]) زهر الدولة الجيوشي: ويعرف ايضا باسم (بنا) وهو اخر والي فاطمي على عكا، وقد قام بتسليم المدينة للفرنج بعد ان فشل في الدفاع عنها، وسمى بالجيوش نسبة الى امير الجيوش بدر الجمالى، ابن القلانسي: **ذيل**، ص144. ابن الاثير: **الكامل**، جـ10، ص 373، سبط ابن الجوزى: المصدر السابق، جـ1، ص 18 - 19. رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 144،

([2]) ابن الاثير: **الكامل**، جـ8، ص 221. الشارترى، ص 131. الصورى، جـ1، ص 512. ابن جبير: **الرحلة**، ص 213 -214.

([3]) الشارترى، ص 132. Albert d' Aix , pp. 606 - 608.

رانسيمان، المرجع نفسه، جـ2، ص 143. ابن جبير: **الرحلة**، ص 213- 214، دويكات: **طبرية**، ص 162

الفاطمية[1]، التى اجتازت إقليم شرق الأردن ووصلت إلى عسقلان، وكان ذلك بداية وحدة القوات الاسلامية في دمشق والقاهرة في معركة الرملة الثالثة، أما بلدوين فكان ينتظر في يافا، وجمع فرسان وجنود المملكة وباقي الإقطاعات منها ومن ضمنها إقطاعية حيفا، طبقا للنظام الإقطاعي، فضلا عن الجيش الرئيس للمملكة، ونشبت المعركة يوم الأحد ذي الحجة 498هـ/27 آب (أغسطس) 1105م [2] بعد أن حضر بطريرك بيت القدس ايفرمار مع كل من استطاع تجنيده من العساكر، وقام فرسان دمشق بهجوم مضاد كاد يحطم كل صفوف الصليبيين، وحاول الجناح الأيسر المصري مباغتة عساكر حيفا، ولكنهم فشلوا بذلك، وقاتل فرسان وعساكر حيفا قتالا مستميتا، ولم يحل المساء حتى حلت الهزيمة بالمسلمين، وعاد سناء الملك إلى القاهرة، وأصاب الجيش المصري خسائر فادحة[3]، وقد عبر ابن القلانسي عن نتيجة تلك المعركة ذاكرا تساوى القتلى من الطرفين، اما ابن الأثير كان أدق حيث ذكر تفرق الجيش الإسلامي وعاد كل من الفاطميين والدماشقة إلى بلادهم[4]، وهكذا فشل الفاطميون في استرداد القدس الا انهم ظلوا يشنون الغارات على المدن الفلسطينية ومساعدة المقاومين المسلمين ورغم إخفاق التحالف الفاطمي الدمشقي في استعادة الاراضي السليبة الا أن تحالفهم مثل ظاهرة خطيرة على استحالة

([1]) ابن القلانسي: **الذيل**، ص87، ابن الأثير: **الكامل**، جـ8، ص229، ابن ميسر: أخبار، جـ2، ص 41. الشارترى، ص 135. وذكر الصوري، آن عدد القوات الفرنجية المشاركة في هذه المعركة بخمسمائة فارس وآلفين من الرحالة، الصوري، جـ1، ص 521. المقريزى: **اتعاظ**، جـ3، ص 35، دويكات: **طبرية**، ص 160

([2]) ابن القلانسي: **الذيل**، ص 87. رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 145.

Albert d' Aix.op.cit.pp. 653 - 655.

([3]) Fulcher of Charters.11.xx1.pp. 489 - 503. Albert d' Aix.op.cit. 4.pp. 653 - 655 أيضا ابن الأثير، ص228 -229.، Grousset.vol.1. op.cit.p.245. ابن ميسر، ص 466. رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 146 - 147. السيد: المرجع نفسه، ص 183،

([4]) عبر ابن القلانسي عن نتيجة معركة الرملة الثالثة بقوله (وقيل ان الذين قتلوا من المسلمين بازاء الذين قتلوا من المشركين كانوا متقاربين).ابن القلانسي: الذيل، ص 139، اما ابن الأثير فكان تعبيره عن نتيجة تلك المعركة ادق بقوله: فلم تظهر أحد الطائفتين على الاخرى فقتل من المسلمين آلف ومائتان وقتل من الفرنج مثلهم، ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص 229، ويعتقد الباحث أن ألف ومائتان من الفرنج عدد مبالغ فيه، إذ يذكر وليم الصوري أن عدد القوات الصليبية بلغ خمسمائة فارس وألفين من السر جندية المشاة (الرحالة)، وليم الصوري: جـ1، ص 521. فوشية الشارتري: تاريخ الحملة، ص 35، رانسيمان، جـ2، ص 146 - 147. ويلاحظ ان المصادر الاسلامية أجمعت على أن القتال انتهى بلا هزيمة، وقد يرجع ذلك إلى تقلب أطوار المعركة. انظر ابن ميسر: أخبار مصر، ص 16- 17.

استمرارية مملكة بيت المقدس اللاتينية في فلسطين والشام، وان ما يلفـت انتبـاه الباحـث أن اقطاعية حيفا قامت بدورها الفعال في تدعيم الوجود الصليبي في فلسطين، وبرز دورها المميـز في الاستيلاء الفرنجي على المدن الساحلية، ففي ربيع الأول 505 هـ/سبتمبر 1111م، اعـد الملك بلدوين الأول كل القوى الصليبية في المملكة اللاتينية والتي تقدر بحوالي ستة عشر آلـف مقاتل وفارس بما فيهم بالتأكيد سيد وفرسان وجنود حيفا وفرسانها وجنودها، وعـسكروا علـى الضفة الغربية لنهر العاصي[1].

ولما علم المسلمون بذلك تحركت جيوشهم بقيادة طغتكـين اتابـك دمـشق (498 - 522 هـ/1104 - 1128م)، والأمير مودود صاحب الموصل (502- 507 هـ/1108- 1113م)، واتجهت نحو الضفة الشرقية لنهر العاص وعسكروا هناك واصـبح النهـر فاصـلا بـين الطرفين، وظل كل من الطرفين يترقب تحركات الآخر دون ان يجرؤ احدهما على شن الهجوم الشامل على الآخر، باستثناء بعض المناوشات الخفيفة وفـي النهايـة قـرر الملـك بلـدوين الانسحاب، واخذ يعد العدة لحملة كبيرة، هدفها الاستيلاء على مدينة صـور الخاضـعة لحكـم الفاطميين في مصر[2]، وعلى هذا حشد الملك الصليبي جيشا كبيرا من أنحاء المملكـة، وذكـر فوشيه الشارتري أن جميع قوات مملكة بيت المقدس الصليبية شاركت في حصار مدينة صـور الأمر الذي يجعلنا نؤكد أن اقطاعية حيفا بقيادة سيدها قدمت فرسـانها وجنودهـا مـن اجـل الاستيلاء على مدينة صور[3]، وأمام هذا الضغط الفرنجي طلب أمراء صور العون من اتابـك دمشق حتى لا يجدوا أنفسهم مضطرين إلى تسليم المدينة للعدو وسرعان ما لبى طغتكين طلب أهالي صور، ليحد من اتساع نفوذ الفرنج، وادخل مائة فـارس إلـى المدينـة وقطـع طريـق

([1])هو ما يسمى ألان نهر العاصي، وهو يجرى من وراء مدينة بعلبك اللبنانية ويتجه شمالا حتى يقارب غـرب حمـص، فيصب هناك في بحيرة متوسطة الاتساع، ثم يمر الى حماة وقلعة شيزر وإنطاكية ثم السويدية ويصب في البحر الأبـيض المتوسط. العمرى: **مسالك**، جـ1، ص 81

([2])Albert d' Aix.p. 68. Grousset.p. I. p. 469.، زكي: **صيدا**، ص 120 - 121.

([3])قام الفرنجة بمحاصرة مدينة صور في 25 جمادى الأول 505هـ/ 27 نوفمبر 1111م.

. Anonimous. Iv. p. 578. **Folcher of Chartres**. 111. p. 6

اسامة زكى: **صيدا**، ص 125.

الإمدادات البرية للفرنج، مما جعلهم يأتون بها من حيفا وعكا بحرا، فهاجم طغتكين ميناء صيدا، وقتل عدداً كبيراً من حاميتها واحرق عشرين مركبا فـي مينائهـا، واسـتبد اليـأس بـالفرنج واضطروا إلى فك الحصار والرحيل عنها إلى عكا دون أن يحققوا هـدفهم(1) . وكانـت هـذه الحشود الاسلامية بواكير أول الغيث في التحالف الإسلامي بين دمشق والموصـل أولا، ممـا زاد الأمل بالنصر عند المسلمين.

(1)ابن القلانسي: **الذيل**، ص 178.

وقد اخذ طغتكين يهاجم حصون الفرنجة في منطقة السواد ليشغلهم عن حصار صور وعلى الاقل ليخفف مـن ضـغطهم عليها، وفضلا عما سبق فقد كان موسم جنى الغلات قد أوشك على الاقتراب فخشى بلدوين ان يـستولى طغتكـين علـى الغلات في اقليم السواد فأثر الانسحاب في 10شوال 505هـ/10 ابريل 1112م، من امام صور. ابن القلانسي: المصدر نفسه، ص 179، ابن الاثير:الكامل، جـ10، ص 207، ابن الجوزى:**مر أة**، جـ 8، ص 38. ابـن تغـري بـردى: **النجوم**، جـ5، ص 181.

. Stevenson. Op.cit.pp. 61 - 62. Cf.also.Albert d' Aix. op. cit. p. 693

الفصل الثالث

دور إقطاعية حيفا العسكري في مواجهة القوى الإسلامية

(493هـ /1100م)

1.3 العلاقة بين سيد إقطاعية حيفا وملك بيت المقدس الفرنجي

2.3 الخدمات العسكرية التي تقدمها إقطاعية حيفا لمملكة بيت المقدس

3.3 إسهامات سادة إقطاعية حيفا في نشاطات مملكة بيت المقدس الداخلية

4.3 الصراع على عرش بيت المقدس وأثره على إقطاعية حيفا

5.3 معركة حطين وعودة حيفا للحكم الإسلامي

الفصل الثالث

دور إقطاعية حيفا العسكري في مواجهة القوى الإسلامية

(493هـ/1100م)

1.3 طبيعة العلاقة بين سيد إقطاعية حيفا والملك الفرنجي لبيت المقدس

أصبح الأمير جودفري البويوني حاكما على الدويلة الفرنجية الناشئة، وبموجب ذلك آلت إليه ملكية جميع الأراضي التي استولى عليها الفرنجة في فلسطين ،من خلال تطبيق النظام الإقطاعي الأوروبي الذي نقله الفرنجة إلى الأراضي المقدسة، وفي الحقيقة لم يحتفظ الأمير جودفري إلا بمساحة معينة هي كل ما يمثل ثروته العقارية[1]، وبذلك يكون أول من أرسى نظام (الدومين) أي ملكية الأراضي، وهو الذي يقوم بمنح الإمتيازات، وكان اقطاع كل مدينة وحدة متماسكة هي وجميع المنطقة الريفية المحيطة بها، أما بقية الأراضي التي خضعت للسيطرة الفرنجية فقد كان يجرى منحها على شكل إقطاعات لطبقة النبلاء أمثال كبار البارونات وقادة الجيش الفرنجي، فضلا عن المؤسسات الدينية مثل الكنائس والاديرة وكذلك الجماعات الدينية المحاربة . وبطبيعة الحال لم يجد الفرنجة صعوبات كبيرة في تطبيق ما عرفوه من نظم اقطاعية في اوروبا في البلاد التي خضعت لسيطرتهم في الشرق الاسلامي، لان السكان كانوا قد اعتادوا على مثل هذا النظام، زمن الاتراك السلاجقة وحكمهم لبلاد الشام، علاوة على ان الفرنجة حرصوا على ان يكون النظام الإقطاعي ملائما لطبيعة التركيبات السكانية في الاراضي المقدسة، وان لجوء ملوك بيت المقدس الى توزيع الاراضي ومنحها الى كبار الامراء والفرسان وظهور الإمارات والإقطاعيات الفرنجية، قد وضع المزارعين من اصحاب البلاد الاصليين في حالة خضوع لاحد السادة الاقطاعيين في المملكة.

([1]) الفيتري: **تاريخ**، ص41-42، باركر ، **الحروب** ،ص55، العريني ، ،جـ2،ص43، Cf. also: **Chalendon**، F. ، Histoire، P299،

وبناء على ما تقدم فان مدينة حيفا والمناطق الريفية المحيطة بها أصبحت ضمن أملاك أحد الامراء الفرنجة أو ملك بيت المقدس، وكان يقوم بالتصرف بجميع ما تحتويه الإقطاعية كمـا يشاء، على الرغم ما اكتنف وضع حيفا من تعقيدات قبل وبعد الاستيلاء عليها، خاصـة عنـدما رفض الأمير الرغم ما اكتنف وضع حيفا من تعقيدات قبل وبعد الاستيلاء عليها، خاصة عنـدما رفض الأمير تانكرد Tancred النورماندي التخلي عن حيفـا إلـى الأميرجالـديمار كاربنيـل Carpenel Galdemar وآثر الاحتفاظ بها لتكون ميناء رئيسا لإمارة الجليـل التـي أسـسها بجهوده الخاصة ،وبمساندة ومؤازرة البطريرك دايمبرت البيزي Daimbert of Pisa وبقيت المشاكل متواصلة بينه وبين الملك بلدوين ولم تنته إلا بعد رحيل تانكرد إلى إنطاكية، إذ آلـت ملكية حيفا والمنطقة الريفية المحيطة بها إلى الملك بلدوين الأول الذي احتفظ بهـا لفتـرة مـن الزمن وبعد ذلك قام بمنحها لأحد السادة الإقطاعيين مقابل مجموعة مـن الحقـوق والواجبـات يقدمها سيد اقطاعية حيفا الى ملك بيت المقدس الذي كان بدوره يقدم بعض الواجبات والخدمات لسيد الاقطاعية.

وخلال فترة حكم بلـدوين الأول (494_1100/512_1118م) أصـبحت معـالم النظـام الإقطاعي الفرنجي أكثر وضوحا في مملكة بيت المقدس الفرنجية بفضل الجهود التي بذلها الملك الفرنجي من أجل توطيد أركان مملكته، وجعلها تحت سيطرته، وقد اتضح هذا عندما قام بتقسيم إمارة الجليل بعد رحيل تانكرد عام 494هـ/1101م،فقد احتفظ بجزء من الإمارة،وأعطى حيفـا إلى جالديمار كاربنيل، وفي الوقت نفسه منح ما تبقى من إمارة الجليل إلى هيـو مـن سـانت أومر[1]، يتضح مما سبق أن الملك الفرنجي احتل قمة السلم الإقطاعي في مملكة بيت المقـدس اللاتينية، وكان يليه أربعة من كبار السادة الإقطاعيين وهم سيد بارونية صيدا، وأمير الجليـل، وأمير كونتية يافا وعسقلان، وأمير إمارة ما وراء الأردن، والى جانب هؤلاء كان اثنـا عـشر سيدا اقطاعيا يتولون الادارة والاشراف على اثنتي عشرة اقطاعية اقل شأنا من الامارات الاربع

([1]) ماير، **تاريخ الحروب**، ص 358، رنسيمان: المرجع نفسه ،جـ2، ص476، البيشاوي، **الممتلكـات**، ص67، فنـك، تأسيس 1099_1118م، ص32769 Jean d'Ibelin. op. cit. vol. p.، Albert d'Aix، op. cit، p. 498

الكبيرة[1]. وكانت علاقة سيد اقطاعية حيفا بالملك تحكمها حدود وأبعاد الروابط والعلاقـات، إذ يصبح تابعا للملك أو أحد افصاله، يقدم له يمين الولاء والتبعية، ويلتزم بأداء الخدمـة الحربيـة وبقية الالتزامات الإقطاعية التي عرفها الفرنجة في أوروبا في العصور الوسطى، فـضلا عـن تزويده للخزانة الملكية بجزء من واردات الإقطاعية المالية،إذ كان الدخل الملكي يعتمد في جانب منه على الأراضي المقطعة[2]، كذلك كان من واجبه أن يدافع عن الملك ويثأر لـه وأن يكـون رهن يديه في حالة الحاجة له فيقدم له جواده أو سلاحه إذا احتاجه وأن يكون صادقا معه.

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة المساواة بين الملك ونبلائه لم تلبث أن أدت بمضي الـزمن إلى ملكية الكنائس والاديرة، على ملك بيت المقدس الفرنجي أن يقوم بتعويض السادة الإقطاعيين عن خسائرهم في الحروب، كما كان من واجبه حماية الإقطاعيات ضد الغـارات الخارجيـة[3] وأن يطبق القوانين، وحماية الكنائس والمحافظة على أرواح الناس،إضافة إلى قيـادة الجيـوش، كما من واجبه إقامة التحصينات وترميمها، وإقامة القلاع اللازمة لحماية الإقطاعيـة وبالتـالي حماية المملكة،لذلك شاهدنا كيف قام الأمير جودفري البويوني حـامي القبـر المقدس،بمعاونـة تانكرد في بناء وإصلاح تحصينات طبريا حينما استولى الصليبيون عليها[4]، كما اقـام فرسـان الداوية بالتعاون مع ملك بيت المقدس بلدوين الأول سنة496هـ/1102م، بتشييدقلعة المقاطعـة (قلعة الضاحية) من أجل الدفاع عن المدن الصليبية على جبل الكرمل ضد الأخطار الخارجية[5]

---

(1) براور: عالم، ص128، ماير: **تاريخ الحروب**، ص358_359، البيشاوي: **الممتلكات**، ص69

Cf. also: Chalendon،op. cit،p. 300.

(2) براور: عالم، ص130، رانسيمان، جـ1، ص46، البيشاوي: **الممتلكات**، ص77، عاشـور: **الحركـة**، جـ1، ص466، براور: عالم، ص130_131، البيشاوي: **الممتلكات**، ص80.

Benevisti. M. op. cit. p. 137. Prower. J. Crusader institions . p. p. 14-15. 4. Archer and Kinford. op. cit. p. 166

Albert d'Aix. op. cit. p. 517،Cf. also: Prawer ،J. ،The Latin kingdom of Jerusalem

(3) ابن شداد: **النوادر**، ص67، التميمي، **الحروب**، ص72_73، البيشاوي: **الممتلكات**، ص81_82،

(4) ماير: **تاريخ**، ص358، رنسيمان: جـ2، ص476،

Albert d'Aix. op. cit. p. 516_517mCf. also Jean **d'ibelin**. op. cit. vol. I. p. 327 .

(5) التطيلي، **رحلة**، ص193_194، خمار: **موسوع**ة، ص97.

وهي تتحكم في مداخل إحدى أودية جبل الكرمل[1]، وغالبا ما كان مرا إجباريا، وعلى الرغم أن الملك كان زعيم النبلاء ورئيس المحكمة العليا،ألا أنه خضع للقانون الذي جعل مكانته مـساوية لمكانة سائر أفراد المجتمع[2].

وبحسب العرف الإقطاعي كان على سيد إقطاعية حيفا أن يقوم بتقديم يمين الولاء والطاعـة والتبعية لملك بيت المقدس الصليبية،كما كان عليه أن يفي بجميع الالتزامات الإقطاعية الأخـرى المفروضة عليه، ولعل أهمها الخدمة العسكرية، وكانت إقطاعية حيفا تقـدم خـدمات الفرسـان والسرجندية[3] للملك على مدار السنة.

وكان سيد اقطاعية حيفا يحضر اجتماعات المحكمة العلياHigh court ، اسـوة ببـاقي سادة الاقطاعات الاخرى ، وكان ملك بيت المقدس مقيدا في كثير من المـسائل الهامـة بـرأي

([1]) كان هذا الممر قريب من مصب نهر المقطع وأقيمت على مصب النهر حصن نحوم، عند بلدة نحـوم بأسـفل الـسفح الشمالي الغربي لجبل الكرمل وعلى بعد أربعة من حيفا، وكان هذا الممر يصل إلى جميع البلدان الصليبية علـى جبـل الكرمل ومنه يتم توصيل الإمدادات الحربية إلى المقاومون المسلمون في وادي فلاح، وكان هذا الممر ملاذا يختبىء بـه المقاومين المسلمين عندما كانوا ينزلون من البحر ويهاجمون المدن الصليبية على جبل الكرمل، وخاصة من بعد أن فـشل بلدوين الأول في 496هـ/1102م، في أن يطهر جبل الكرمل ووادي فلاح من المقاومة الشعبية الاسلامية، التي أصابتهم بسهم كاد يقضي عليه، وظل فترة من الزمن يعاني منه، أنظر: بورشارد: وصف، ص47.

([2]) أنظر ماير: **الحروب**، 355_356، Cf. Ludolph. Von، Suchemys . op. cit.، pp.

([3]) رانسيمان: تاريخ، جـ2، ص476-477، البيشاوي: **الممتلكات**، ص81-82،

. وقد اختلف المؤرخون قديما وحديثا حول ماهية Sergeant6 . السرجندية: لفظة السرجندية تعني الرقبـاء المؤرخـون قديما وحديثا حول ماهية السرجندي، وهل كان من الفرسان أم من الجنود المشاة، وقد أشار أسامة بـن منقـذ الـى أن السرجندية من لا خيل لهم ولكنهم يحافظون على الأرض في أماكنهم، أنظر: الاعتبار، ص67، وأشار العمـاد الكاتـب الأصفهاني إلى أن السرجندي كرار، ويفهم من كلامه أنه فارس خفيف التسليح (خيال) يستخدم للهجـوم مثـل الفـارس. أنظر: الفتح القسي، ص403. ويقول يوشع براور أن السرجندي يكون أحيانا من المشاة وأحيانا أخرى من الفرسـان، أي أنه يحارب وهو راكب علـى الحـصان Cf. ، The Latin kingdom of Jerusalem، P. 163. ومـن المـرجح أن السرجندي هو أحد الفرسان الذين يحملون أسلحة خفيفة على الرغم من الآراء المتضاربة حوله، وهو خيال ولـيس مـن الطبقة النبيلة، وذكر لكود كاهن أن السرجندية كانوا يعتلون ظهور الخيل، مما يشير إلى أنهم كانوا من الفرسـان Cf. La Syrie du Nord al'epoque de **Croisades**، P. 338 1940 **Paris**، ويتفق كل من شالندون ورينيه جروسـية بـأن السرجندية كانوا يشكلون الجنود المشاة. وهناك من يعتبر أن خدمة اثنين من السرجندية الراكبين مكافئة عمومـا لفـارس واحد من المدرعين . أنظر أيضا: البيشاوي: الممتلكات،ص97.

Cf. Chalendon، F.، op.، cit.، P. 324، Grousset.، R.، **L'Empire du Levant**، 1946 **Paris**، P. 285.

امرائه الاقطاعيين بمن فيهم سيد حيفا ، فضلا عن راي المحكمة العليا ، فلم يكـن بوسـعه ان يعزل أي امير عن اقطاعه الا بموافقة المحكمة العليا .

وبناء على ما سبق كان على سيد إقطاعية حيفا توفير عددا من الفرسان والسرجندية لخدمـة الملك الصليبي في بيت المقدس، وقد زودتنا المصادر المعاصرة بعدد الفرسان والسرجندية الذين كانت تقدمهم الإقطاعية،إذ ورد في كتـاب قـوانين بيـت المقـدس Assises Jerusalem إن إقطاعية حيفا كانت تقدم سبعة فرسان وخمسة وعشرين سرجنديا، وكان هؤلاء يجهزون بوساطة سيد إقطاعية حيفا والنبلاء المقيمين بها أو الذين يمتلكون بعـض الأمـلاك والعقـارات داخـل الإقطاعية[1].

ويلاحظ أن الخدمة العسكرية التي كانت تقدمها إقطاعية حيفا ، كانت متواضعة مقارنة بمـا كانت تقدمه الإقطاعيات الأخرى، وربما يرجع ذلك إلى صغر حجم الإقطاعية وضعف مواردها الاقتصادية، وقلة عدد النبلاء والبرجوازية الذين كانوا يقيمون بها،على الرغم من وجود مينـاء للتصدير والاستيراد يساعد في قوة الإقطاعية الاقتصادية،فضلا عن الضرائب التي تحصل على البضائع الداخلة والخارجة،هذا إلى جانب ما كان يجبى من ضرائب من الفلاحين الذين يقطنون داخل إقطاعية حيفا. وربما يرجع كل ذك إلى أن حدود الإقطاعية كانت صـغيرة مقارنـة مـع إقطاعيات أخرى مثل نابلس وقيسارية على سبيل المثال لا حصر، وهذا الذي جعل الإقطاعيـة تقدم هذا العدد المحدود من الفرسان والسرجندية.ولكن قلة الخدمات المقدمة مـن الإقطاعيـة لا تلغي ضرورة إسهام حيفا في تقديم الخدمات العسكرية لملك مملكة بيت المقدس الصليبية.

وفي هذا الصدد أشار المؤرخون الحديثون إلى أن الخدمة العسكرية التي كان يقدمها السادة الإقطاعيون، بمن فيهم سيد إقطاعية حيفا ، لم تكن محددة بتاريخ معين من السنة ، كمـا كـان الحال في غرب أوروبا[2]، وإنما كانت الخدمة تقدم إلى الملك الصليبي على مدار الـسنة كلمـا

---

(1) Jean d'Iblin، **Assises de Jerusalem**، vol . ، P. 424.

(2) عاشور ، **الحركة**، جـ1 ، ص466، طرخان ، **النظم**، ص48، البيشاوي ، **نابلس** ، ص77

تعرضت البلاد للخطر ، أو في حالة قيام الملك بحشد القوات لشن الغارات ضد مواقع المسلمين ، ولعل ذلك يرجع إلى ظروف المملكة الصليبية سواء كانت معرضة لهجوم إسلامي ، أو كـان الملك الصليبي يعد لهجوم ضد المسلمين . كل هذا اجبر السادة الإقطاعيين على تقـديم الخدمـة العسكرية على مدار السنة، وان التزموا فقط بعدد الفرسان والسرجندية الذي كان يقوم كل سـيد إقطاعي بتقديمه لسيده وقت الحرب[1].

2.3 الخدمات العسكرية التي تقدمها اقطاعية حيفا إلى مملكة بيت المقدس الفرنجية

أشرنا إلى أن السيد اقطاعية حيفا كان يقدم خدمات الفرسان والسرجندية إلى ملك بيـت المقدس، وأوضحنا أن هذه الخدمة لم تكن محددة بوقت معين وإنما كانت تقدم على مدار السنة، بسبب ظروف إقامة الفرنجة في الأراضي المقدسة. وإلى جانب ذلك كان سيد اقطاعيـة حيفـا وفيكونت المدينة يشاركان في اجتماعات المحكمة العليا (محكمة الملك) التي كان يترأسها ملـك بيت المقدس الفرنجي، لا سيما فيما يتعلق بالأمور العسكرية والدفاع عن المملكة ضد الاخطـار الخارجية، أو في حالة قيام ملك بيت المقدس بشن هجمات على المعاقل والبلاد الاسلامية. ومن هذا المنطلق فإننا نعتقد أن اقطاعية حيفا قد شاركت بفرسانها وجنودها إلى جانب قوات المملكة في التصدي لقوات الموصل ودمشق المتحدة بقيادة ظهير الدين طغتكين[2]، أمير دمشق، وشرف الدين مودود[3] أمير الموصل، إذ نجحت القوات الاسلامية في استدراج بلدوين الأول إلى جسر

---

(1) عاشور ،المرجع نفسه ، جـ1، ص446، البيشاوي المرجع نفسه ، ص77-78 Richard ،J، op،cit، 1، vol. 89 P.

(2) ظهير الدين طغتكين: كان احد اتباع تاج الدولة تتش السلجوقي، وبعد وفاته تزوج من زوجتة (والده دقاق) واصـبح يعمل في خدمة دقاق، الذي " مال إلية وحكمه في بلاده "، وبعد وفاة دقاق سيطر طغتكين على دمشق، وعامـل أهلهـا معاملة حسنة " وبث فيهم العدل" انظر: ابن الأثير، الكامل، جـ 10، ص 248-377، البيشاوي: نـابلس، ص 96، هامش45.

(3) شرف الدين مودود: هو مودود ابن التوكين، ورد أسمة باسم اسبارسلار، كان (خيرا عادلا كثير الخير) وقد قتـل شرف الدين مودود وهو يصلي في الجامع الاموي في دمشق، إذ قتله احد الباطنية (الحشاشين)، لدرجة ان الفرنجة قالوا " امة قتلت عميدها. " انظر: ابن القلانسي: ذيل، ص 294-298، ابن الاثير: **الكامل**، جـ 10، ص 497، ابـن خلكان: **وفيات،** جـ 1، ص 242، جـ5، ص 200.

الصنبرة[1] عام 507 هـ/1113م، حيث نشبت معركة بين القوات الاسلامية والجيش الفرنجي الذي تعرض للهزيمة إذ غرق معظم الجند في بحيرة طبرية، وفي الوقت نفسه غنم المسلمون أموالهم وسلاحهم، وقد قدرت خسائر الفرنجة في تلك الموقعة بألف ومئتين من المشاة وثلاثين من الفرسان[2]، أما الذين نجوا من القتل فقد احتموا ببعض المرتفعات الواقعة غربي بحيرة طبرية. وعلى الرغم من أن القوات الفرنجية عانت من نقص المياه ومن حصار استمر ستة وعشرين يوما، إلى انهم كانوا يشعرون بضرورة البقاء في هذا الموقع رغم قيام المسلمين بمنع الميره عنهم، ورميهم بالسهام والنشاب من أجل إجبارهم على الخروج لقتالهم، إلا أنهم لم يخرجوا لقتال المسلمين[3].

ومن الواضح أن هذه الخطة التي لجأ إليها الفرنجة أتاحت الفرصة للقوات الإسلامية بالتوغل في كافة أنحاء مملكة بيت المقدس ولمدة شهرين متواصله. وقد قدم الفلاحون الفلسطينيون المساعدة للجيش الإسلامي في تدمير المراكز الفرنيجية في إقليم الجليل ووصلت مقدمتهم حتى مشارف نابلس ولم يبق بين عكا والقدس ومدن الساحل ضيعة عامرة، ورغم أن ابن القلانسي وابن الأثير لم يذكرا صراحة أن القوات الإسلامية قد وصلت إقطاعية حيفا، وقامت بتدمير قراها وريفها وأخذ ثرواتها ومزروعاتها، وإصابة سكانها الفرنجة بحاله من

([1]) جسر الصنبرة: ذكر هذا الموقع باشكال مختلفة منها، سن النبرة Sinn En Nabrah أو صنبرة Senbra وهو اسم لقرية وقلعة قديمتان تقعان في الجليل إلى الغرب من نهر الاردن. وقرية الصنبرة محصنة ومقامه على تل يرتفع مائة وخمسين مترا عن مياه بحيرة طبرية، والواقع أن الجسر سمي بإسم القرية لقربها منه، وقد عرف بإسم جسر السد أو جسر خربة الكرك. وتقع قرية الصنبرة جنوب بحرية طبرية، ويحدها من الشمال الغربي قرية سرجون، ومن الغرب قرية سارونا، ويقع جسر الصنبرة جنوب غرب القرية، التي تزين الغور الفلسطيني بجمالها وقصورها وخصالها، ففيها كان يقيم خلفاء بني امية في فصل الشتاء. ومنهم معاوية بن ابي سفيان، ومروان ابن الحكم، وابنة عبد الملك، وبقية الامراء انظر: المسعودي: **مروج**، جـ 3، ص 89، انظر ايضا: الدباغ، **بلادنا**، جـ 9، ق 2، ص 436، عاشور: **الحركة**، جـ 1، ص 311، البيشاوي: **نابلس**، ص 96، هامش 47 CF. Victor Guerin. **Description.** Tome. 1. pp. 272-273

([2]) أشار ابن الاثير الى ان الملك بلدوين الأول وقع أسيرا في تلك الموقعة، ولكن المسلمين لم يعرفوه، فاخذوا سلاحه واطلقوا سراحه، انظر: جـ10، ص 496، عاشور، **الحركة**، جـ1، ص 312، رانسيمان: **تاريخ**، جـ2، ص 206-205.

([3]) ابن الاثير: الكامل، جـ10، ص 496، عاشور، **الحركة**، جـ1، ص 312، رانسيمان، المرجع نفسه، جـ2، ص 206.

الذعر، بحيث لم يجرؤ أحدا منهم على الخروج للدفاع عنها، وفضلوا الاحتماء داخل حصونهم، مما يشر إلى أن فرسان وسرجندية[1] إقطاعية حيفا لم يكونوا متواجدين في المنطقة، وإنما كانوا مع الملك بلدوين الأول، وإلا لخرجوا ودافعوا عن إقطاعيتهم وقراهم وحصونهم.

وشهدت إقطاعية حيفا فترة من الهدوء والاستقرار في أواخر عهد الملك بلـدوين الأول والسنوات الأولى من عهد الملك بلدوين الثاني [2] إذ لم تتعرض الإقطاعية لإية غارات إسلامية في تلك الفترة، كما أنها لم تشهد إية اضطرابات ومشاحنات في الريف الحيفاوي بين المسلمين و الفرنجة من سكان الإقطاعية.

وقد اشتركت حيفا مع بقية المدن الخاضعة للسيطرة الفرنجية في توسيع حدود المملكـة أثناء حكم الملك بلدوين الأول الذي قاد حملة قوية على منطقة جنوب البحـر الميـت وشـرقي الأردن، وذلك في 509هـ/1115م، وتعددت الآراء حول الغرض من هذه الحملة، ومنها أنهـا استهدفت الانتقام من الفاطميين لما شنوه من هجمات على جنوبي مملكة بيت المقدس وبالـذات على المدينة المقدسية، غير أن الموقع يشير إلى أنها استهدفت توطيد أقدام الفرنجة في شـرقي البحر الميت[3]حيث بدأ بتشييد قلعة الشوبك وأطلق عليها في البداية اسم جبل الملك Le Keak)

([1]) ابن القلانسي: **ذيل**، ص 185-186، ابن الأثير: **الكامل**، جـ1، ص 496، ابن خلدون، **العبر**، جـ5، ص 195، ابن الجوزي، **مرأة**، جـ8، ق1، ص 82.

.CF. Rohricht. Regesta. P. 12. CF. Also Stevenson. P . 63

انظر أيضا: عاشور، **الحركة**، جـ1، ص 312-314، براور: **عالم**، ص 68، وقد وقع الملك بلدوين الاول اسيرا في تلك المعارك ولكن المسلمون لم يعرفوه، فاخذوا سلاحه وأطلقوا سراحه.

أنظر: ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، ص 18-19. أشار المؤرخون المسلمون إلى قيام القوات الإسلامية باجتياح جميـع البلاد الواقعة بين عكا وبيت المقدس مما يؤكد وصول الغارات الإسلامية حتى إقطاعية حيفا وتدمير ريفها وربما وصـلت إلى أسوار مدينة حيفا نفسها. انظر: ابن القلانسي: المصدر نفسه، ص 186، ابن الأثيـر: **الكامـل**، جـ1، ص 496، براور: عالم، ص 68.

([2]) الصوري: **تاريخ الاعمال**، جـ1، ص 263-272.

Stevenson. Op. cit. p. 66،Albert d Aix. 21-22. pp. 702-703

رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 230-231، البيشاوي: نابلس، ص 80.

.Albert s Aix. pp. 704 ([3])

وليم الصوري: تاريخ الاعمال، جـ1، ص 275، رانسيمان، جـ2، ص 159، السيد: المرجع نفسه، ص 191.

(de Montreal ثم عادت حيفا لتشهد انتعاشا آخر في اول عهد الملك الثاني، الذي آل إلية حكم مملكة بيت المقدس اعتبارا من 21 ذي الحجة 511هـ/14 نيسان 1118م[1]، واستمر في حكم المملكة حتى 526هـ/1132م.

وبالرغم من وقوع بلدوين الثاني في الأسر عند الأمير بلك بن بهـرام صـاحب حلـب وحران عام 517هـ/1123م[2]، إلا أن الفرنجة لم يتقاعسوا عن توسيع حدود مملكتهم وخاصة في الاستيلاء على المدن الساحلية، ولا بد وان سيد اقطاعية حيفا قد أسهم بالقوة العسكرية التـي حاصرت مدينة صور في السابع وعشرين من ذي الحجة عام 518هـ/ الخامس عـشر شـباط 1124م، حيث عانى أهلها الويلات والكوارث وواجهوا الموت المؤكد لطول فترة الحـصار [3]،

([1]) توفي الملك بلدوين الأول في الثامن من ذي الحجة سنة 511هـ/2 أبريل سنة 1118م وقد خلفة في حكـم المملكـة الصليبية ابن عمه بلدوين دي بورج (ولقب بلدوين الثاني) الذي توج ملكا فـي20 ذي الحجـة سـنه 511هـ ـ/1118م، واستمر حتى 426هـ/1132م، انظر: وليم الصوري، جـ2، ص 230-231. البيـشاوي: نـابلس، ص 79-80 السيد: المرجع نفسه، ص 191.

Rohricht. Op. cit. pp. 125-128. . . CF. also Stevenson. Op. cit. p. 66-67

([2]) ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص 315، الصوري، جـ2، ص 621-627، الشارتري: المـصدر نفـسه، ص 204-205. ابن ميسر: أخبار، جـ2، ص 64، أبو الفداء: المختصر، جـ2، ص 237، البيـشاوي: نـابلس، ص 82.

Conder، The Latin Kingdom، Stevsnson. p. 94، p. 116.

وقع الملك بلدوين الثاني في اسر (بلك) صاحب حلب وحران، عندما حاول تقديم المساعدة لقلعـة كركـر القريبـة مـن خرتبرت في شمال الشام 517هـ/1133م، وحين أذن اسند بارونات المملكة إلى يوستاش جارنييـه Eustaces Garni سيد صيدا وقيسارية الوصاية على العرش، ولكنة ما لبث أن توفي بعد بضعة اشهر، فتولى من بعده وليم بـور أميـر الجليل الوصاية وأطلق سراحه في رجب 518هـ/ أب 1124م، مقابل دفع فدية كبيرة وتحرير أسرى مـسلمين، ابـن القلانسي، ص 209، راجع الشارتري: تاريخ الحملة، ص 205، ابن الأثر: الكامـل، جـ2، ص 611-613، عمران: القادة، ص 55، . Cf. Stevenson. Op. cit. p. 114

([3]) وبعد مشاورات مع الفرنجة، تم تسليم المدينة في عام 518هـ/ 7 يوليه 1124م، (بالشروط المألوفة) بان يأمن كـل من أرد من السكان أن يغادر المدينة بما يحمله من متاع. . . ومن اراد الاقامة بالمدينة، احتفظ بحقة مواطنا مـن قبـل الفرنج والبنادقة، وفتحت المدينة وابوابها للقوات الفرنجية.

رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 272، .William of Tyre. P. 608

وكانت صور تابعة للفاطميين في عام 506هـ/1112م، وعندما حاصرها الفرنجة، استنجدت بظهير الدولـة طغتكـين الذي سارع لنجدتها بقوات من دمشق بقيادة الوالي مسعود وبقيت هذه القوات حتى مقتل الأفضل عام 516هـ ـ/1122م، فسير الفاطميون من مصر أسطولا قام بالقبض على الوالي مسعود بحجة الشكاوي المقدمة ضده من الأهالي وتم إعادتـه إلى دمشق، فما كان من الفرنجة الا اغتنام إحجام الفاطميين عن قتالهم لشن الهجوم على صور، انظر فوشيه الشارتري،

وحاول جيش مصري خرج من عسقلان أن يصرف الفرنج عن صور، فقـام بمهاجمـة بيـت المقدس وبلغ ارباض المدينة المقدسة غير أن سكانها من المـدنيين والتجـار ورجـال الـدين والقساوسه، بادروا بالدفاع عن أسوارها الضخمة، مما اضطر القائد المصري أن يعـدل عـن الهجوم على المدينة.

وتمضي فترة في تاريخ حيفا فيما بين 525-533هـ/1131-1138م، يكتنفها الغموض إلى حد كبير، خاصة أنها شهدت حكم الملك بلدوين الثاني عام 1131م، وبداية حكم الملك فولك الانجوي[1]، فضلا عن ضعف العمليات الهجومية الفرنجية ضد المسلمين. وكان فولك الانجوي قد تزوج من الملكة ميلسند ابنة بلدوين الثاني، وتوج ملكا في أيلول عـام 1131م، ولا بـد وان سيد اقطاعية حيفا قد توجه إلى بيت المقدس، وحضر تتويج فولك الانجوي والملكة ميلسند.

وبعد وفاة الملك فولك عام 1124م، أصبحت الملكة ميلسند Melissande وصية على عرش المملكة اللاتينية؛ نظرا لان ولديها لم يبلغا سن الرشد وهما بلدوين الذي كان في الثالثـة عشرة من عمره، واملريك(عموري) في السابعة، وقام بطريرك بيت المقدس بتتـويج ميلـسند وابنها بلدوين معا[2]، وكانت الملكة ميلسند على قدر كبير من المقدرة والكفاءة، مما جعلها تسير دفة الحكم في المملكة بنجاح[3]، واتخذت من رجالات المملكة الأقويـاء مستـشارين وقـادة، إذ اتخذت من مانسيس دي هيرج Manasses de Hiergen مستشارا ومساعدا لها فـي ادارة

ص 695-720، ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص 620، ابن ميسر، جـ2، ص 64، أبـو الفـداء: المختـصر، جـ2، ص 237، الدبس: تاريخ، جـ6، ص 58، البيشاوي: نابلس، 83. Stevenson. Op. cit. pp. 116 .
.Rohricht. R. op. cit. p. 194 . Stevenson. Op. cit. pp. 130-131(1)
فولك الانجوي: هو فولك الخامس كونت انجو، وكان أرملا، زار الأراضي المقدسة، وكان على علاقة طيبة مع الملك بلدوين الثاني وتزوج من ابنته مليسند عام 1129م، وكان قبل تتويجه حاكما لعكا وصور.
William of Tyre. Vol. 2. pp. 608-609.، نيكلسون، تطور، جـ1، ص 118، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص284

(2) William of Tyre. Vol. 2. p. 707 رانسمان، جـ2، ص 376. .

(3) Richerd . Stevenson. Op. cit. p. 147. vol، 1، p. 64، Rphricht، 229 op. cit p.
انظر: رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 376، البيشاوي: نابلس، ص 87، نيكلسون، تطور، ص 126.

شؤون المملكة، كما عينته قائداً أعلى للجيش الملكي . [1] وفي سنة 539 هـ /اوخر نوفبر وأوائل 1144 م، اتخذ مجلسها قراراً بالاجماع ينص على ارسال جيش فرنجي من مملكة بيت المقدس لنجدة امارة الرها[2] Edessa والدفاع عن سكانها المحاصرين من قبل قوات عما الدين زنكي، وتم اعداد الجيش وتنظيمه تحت قيادة مانسيس دي هيرج [3] الذي اتجه نحو الرها وكان يرافقه فرسان وسر جندية حيفا في ديمبر 1144 م، ولم يصل جيش مملكة بيت المقدس الصليبيه الى الرها الا بعد فوات الاوان، اذ كان عماد الدين زنكي قد استردها في 25 جمادى الاخر سنة 539 هـ/25 ديسمبر 1144 م[4].

ومن الواضح أن اقطاعية حيفا قد لعبت دورا هاما فيما كان يجرى حينئذ من أحداث حربية ومن المؤكد أنها شاركت في المجهودات العسكرية لجيش المملكة. وقد شهدت الإقطاعية انعقاد المحكمة العليا High court 24 يونيه (حزيران) عام 1948م، إذ اجتمع كبار السادة الاقطاعيين، وممثلين عن الهيئات الدينية المحاربة، والجاليات التجارية، والأساقفة، ورؤساء الأساقفة، وسيد إقطاعية حيفا، في بلدة بالميرا الواقعة في حدود اقطاعية حيفا من اجل مناقشة قرار يقضي بشن حرب ضد دمشق[5]. ويبدوا أن المجتمعين قد اتخذوا قرارا بمهاجمة دمشق إذ

([1]) الرها: تقع على بعد 45 ميلا شرقي الفرات و 160 ميلا شرقي أنطاكية، وحكمها الفرنج مده نصف قرن، وتمكن عماد الدين زنكي من استردادها من جوسلين الثاني عام 1144م. انظر: فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة، ص 52-54، ابن القلانسي، ص 279-280، ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص 118-125- أبو شامة: الروضتين، جـ1، ص 36-37، البيشاوي: نابلس، ص 87، William of Tyer. I. p.

([2]) مانسيس دي هيرج: هو ابن هوديرنا دي ريشلHodierne de Rethl ، شقيقة الملك بلدوين الثاني، وأشار وليم الصوري إلى أنه كان أحد أقارب المكلة ميلسند، فضلا عن انه كان صديقا حميما لها، ونال منزلة ممتازة لديها، وقد افاد من تأييد المكلة له. انظر: الصوري، جـ2، ص 240، رانسيمان، جـ2، ص 376-377، البيشاوي: نابلس، ص 87. Rey- Les Familles p. 544

([3]) الصوري، جـ2، ص 242، انظر ايضا: البيشاوي: **نابلس**، ص 23387 Rohicher. R. op. cit. p. ، Steveson. Op. cit pp. 149-150.

([4]) رانسيمان، المرجع نفسه، جـ2، ص 380.

([5]) ابن الأثير: الكامل، جـ11، ص 98-99، ابن واصل: **مفرج**، جـ1، ص 98-99، انظر ايضا: رانسيمان: جـ1، ص 380-381، البيشاوي: **نابلس**، ص 87، حبشي: **نور الدين**، ص 56.
William of Tyre. Vol. 2. pp. 142-143. CF. Also Rohricht. R. op. cit. pp. 233-234. Stevenson . op. cit. pp. 149-150.

زحفت القوات الفرنجية ومن ضمنها فرسان ومشاة إقطاعية حيفا نحو دمشق فوصلتها في 6 من ربيع الأول 543هـ/ 24 تموز يوليه 1148م، وكانت أعدادهم حسبما أورد ابن قاضي شهبه تناهز ستين ألف رجل وعشرة آلاف فارس وخيموا في منطقة المزه، وخرجت قوات معين الدين أنر حاكم المدينة ومجير الدين للقائهم، وكانت قواتهم تقدر بمائه آلف وجل سوى الفرسان ودارت معارك شديدة بين الطرفين أحرزت فيها القوات الفرنجية انتصارا على المسلمين في اليوم الأول للقتال[1]، وخيموا في الميدان الأخضر وضايقوا البلد، فاضطر أنر إزاء أن يكتب لسيف الدين غازي ونور الدين محمود ابني زنكي اللذان حضرا للمشاركة في الدفاع عن دمشق، ولما كان أنر يخشى على دمشق منهما رغم حاجته إليهما فقد بادر إلى مكاتبة الفرنجة يحثم على ترك دمشق و إلا سيسلمها لنور الدين محمود، كما كاتب سرا قادة بيت المقدس (على راسهم الملك بلدوين الثالث) ودعاهم للتراجع وآلا فانه سيسلم دمشق لنور الدين مما يعني القضاء عليهم[2]، وقد أحدثت تلك المراسلات شقا في الصف الصليبي وتحدثت الروايات التاريخية عن تحول الفرنجة عن مواقعهم المحصنة إلى مواقع مكشوفة آدت بالتالي إلى هزيمتهم[3]، وهنالك أسباب حقيقية لفشل تلك الحملة[4]. وأخذت القوة الإسلامية تتشجع على توجيه ضربات للفرنجة

([1]) ابن قاضي شهبه: **الكواكب**، ص 126، مجهول: **أخبار الحملتان**، ص 522، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 616.

([2]) ابن القلانسي: ذيل، ص 298-300، ابن قاضي شهبه: **الكواكب**، ص 126-127، ابن واصل: المصدر نفسه، جـ1، ص 112-113، رانسيمان، جـ2، ص 453.

([3]) ذكرت بعض المصادر التاريخية إن معين الدين أنر قدم رشاوي باهظة إلى الملك بلدوين الثالث وغيره من أمراء فرنج بيت المقدس وسيد طبريا وقد اكتشف فيما بعد إن تلك النقود كانت مزيفة، أما المصادر الإسلامية فلم تتعرض لأخبار تلك الرشاوي، مما يفهم أن تلك الروايات مختلفة، قصد منها تعليل فشل الحملة الصليبية الثانية، انظر ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 162-163، مجهول: **اخبار الحملتان**، ص 542، رانسيمان، جـ2، ص 455، عاشور: ال**حركة**، جـ2، ص 616-617.

([4]) من هذه الأسباب إن تعداد الجيوش الصليبية كان اقل من الناحية العددية من الجيوش الإسلامية، وذكر وليم الصوري كثرة القيادات الصليبية في ذلك الجيش إذا ما قيست بأعداد المحاربين بالإضافة إلى ثبات أهل دمشق في التصدي للاعداء، وتوالت النجدات لهم من جميع المناطق، كذلك من أسباب فشل تلك الحملة أن العساكر الصليبية لم تستطيع التحرك لقتال المسلمين بكفاءة وسط البساتين، فضلا عن انتشار الأمراض بين صفوف القوات الصليبية المهاجمة، وقد نوه ابن قاضي شهبه: **الكواكب**، ص 137-138، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 457.

وخاصة بعد هزيمتهم في الحملة الفرنجية الثانية، ولعل هذا ادى الى تعاظم نفوذ نور الدين زنكي وسلطانه في الشام.

وقد أسهمت إقطاعية حيفا في توسيع حدود المملكة بمساهمتها بفرسانها ومـشاتها ومـا لديها من مؤن ومعدات قتالية تقدمها إلى الملك بلدوين الثالث للاستيلاء على عسقلان، ولكونهـا قاعدة ارتكاز وانطلاق للقوات الفاطمية لمهاجمة بيت المقدس، وقام الفرنجة بفرض حصا ر على المدينة وكانت خطتهم تقضى بتدمير البساتين الواقعة في المنطقة المجـاورة لمدينـة عـسقلان لإلحاق الأذى والخسارة بالمسلمين في المدينة، وهي سياسة الحصار والتجويع، الذي امتد مـن 27 شوال 547-26 جمادى الآخر 548هـ/25 كانون أول 1125-19 آب 1153م. وحـاول الفاطميون إرسال المؤن والمعونات للمدينة إلا أن ذلك لم يمنع من سقوطها، مما دفع بحاميتهـا إلى طلب الأمان، ودخلها الفرنجة في موكب رسمى وتسلموا قلعتها في 26 جمادى الأولى عـام 548هـ/ 19 آب عام 1153م. وقد استحوذ الصليبيون على جميع ما كانت تحتويه القلعة مـن المال والسلاح، كما أنهم سمحوا لسكان المدينة بالخروج منها بأمان(1).

وباستيلاء الفرنجة على عسقلان تم إحكام سيطرتهم على شواطئ الشام وفلسطين مـن الاسكندرية حتى غزة ويعتبر الاستيلاء على عسقلان آخر الأعمال الضخمة التي حققها الفرنجة وقد أسهمت الكوارث الطبيعية في أضعاف قوة الفرنجة، فقد حدث في عام 548هـ ـ/ 1153م قحط وجدب شديدان في دمشق وفلسطين، هذا فضلا عن الهزات التي حدثت عـام 552هـ ـ/ 1157م، وما نتج عنها من خراب في معظم مدن اقطاعية حيفا وقلاعها وقراها، وباقي الـبلاد في الشام والأراضي المقدسة فانشغل الطرفان عن بعـضهما بعمـارة وإصـلاح مـا خربتـه الزلازل(2) والسيول وسبق لنور الدين محمود أن استغل الظروف الملائمة وقام بالاستيلاء على

---

(1) ابن القلانسي: **ذيل**، ص 321، ابن واصل: **مفرج**، جـ1، ص 126، الصوري: **تاريخ**، جـ2، ص 820-822، رانسيمان: **تاريخ**، جـ2، ص 547-548.

(2) ابن القلانسي: المصدر نفسه، ص 323، ابن الجوزي: **مرآة**، جـ8، ق1، ص 228-229، ابن قاضي شهبه: **الكواكب**، ص 159، ابو الفداء: **المختصر**، جـ3، ص 31، رانسميان: جـ2، ص 553.

دمشق في 550هـ/ 18 أبريل 1154م، وقام بطرد معين الدين أنر[1]، ولـم يكتـف الفرنجـة باستيلائهم على عسقلان من الفاطميين، وإنما كانت هذه الخطوة الأولى في التطلع للوصول إلى مصر، فبعد فترة وجيزة من وصول الملك عموري Amalric[2] إلى الحكم أعد حملـة علـى مصر في شوال عام 558هـ/ أيلول سبتمبر 1163م، إلا أنه فشل فيها وأجبر الملك على العودة إلى القدس خائبا. وربما شاركت اقطاعية حيفا في هذه الحملة، اعتمادا علـى مـا كانـت مـن الإقطاعيات المقربة من الملك، ولا شك أن قوات إقطاعية حيفا كانت من دعائم الجيش الفرنجي في حروبه مع المسلمين، جاهزة دائما لحماية حدود المملكة ضد الاخطار الخارجية التي كانـت تتعرض لها بين الحين والآخر، فكانت دائما تسهم في إمداد الجيش الفرنجي بالمؤن والزاد.

وقد حدث في عام 559هـ/ 1163م، أن تدخل كل من نور الدين محمود والفرنجة في شـؤون مصر بسبب النزاع على السلطة بين شاور وضرغام، فأرسل نور الـدين قائـدة أسـد الـدين شيركوه[3]على رأس قسم من قواته إلى مصر لدعم شاور، وتـدخل الفرنجـة لـدعم ضـرغام

([1]) إن مهاجمة الحملة الصليبية الثانية لدمشق، أدى إلى سقوطها بطريق غير مباشر في يد نور الـدين محمـود، ممـا سيكون له أبعاده الخطيرة في تاريخ الفرنجة في المنطقة. والواقع أن نجاد نور الدين في الاستيلاء على دمـشق سـوف يدفعه بعد ذلك . . . كانت سنرى. . . لمحاولة ضم مصر ايضا بعد أن راى ضعف الخلافة الفاطميـة الـشيعية ومـا أصابها من انهيار، وسوف ينجح في هذه، مما سيجعل الفرنجة يقعون بين حجرى الرحى؟

William of Tyre. Vol. II. P. 319. CF. **Duggan**. Op. cit. pp. 117-118.

رانسيمان: **تاريخ**، جـ2، ص 550، عبد الوهاب، **فيسارية**، ص 117.

([2]) الملك عموري خاف أخاه الملك بلدوين الثالث على حكم مملكة بيت المقدس عام 1163م، وكان كونتا ليافا، ثم منحه بلدوين الثالث عسقلان، وكان عمره عند اعتلائه العرش سبعه وعشرين عاما. اشتهر بالذكاء والذاكرة القوية والمعرفـة بالقانون. انظر: وليم الصوري، جـ2، ص 878-879، اما عن حملته على مصر فلم يرد ذكرهـا فـي المـصادر الإسلامية والوحيد الذي ذكرها هو وليم الصوري. انظر: وليم الصوري، جـ2، ص 884، رانسيمان، جـ2، ص 592.

([3]) أسد الدين شيركوه، واخوه نجم الدين أيوب، وهم من الأكراد الروادية من إشراف الأكراد وانتخب لحكـم تكريـت، فسار أليها مع أخيه أسد الدين شيركوه، ولما انهزم زنكي في العراق خرج الأخوان إلى اتابك زنكي في الشام، وجعـل نجم الدين حاكما على بعلبك، فلما قتل اتابك عماد الدين زنكي في عام 539هـ/ 1144م، سلم نجم الدين بعلبـك إلـى صاحب دمشق معين الدين أنر، في الوقت الذي التحق فيه شيركوه بخدمة نور الدين الذي قربه إليـه واقطعـه حمـص والرحبة وغيرها، تولى وزارة الخليفة العاضد الفاطمي وبقى بها شهران، وتوفي في عام 564هـ/ 1169م، بمـرض الخانوق، ابن الأثير: **التاريخ الباهر**، ص 119-120، أبو الفداء: **المختصر**، جـ2، ص 45-46، رانـسيمان، جـ2، ص 594، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 677-678.

بتحريك معظم قوات المملكة بما فيها إقطاعية حيفا إلى مصر، وفي سنة 560هـ/ 1164م عاد شاور إلى الوزارة [1] بالقاهرة ومات ضرغام وكان نصرا لنور الدين محمود وأسد الدين شيركوه. وعاد الملك عموري من جديد يتحرك صوب مصر في أوائل رمضان سنة 559هـ/ أغسطس 1164م، استجابة لنداء شاور[2] وزير مصر الفاطمي للمساعدة في إخراج أسد الدين شيركوه وقواته الشامية من مصر. كما عادت حيفا تساهم في هذه الحملة إلى جانب الملك عموري الأول ليس بفرسانها ومشاتها فقط وإنما بجميع مواردها الاقتصادية وخدماتها الإقطاعية، كما أسهمت القوات الحيفاوية في حصار أسد الدين شيركوه في بلبيس مدة ثلاثة شهور بعد ان اجتمعت عليه القوات المصرية والجيش الصليبي بجميع فرسانه ومشاته وجرى أثناء الحصار مناوشات بينه وبين الفرنجة وحليفهم شاور، إلا أنهم لم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيئا[3] ونظرا لقيام نور الدين محمود بمهاجمة معاقل الفرنجة في بلاد الشام، اضطر عموري إلى طلب الصلح من شيركوه الذي وافق على شروطه بعد أن قلت الأقوات والذخائر في معسكره[4] ثم غادرت القوات الفرنجية والإسلامية الديار المصرية في ذي الحجة سنه

([1]) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص 87، ابن واصل: **مفرج**، جـ1، ص 146، أبو شامة: **الروضتين**، جـ1، ق2، ص 356، البيشاوي: **نابلس**، ص 107، دويكات، ص 191، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 594.
كان أسد الدين شيركوه قد توجه إلى مصر لمساعدة شاور في العودة إلى منصب الوزارة الذي نازعه ضرغام، وعندما تمكن أسد الدين من ذلك وأعاد شاور إلى الوزارة تنكر له وطلب منه العودر إلى بلاد الشام فوافق شيركوه على ذلك على إن يقيم شاور ما وعد به من تقديم ثلث الديار المصرية، إلا أن شاور لم يلتزم و أرسل إلى عموري ملك الفرنج في القدس يطلب منه النجدة لاخراج شيركوه من مصر، ابن الأثير: **الكامل**، جـ11، ص 298-299، أبو شامة: **الروضتين**، جـ2، ص 131، ابن العديم: **زبده**، جـ2، ص 316-317، النداري: **سناء** ص 19، رانسيمان، جـ2، ص 595، البيشاوي: **نابلس**، ص 108، عاشور، جـ2، ص 684.

([2]) اسهمت عدة عوامل في توجيه السياسة الفرنجية نحو مصر، منها أن الملك عموري كان شابا تدفعه حمية الشباب، بخلاف طموحة في توسيع رقعة المملكة الفرنجية، كذلك كان لوجوده كونتا ليافا وعسقلان اثره على الاهتمام بمصر، ومعرفته بسوء الأحوال بتلك الفترة. انظر حبشي: **نور الدين**، ص 56-57، عبد الوهاب: **قيسارية**، ص 117.
. The Knights. P. 87. Stevenson. P. 185،King

([3]) ابن الأثير: **الكامل**، جـ11، ص 300، رانسيمان، جـ2، ص 595، عاشور، ص 683-684.

([4]) ابن الأثير: **الكامل**، جـ11، ص 298-300، ابن تغري بردي: **النجوم**، جـ5، ص 387-389، أبو شامة: **الروضتين**، جـ1، ص 132، رانسيمان، جـ2، ص 595، البيشاوي: **نابلس**، ص 108.
CF. also: **Stevenson**. P. 308

559هـ/ أكتوبر 1164م، اما إقطاعية حيفا في تلك الفترة فكانت هادئه مستقرة بعيدة عن هجمات نور الدين محمود.

ومن المؤكد أن فيكونت الإقطاعية قد تحمل مسئولية حفظ الأمن والنظام أثناء غياب سيد الإقطاعية وفرسانها ومشاتها مع الملك عموري في الديار المصرية، ومن المرجح حضور سيد حيفا انعقاد المحكمة العليا عام 562هـ/ 1167م، والتي دعا إليها الملك عموري بسبب توجه جيوش نور الدين زنكي إلى مصر للمرة الثانية، مما يؤكد ازدياد وشدة المنافسة بين الفرنجة ونور الدين على امتلاك مصر(1)، والتي برزت من جديد فانعقدت المحكمة العليا في نابلس برئاسة الملك عموري وتقرر إرسال حملة كاملة العدة والعدد لإنقاذ شاور، ولا بد أن اشتركت فيها كل القون الضاربة بالمملكة، وتم فرض ضريبة مقدارها (10%) قابلة للزيادة على جميع الممتلكات الفرنجية تدفع لصالح الحرب(2)، ومن المؤكد ان الاجراءات التي قام بها الفرنجة كانت لمنع نور الدين محمود من السيطرة على مصر. وهي الحملة التي قام بها عموري في أوائل سنة 562هـ/ 1167م، والتي اشتبك خلالها مع قوات أسد الدين شيركوه عند البابين(3) في صعيد مصر وتمكن شيركوه من إلحاق الهزيمة بالقوات الفرنجية المصرية المشتركة، وانسحب الملك عموري في أثرها إلى القاهرة، لتنظيم قواته مع حليفة شاور والتي انتهت بعقد صلح جديد بين عموري وشيركوه وعودة كل منهما من حيث أتى في عام 564هـ/ 1167م(4)، مع بقاء

---

(1) الصوري: المصدر نفسه، جـ2، ص 889-890، ابن الأثير: **الكامل**، جـ11، ص 299، رانسيمان، جـ2، ص 601، أبو شامة: المصدر نفسه، جـ2، ص 131، البيشاوي: **نابلس**، ص 109، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 663-664،

(2) الصوري: جـ2، ص895، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 601-602. King. P. 9

(3) ابن الأثير: **الكامل**، جـ11، ص 324-326، أبو شامة: **الروضتين**، جـ1، ص 142-143، رانسيمان، جـ2، ص 601، والبابين تقع على بع عشرة أميال جنوب المينا، ويشير وليم الصوري إلى أن معركة البابين تعرف بمعركة Lamonal) التي تبعد عن البابين بعشرة أميال، وهو يقصد مدينة المينا. انظر: وليم الصوري، جـ2، ص 928، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 669. البيشاوي: **نابلس**، ص 108.

. A history. P. 181 King. Op. cit. p. 91،Lane pool

مارشال بلدوين، ص 207-208، وقد ذكرها رانسميان بمعركة الاشمونيين، جـ2، ص 604.

(4) تم الاتفاق على منح أسد الدين شيركوه خمسين ألف دينار، بالإضافة إلى ما أخذه من البلاد، أما الفرنج فقد اتفقت مع شاور على ان يكون لها شحنة في مصر (مؤخره عسكرية وقاعدة صليبية في القاهرة) تكون أبواب القاهرة بيد فرسانها،

مندوب سام من الفرنج أو حامية صغيرة تتولى حراسة أبواب القاهرة في ذلك الوقت وقد ألـح كثير من أمراء الفرنجة وسادة الإقطاعيات على الملك عموري من اجل القيـام بغـزو مـصر وفرض السيطرة الفرنجية عليها، فأعد عموري القوات الفرنجية للقيام بحملـة جديـدة[1] التـي وصلت إلى مصر في أواخر 564هـ/ 1168 وأوائل 1169م، الأمر الذي دفـع نـور الـدين محمود الى المسارقة بإرسال شيركوه للمرة الثالثة، ليحول بين الفرنجة وبين الاسـتيلاء علـى مصر خاصة وقد استنجد به الخليفة الفاطمي العاضد، وانتهى الأمر بعودة عموري إلـى بيـت المقدس مخذولا، وقتل شاور[2]، وتقلد أسد الدين شيركوه الوزارة للخليفة العاضد الفاطمي، ثـم ارتقى صلاح الدين الأيوبي[3] لمنصب الوزارة في مصر بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه فـي 564هـ/ 1169م.

ويكون للفرنج أيضا مائة ألف دينار كل سنة من دخل مصر. انظر: البنداري: **سنا**، ص 20، ابن الأثيـر: **التـاريخ الباهر**، ص 134، أبو شامة: **الروضتين**، جـ1، ص 143، ابن تغـري بـردي: **النجـوم**، جـ5، ص 330، رانسيمان، جـ2، ص 607، البيشاوي: **نابلس**، ص 108.

William of Tyre. Vol. 2. pp. 342-343. CF. **Also Stevenson.** P. 191. King. Op. cit. 92.

(1) ابو شامة: **الروضتين**، جـ1، ص 154، رانسيمان: جـ2، ص 614-615، البـشاوي: **نـابلس**، ص 19، ذكر أبو شامة أن الحامية الفرنجية التي بقيت في مصر، أرسلت إلى الملك عموري تطلب منه القدوم للاسـتيلاء علـى مصر، كما تعرض أيضا إلى ذكر اجتماع الفرسان و أصحاب الري من الفرنجة، الذين أشاروا على الملـك عمـوري بالمسير إلى مصر والاستيلاء عليها، انظر: **الروضتين في اخبار الدولتين**، جـ1، ص 154.

(2) ابن الأثير: **الكامل**، جـ11، ص 335-341، أبو شامة: **الروضتين**، جـ1، ص 158، ابن واصل: **مفـرج الكروب**، جـ1، ص 161، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، جـ5، ص 316، ابن الفرات: **تاريخ ابن الفرات**، جـ4، ص 46-53، وليم الصوري، المصدر نفسه، جـ2، ص 942-945. ستيفن رانسمان المرجع نفـسه، ص 617، البيشاوي: **نابلس**، ص 109.

Rohricht. R**. Regesta.** P. 337-342. **Stevenson**. Pp. 193-194.

(3) السلطان صلاح الدين الأيوبي: أبو المظفر ايوب الملقب بالملك الناصر، صاحب الديار المصرية والشامية والفراتية، ولد عام 532هـ/ 1137م، بقلعة تكريت ولم يزل في كنف ابيه حتى شب، ولما ملك نور الدين زنكـي دمـشق عـام 459هـ/ 1154م لازم نجم الدين ايوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين، وولاه نور الدين شحنكية (شرطة دمشق) دمشق قبل خروجة مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر عام 558هـ/ 1162م، تولى وزارة مصر بعـد وفـاة عمـه سـنة 564هـ/ 1169م، توفي في 589هـ/ 1193م، ابن خلكان: جـ7، ص 139، أبو شامة: **الروضتين**، جـ2، ص 218-219، ابن تغري بردي: **النجوم**، جـ6، ص 7، قلعجي: **صلاح الدين**، ص 151-225.

وقد توفي نور الدين محمود يوم الاربعاء 11 شوال 569هـ/ 15 مايو أيـار 1174م، بعد إعادة بناء الوحدة بين مصر والشام تحت رايته[1]، وبعد أن اسقط الخلافة الفاطميـة عـام 567هـ/ 1171م، بمعاونة صلاح الدين الأيوبي، الذي أمسك بزمام الأمور في الدولة الـشامية المصرية وتابع مسيرة الجهاد[2]أما في الجانب الصليبي فقد توفي ملك عمـوري الأول فـي 11 تموز 1174م، وخلفة على العرش الملك بلدوين الرابع الملقب (بالمجـذوم)[3]، وبهـذا انتهـت مرحلة التوسع والهجمات الصليبية الكبرى على البلاد الإسلامية، وبـدا دور جـيش المملكـة اللاتينية بما فيها فرسان وسرجندية اقطاعية حيفا في الدفاع عن المملكـة، والمحافظـة علـى استمرارية وجودها ككيان لاتيني بالشرق[4]، وفي ذلك يقول ابن واصل: (ولما ملك صلاح الدين الديار المصرية أيقن الفرنج بالهلاك، وفقـد الـصليبيون كـل روح المبـادرة فـي الـسياسة العسكرية)[5]، وكان صلاح الدين في هذه المرحلة يهدف إلى تدمير المملكة اللاتينية اقتـصاديا، عن طريق إرسال الوحدات العسكرية الإسلامية لتخريب الريف الخاضـع للـسيطرة الـصليبية والمزروعات، وبث الرعب والخراب في أنحاء المملكة اللاتينية[6]، وربما وصلت طلائع القوات الإسلامية إلى ريف وقرى إقطاعية حيفا وغنمت ما بها من خيرات[7]. ولم يستطع الفرنجة الذين افتقدوا إلى قوات احتياطية يدفعوها إلى معارك عند الحاجة.

وكان من الطبيعي أن تستمر إقطاعية حيفا في تقديم الالتزامـات الحربيـة والخـدمات العسكرية لمملكة بيت المقدس على مدارالسنة، وكلما تعرضت المملكة للخطر، وبالإضافة إلـى

([1]) ابن الأثير: **الكامل**، جـ11، ص 402، أبو شامة: **الروضتين**، جـ1، ص 231.
.CF. **Also Rohricht**. R. op. cit. p. 368. CF. **also Stevenson**. P. 208
رانسيمان: جـ2، ص 643، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 704، البشاوي: **نابلس**، ص 109.

([2]) ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ11، ص 575-580، رانسيمان: المرجع نفسه، جـ2، ص 636-637.

([3]) الصوري: المصدر نفسه، جـ2، ص 973، ابن جبير: **الرحلة**، ص 215، رانـسيمان، جـ2، ص 645-646، البيشاوي: نابلس، ص 110، عاشور: **الحركة الصليبية**، جـ2، ص 710-711.

([4]) سميل: **الحروب الصليبية**، ص 36، فؤاد دويكات: **طبريا**، ص 93، زكار: **الحروب**، ص 36.

([5]) ابن واصل: **مفرج**، جـ1، ص 179، دويكات: المرجع نفسه، ص 193-194.

([6]) أبو شامة: **عيون**، جـ2، ص 55، انظر ايضا: الدويكات: **طبريا**، ص 193.

([7]) سميل: **الحروب**، ص 36.

مشاركتها في الحملات التي يقون بها الملك ضد جيرانه المسلمين، وليس مـن الـشك فـي أن إقطاعية حيفا قد قامت بدورها على أكمل وجه، وزودت المملكة بالخدمات العـسكرية والمـواد اللازمة لعمليات الدفاع والتصدي للأحداث التي صاحبت نشاط صلاح الدين وغاراته المتكـررة على المعاقل الفرنجية، ولا بد أن سيد حيفا قد شارك بلدوين الرابع في 574هـ/ 1179م، فـي التصدي لقوات صلاح الدين الأيوبي والعمل على وقف الغارات الاسلامية على بعض المعاقـل الفرنجية في المملكة (1)، وتصدت حيفا للحملات التي قام بها السلطان صلاح الـدين لاسـترداد المدن الإسلامية الخاضعة للسيطرة الفرنجية، وقامت حيفا بـدورها إلـى جانـب الإقطاعـات الفرنجية الأخرى في صد القوات الإسلامية.

3.3 إسهامات إقطاعية حيفا بنشاطات مملكة بيت المقدس الداخلية

أسهم سادة إقطاعية حيفا بجميع المهام التي كان يقوم بها سادة الاقطاعات التي تتألف منها مملكة بيت المقدس اللاتينية، ومما يؤكد هذا أن سادة الإقطاعية كانوا يشتركون في التوقيع على المنح والهبات والأملاك التي كانت تمنح لكافة المؤسسات الدينية في المملكة، وقد قـام الأميـر تانكرد النورمندي بإغداق الكثير من المنح والهبات والإقطاعات على دير القديـسة مـريم فـي وادي يهوشفاط، إذ منحه قرية تايميني(2) Tymini التي تعرف باسم قريـة جالجـالا Galgala والواقعة على جبل الكرمل ضمن إقطاعية حيفا،فضلا عن حصن يقع في مدينة حيفا نفسها،حيث قام رجال الدين في دير القديسة مريم في وادي يهوشفاط بإنشاء كنيسة داخل الحـصن،وأعطى الأمير تانكرد للدير بعض المنازل والأشجار وطاحونة ومخبزا،تقع جميعها في مواجهة الحصن (3)ولم تشر المنحة إلى أن هذه العقارات والأشجار تقع داخل أسوار مدينة حيفا أو خارجها،ولكن

---

(1) ابن الأثير: **الكامل،** جـ11، ص 455-456، أشار عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح إلى وقوع حكام نـابلس وجنين في الأسر، انظر: **تاريخ فلسطين،** ص 186.

(2) قرية تايميني: تعرف باسم قرية جلجالا، وهي تقع في حدود اقطاعية حيفا، ويحدها من الشمال الشرقي مدينـة حيفـا ومن الجنوب قرية حنا (Anne) ومن الشمال الغربي قرية القديس إلياس (St Elias) ويطلق عليها اسم النبي إلياس، وهي من قرى جبل الكرمل، أنظر البيشاوي: **الممتلكات،** ص1980، هامش 2.

(3) البيشاوي: **الممتلكات،** ص19191 R?hricht. R. op. cit. Doc. No. 80. pp. 18_

يبدو أنها كانت تقع خارج الأسوار،لأن الوثيقة ذكرت ان الدير حاز على حـصن فـي مدينـة حيفا،بينما لم تشر الوثيقة إلى وقوع العقارات والأشجار في مدينة حيفا،وإنما في مواجهتها،ممـا يفيد أن جزءا من المنحه كان يقع في مدينة حيفا والجزء الآخر خارجها .وتجدر الإشارة إلى أن الملك بلدوين الأول قام بالتأكيد على هذه المنحـة بموافقـة البطريـرك والأسـاقفة ورؤسـاء الأساقفة،وممثلين عن الجاليات التجارية،وكبار السادة الإقطاعيين فـي لمملكـة بيـت المقـدس اللاتينية،وقد بدا واضحا أن التأكيد على هذه المنحة قد تم بعد خمس عشرة سـنة مـن تـاريخ حصول الدير عليها أي في 509هـ/1115م[1]،عندما كـان أرنولـف بطريـرك علـى بيـت المقدس،وهذا لايعني أن الدير لم يكن يتمتع بالممتلكات التي حصل عليها بمقتضى المنحـة لأن الوثائق لم تشر صراحة إلى ذلك،ويرجح أحد المؤرخين الحديثين إلى أن دير القديسة مريم كان يتمتع بجميع الممتلكات التي حازها من الأمير تانكرد على الرغم من أن هذه الممتلكات لم تكـن مدونة في السجلات الملكية حتى عام 509هـ/1115م[2]. كما ورد اسم مانسيس سـيد حيفـا كأحد الشهود على المنحة التي أكدها الملك بلدوين الأول لرئيس دير القديسة مـريم فـي وادي يهوشفاط[3]. كذلك شارك مانسيس في الاجتماع العام الذي دعا إيه الملك بلـدوين الثـاني فـي 19شوال عام 513هـ/23 ينـاير 1120م، لبحـث أمـور مملكـة بيـت المقـدس الداخليـة والخارجية[4]. وكان من الطبيعي مشاركة سيد إقطاعية حيفا في هذا الاجتماع الذي يخص فـي

([1]) البيشاوي: المرجع نفسه، ص190 R?hricht. R. op. cit. Doc. No. 80. pp. 18_19

([2]) البيشاوي: المرجع نفسه، ص191

([3]) R?hricht . R. Regesta. Doc. No. 80 ،pp. 18-19

([4]) وادي يهوشفاط: هو أحد الوديان الشهيرة في منطقة القدس، ويمتد شرقي بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقا وجبـل موريا غربا، وقد أطلق عليه المؤرخون في العصور الوسطى اسم وادي جهـنم(Jehenam) ويعتبـر جـزءا مـن وادي قدرون، يعرف الوادي بعدة أسماء، منها وادي مريم، ووادي النار، ووادي سلوان .

Zevi،William of Tyre op. cit. vol. 1. p. 341. Cf. also: **Lengeds of Jerusalem**، U. S. A. 1975، PP. 261-262

بورشارد، وصف، ص27، 126، 128، 147. أنظرأيضا: الدباغ: بلادنا، جـ8، ق2، ص 15 _17 ، البيـشاوي، الممتلكات، ص132، هامش 4.

6. R?hricht، R. **Regesta**. Doc. No. 80. pp. 18_19

أنظر أيضا: البيشاوي،**الممتلكات** ص180_181، البيشاوي، **نابلس** ،ص81.

William of Tyre. op cit. vol. 1. pp. 535_536،

جانب منه أمور إقطاعية حيفا، والذي حضره كبار السادة الإقطاعيين ورجال الدين اللاتين فـي مملكة بيت المقدس اللاتينية ومن بينهم بطريرك بيت المقدس جيرموند بيكينـي Gormond of Piguigny،وافريمار شوكس رئيس أساقفة قيسارية،وبرنارد أسقف الناصرة،واستنثيوس أسقف بيت لحم،وروجر أسقف اللد، ورئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشفاط، ورئيس دير جبـل طابور،وبلدوين سيد الرملة، ويوستاش جارنيه سيد بارونية صيدا،وكندسطبل يافا،ورئيس ديـر جبل صهيون،ورئيس كنيسة القيامة،بالإضافة إلى كثير من الأمراء الآخرين[1].

وهناك أسباب كثيرة دفعت سيد حيفا وغيره من السادة الإقطاعيين إلى حضور هذا الإجتمـاع الذي دعا إليه ملك بيت المقدس لعل أهمها: المصائب والنكبات والكوارث والهـزات الأرضـية وأسراب الجراد والفئران التي أهلكت المزروعات في المملكة ولمدة أربع سنوات متتالية[2]، مما أدى إلى ظهور المجاعات، والسرقات، وعدم الاستقرار،هذا إلى جانب الغارات المـستمرة مـن قبل المسلمين، مما أدى إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الكيان الفرنجي الصليبي، ومن ضمنه مدينة حيفا والمنطقة الريفية المحيطة بها.وقد ناقش المجتمعون ومـن بيـنهم سـيد إقطاعية حيفا المشاكل والصعاب التي تواجهها مملكة بيـت المقـدس اللاتينيـة،وربما حـاولوا علاجها،على الرغم من أن رجال الدين ألقوا باللائمة على قصور القوانين التي لم تعالج انحطاط الأخلاقيات،الأمر الذي ترتب عليه حدوث النكبات والكوارث الطبيعية .وقد توصل المجتمعـون إلى مجموعة من القرارات بلغت خمسة وعشرين قرارا تشير في معظمها إلى حاجة مملكة بيت المقدس إلى قوانين،حيث شرعت لأول مرة قوانين تختص بالزنا والانحراف والزواج بـامرأتين في وقت واحد،أو زواج المرأة برجلين في آن واحد، فضلا عـن قـوانين تتعلـق بالـسرقة أو بالإخلال بقانون المملكة[3].وقد أوصى المجتعون بتحريم ارتـداء المـسلمين لملابـس وأزيـاء

R?hricht. R**. Regesta.** doc . No. 80. pp18_19. ، p. 536،vol. 1،op. cit. ،William of Tyre ([1])

pp. 31_32. 2 ،vol. 1،op. cit. ،loc. cit. cf . also: Richard. J. ، op. cit . ،William of Tyre([2])
Richard. J. vol. 1. . p. 68. Cf**. Also Mayer**. p. 69.
البيشاوي: **نابلس**، ص81.

p. 119**،**The **. Latin Kingdom of Jerusalem**،J. ،Prawer. ([3])
سعيد البيشاوي: **نابلس،** ص81

الفرنجة الصليبيين في إقطاعية حيفا وغيرها من الإقطاعات والمدن الواقعة ضمن حدود مملكـة بيت المقدس،ومن يفعل ذلك من المسلمين فسيقع تحت طائلة القانون (1). وحث المجتمعون أيضا سكان المملكة على عدم التواكل والكسل والعمل بهمة ونـشاط مـن أجـل إصـلاح الأحـوال الاقتصادية.

وتبدو جميع قرارات مؤتمر نابلس واضحة بالنسبة للفرنجة الصليبيين الذين تردت أ-حوالهم الاجتماعية والأخلاقية ففي مملكة بيت المقدس اللاتينية بما فيها إقطاعية حيفـا، حيـث انتـشر اللصوص في كل مكان، وظهر الانحراف في المجتمع الصليبي وكثرة التعديات التي تجـاوزت قوانين المملكة. والنقطة البارزة في هذا الاجتماع هي منع المسلمين من ارتداء الملابس والأزياء التي كان يرتديها الفرنجة الصليبيون. وربما كان ذلك بسبب المقاومة التي أبداها سكان المنطقـة المسلمين ضد الفرنجة، الذين ربما كانوا يرتدون أزياء الفرنجة من أجل التنكر،وشن الهجمـات ضد معاقل الفرنجة دون ان يتم التعرف عليهم،وبالتالي محاكمتهم ومعاقبتهم .

وشارك سيد اقطاعية حيفا مانسيس في الاجتماع الذي عقده الملك بلدوين الثاني في 27 شوال عام 513هـ/31 يناير عام 1120م من أجل التأكيد على استمرارية المنح التـي حازهـا دير القديسة مريم في وادي يهوشفاط. وتشير الوثيقة إلى أن مانسيس قد شهد على الوثيقة التـي تؤكد المنح والهبات للدير المذكور إلى جانب جرموند بكيني بطريرك بيـت المقـدس،واوارك فيسكونت نابلس وبقية بارونات وسادة الاقطاعات الذين كانوا مجتمعين في نابلس خـلال هـذه الفترة الحرجة من تاريخ مملكة بيت المقدس اللاتينية(2) .وقد شارك سيد إقطاعيـة حيفـا فـي الاجتماع الذي عقده الملك بلدوين الثالث في مدينة صور بتاريخ 4 صفرعام549هـ ـ20أبريـل عام1154م حيث تم التأكيد على استمرار المنح والهبات التي قدمت لدير القديسة مريم في وادي

R. hricht. R. **Regesta**. Dos_No_90. p. 21 (1)
البيشاوي: **الممتلكات،** ص180_181
(2) البيشاوي: **الممتلكات،** ص180_181.

يهوشفاط[1]. ولعل اشتراك سيد إقطاعية حيفا في مثل هذه الاجتمعات يشير إلى مـدى التزامـه بواجبات التبعية وانتظامه في حضور جلسات المحكمة العليا. وفضلا عن ذلـك شـارك سـيد إقطاعية حيفا في الاجتماع الذي عقد في مدينة نابلس في الثالـث عـشر، وفيـسكونت تـابلس وجودفريدوس سيد طرطوس، وأودو دي سانت مقدم الداوية، حيث أكد الملك من شهر أغسطس عام 1169،الثامن والعشرين من ذي القعدة عام 565هـ، وحـضره الملـك عمـوري الأول، وهمفري سيد تبنين كندسطبل المملكة، وفيليب دي سيد اقطاعية نابلس، وسيد تبريا عموري في هذا الاجتماع على استمرار الامتيازات والتسهيلات التي سبق أن منحها الملك بلدوين الثالث إلى سيد إقطاعية حيفا وتم تدوين قرار هذا الاجتماع في وثيقة كتبها رئيس أساقفة بيت لحم[2].

ومهما يكن من أمر، فقد استمرت اقطاعية حيفا تسهم في جميع نشاطات مملكة بيـت المقدس الداخلية، واسمرت بتقديم المنح والهبات للكنائس والأديـرة غيرهـا مـن المؤسـسات الدينية،ففي 16تموز 1164م،حصلت كنيسة القيامة على ست كاريوكات من أراضي مدينة حيفا قدمها روجر الحيفاوي (Roger of Haifa) وشقيقه يوحنا الحيفاوي Haifa John of [3]،وقـد نصت الوثيقة الخاصة بهذه المنحة على أن تصبح الأرض المقدمة لكنيسة القيامة حقا متوارثا لها دون تقديم أية التزامات من قبل رجال الدين اللاتـين فـي الكنيـسة فـي مقابـل الحـصول عليها،وأشارت الوثيقة إلى أن ثلاث كاريوكات تقع بالقرب من بعض الينابيع والعيون الموجودة في حيفا،وأن ست بقرات سليمة خالية من الأمراض تستطيع حراثتها في يوم واحد[4]، وقد قـام

([1]) Regesta. p. 73 .R. hricht. R

أنظر أيضا: البيشاوي، ن**ابلس**، ص91

([2]) روجر الحيفاوي وشقيقه يوحنا: كانا من كبار الأمراء والشخصيات البارزة والهامة في إقطاعية حيفا، ومن المحتمل أن يكونا من أقارب فيفيانVivian وابنه باين(Bien) سادة اقطاعية حيفا.

([3]). Cf. Rey. **Les Familles d'Outre-Mer-de Cange**. p. 266 .

البيشاوي: **الممتلكات**، ص247.

([4]) ويتضح من وصف الكاريوكات الست التي حصلت عليها كنيسة القيامة كانت من نوع غير الرسـمي، أي مـايعرف بالكاريوكات العربية التي تساوي أربعة فدادين أربعة آلاف مربع وهي تساوي أربعة وعشرين دونما وهي مـن افـضل أراضي حيفا الزراعية

Cf. Rey . Les **Famillesd 'Outre-Merd-de-du Cang**e. p. 266

الملك عموري الأول بالتوقيع على هذه الوثيقة اعترافا باسهام اقطاعية حيفا في النشاط الـداخلي لمملكة بيت المقدس في هذه الفترة،واستمرت حيفا في المـشاركة الفعالـة بنـشاطات المملكـة الداخلية،واستمرارها بتقديم المنح والهبات إلى الكنائس والأديرة،ففي سنة 546هـ ـ/30 يوليـه 1154م قام باجان سيد حيفا بتقديم منحة ودعم إلى هيئة فرسان الاسبتارية من حيفا عبارة عـن أرض ومنازل في ضيعة حيفا وكفر ناحوم وقام الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقدس، بعد وفاة أمه ميلسند بتوثيق المنحة في سجل المملكة(1).

وليس من شك في أن كثرة المنح والهبات المقدمة من ملوك وسادة إقطاعية حيفا إلى الكنائس والأديرة ستؤدي إلى استقرار عناصر لاتينية جديدة في حيفا، هذا إلى جانب فقـدان أصـحاب البلاد الأصليين لأرضهم، وربما يؤدي إلى ضعف الإقطاعية من الناحية الاقتصادية؛ لأن كثـرة المنح الأصليين لأرضهم، وربما يؤدي إلى ضعف الإقطاعية من الناحية الاقتصادية؛ لأن كثـرة المنح تؤدي إلى حرمان سيد الإقطاعية من الإفادة من الأراضي الممنوحة للكنـائس والأديـرة والهيئات الدينية المحاربة.

4.3 الصراع على عرش بيت المقدس و أثرة على اقطاعية حيفا

في سنة 546هـ/1152م، شهدت مملكة بيت المقدس صراعا داخليا بين الملكة ميلسند وابنها بلدوين الثالث من اجل السيطرة على عرش المملكة، إذ أن الملكة ميلسند لم تشأ أن تتخلى عـن سلطانها لابنها الأكبر بلدوين الثالث، على الرغم من انه بلغ سن (2)وانه اصـبح بإمكانـه أدارة شؤون المملكة دون وصاية والدته، ولهذا فقد طالب بلدوين تتويجه ملكا علـى المملكـة، الا أن الملكة ميلسند عارضت واتفقت مع البطريرك فولشر على أن يتوجها هي وابنها معا، ورفـض

---

(1) R?hricht. R. op. cit. Docs. Nos. 377_400. pp. 99_105

R. hricht. R. op. cit. doc. no. 111، pp. 63_65

(2) Stevenson . op. cit . p. 145 . Cf**.** **Also Grousset** . op. cit . II . p. 313

الصوري: جـ2، ص 796 - 799، رانسيمان: **تاريخ**، جـ2، ص 538 - 541، عاشور: **الحركـة**، جـ2، ص 589، البيشاوي: **نابلس**، ص 88 - 89

بلدوين تتويج أمه معه وبعد عدة أيام دخل بلدوين خلسة كنيسة القيامـة فجـأة، وطلـب مـن البطريرك تتويجه بمفرده، رغم معارضة والدته، ودون مشاركتها في التتويج، ثم استدعى الملك نبلاءه للتشاور معهم بشان ارثه عن والده، فتقرر مطالبة الوالدة أن تعيد أليـه حقـه فـي ارث والده[1] بتقسيم المقاطعات الملكية بينهما، واستجابت ميلسند لطلب ابنها، وتم تقسيم المملكة بينهما فعلا، وحاز بلدوين الثالث مدينتي عكا وصور الساحليتين، والمناطق التي تتبعهما، بينما استقرت نابلس وبيت المقدس في يد الملكة ميلسند، الا أن الخلاف سرعان ما تجدد مرة أخرى بين الملك بلدوين وأمه، فطلب بلدوين منها التنازل عن بيت المقدس حتى يتسنى له الدفاع عن المملكـة[2]، ويبدو أن الملكة ميلسند أثرت الاحتفاظ بمدينة بيت المقدس، ومقاومة رغبة الملك بلدوين الثالـث في بسط سيطرته عليها وعلى نابلس، وكانت الملكة ميلسند في نـابلس، عنـدما ترامـت إلـى مسامعها خطة الملك بلدوين ورغبته في الاستحواذ على بيت المقدس، وعلى اثر ذلك غـادرت مدينة نابلس إلى بيت المقدس بصحبة بعض نبلائها المخلصين[3]، وهكذا قامت حرب أهلية فـي المملكة سنة 546هـ 1152م، وقف فيها الملك والأمراء في جانب، والملكة والبطريرك فوشيه ومانسيس (Manasses) كند سطبل المملكة في جانب أخر، وانتهت تلـك الحـرب بانتـصار بلدوين الثالث وعقد الصلح بينه وبين أمه وقام بنفي مانسيس إلى خارج البلاد، وقام بعـد ذلـك بالاستيلاء[4] على نابلس ودخل الملك بلدوين بيت المقدس، ومنح لوالدته الملكة ميلـسند نـابلس التي اقنعت بها، وهكذا نجح بلدوين الثالث في إقرار الأمور الداخلية في مملكة بيـت المقـدس

---

(1) رانسيمان، جـ2، ص538- 539، Stevenson . op. cit . p. 171.
عاشور: الحركة، جـ2، ص 629، البيشاوي: **نابلس**، ص 89

(2) الصوري: **تاريخ**، جـ2، ص 799 - 800، Benvenisti . M . p. 83.
رانسيمان: **تاريخ**، ص 539، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 629،

(3) الصوري: جـ2، ص 820، Besant . Jerusalem . op. cit . p. 300.
عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 629، البيشاوي: **نابلس**، ص 89، رانسيمان، جـ2، ص 540 - 54 5

(4) كان مانسيس دي هيرج مكروا من قبل النبلاء، نظرا لتسلطة وغطرسته، كما انه لم يكن يبد الاحترام اللائق بكبـار النبلاء، وصلات أسرته هي عشيرة أبلين الكبيرة التي صارت لها السيطرة على كل الـسهل الفلـسطيني، الـصوري، جـ2، ص821، ... William of Tyer . op. cit. . vol. . 2 . p. 204
.Cf . **Also Besant and Palmer** . op. cit p. 316
عاشور المصدر نفسه، ص 629، البيشاوي: **نابلس**، ص 89، رانسيمان، جـ2، ص 538

وتجدر الاشارة إلى أن اقطاعية حيفا تأثرت بالصراع، الذي نشب بين الملكة وابنها الملك بلدوين الثالث، فلا بد وان سيد اقطاعية حيفا قد انحاز لاحد الطرفين الذي انقلب سلبيا علـى اقطاعيـة حيفا، وتوفي الملك بلدوين الثالث في بيروت في صفر 557هـ/1162م[1] لم يترك وريثا يرثـه في حكم البلاد الا أخاه عمورى حاكم يافا وعسقلان، الذي لم يلبث أن توج ملكا على مملكة بيت المقدس الصليبية في الأول من ربيع الأول سنة 557هـ/15 فبراير 1162م، ولم يجـر الملـك عمورى ايه تغيرات في نظام مملكة القدس الصليبية الا انه قاد حملات صليبية لفرض السيطرة عليها وضمها إلى املاك التاج الصليبي في الديار المقدسة، وعدم وقوعها بيد نور الدين محمود وحكام دمشق الا أن الظروف لم تساعده على تحقيق أهدافه في مصر وربما تـأثرت اقطاعيـة حيفا سلبيا بتوجيه الملك عمورى نحو مصر من خلال قيام سيد الاقطاعية وجموع النبلاء بتوفير الدعم اللازم للحملات العسكرية التي قادها عمورى ضد مصر، ويبدو أن اقطاعية حيفا شـهدت فترة من الاستقرار بعد عودة عمورى من الحملات المتعاقبة على مصر، وعدم تعرضها خلال هذه الفترة لغارات نور الدين اثناء وجود الجيش الصليبي بمصر ولم يلبث الملك عمـورى أن توفى في الحادي عشر من ذي الحجة 569 هـ/11 يوليه سنة 1174 م، وتم تتويج ابنه بلدوين الرابع (المجذوم)[2] ملكا على البلاد، وقام ميلون دي بلانسي (Milon de Plancy) بإدارة شؤون المملكة، نظر لصغر سن الملك الجديد إذ لم يتجاوز الثالثة عشر مـن عمـره، غيـر أن ريموند كونت طرابلس، عارض ذلك وطالب بالوصاية على عرش المملكة، وتم له ذلك بـسبب قوة ونفوذ أنصاره، إلى جانب الضغط الشديد الذي تعرض له ميلون دي بلانسي، مما دفعه إلى قبول وصاية كونت طرابلس، غير أن ميلون دي بلانسي ما لبث أن قتل في مدينة عكـا، بعـد

([1]) مات الملك بلدوين الثالث في بيروت بعد أن اشتد عليه المرض، Bessant . Palmer . **Jerusalem** . op. cit . p. 332. البيشاوي: **نابلس،** ص 106، عاشور: **الحركة الصليبية،** ج2، ص 658.

([2]) الصوري: **تاريخ،** جـ2، ص 973، ابن جبير: **الرحلة،** ص 215، (ميلون دي بلانسي): كان صديق الملك عمورى الذي منحة اقطاعية ما وراء الأردن، سنة 597هـ/1172 م، وقد حكم المملكة الـصليبية 21 سـنة وخمـس شهور، الصوري: المصدر نفسه، جـ2، ص 970 - 971، Bessant . Palmer . Jerusalem . op. cit . p. 374 .

انظر سميل: الحروب، ص 36، تولى بلدوين الرابع المجذوم وهو سادس ملوك الفرنجة ابن الملك عمورى الأول تولى العرش بعد وفاة ابيه 569هـ/1174م، أصيب بالجذام من صغره، انظر: الصوري: جـ2، ص 972،

فترة وجيزة من قيام ريموند بالوصاية على عرش مملكة بيت المقدس[1] وقد كان لا يستطيع أحد من الأمراء الوقوف في وجهة أو معارضته وقد حكم بلدوين الرابع مملكة بيت المقدس الصليبية من سنة 569- 581هـ/1174 - 1185م، ومع ذلك فان هذه الفترة القصيرة التي حكـم فيهـا بلدوين الرابع جاءت مليئة بالأحداث الجسام وامتاز بمواهب عالية ومقدرة كبيرة وحيوية فائقـة على الرغم من انه مصاب (بمرض الجذام) مما أعطاه في التاريخ لقب بلدوين المجذوم، ومما لا شك فيه أن اقطاعية حيفا قد شاركت مع سيدها في هذه الأحـداث الداخليـة لمملكـة بيـت المقدس[2].

ويبدو أن بلدوين الرابع كان مضطرا في كثير من الحالات بسبب صغر سنة ومرضـه إلى عدم تركيز السلطة في يده، والى ترك الكثير منها لامراء المملكة وسادة الإقطاعيات، ممـا جعل مملكة بيت المقدس تبدو في ذلك العهد وقد غلبت عليها مسحه من الفوضـى الاقطاعيـة، بسبب أمرائها وتنافسهم حول النفوذ والسلطان[3]، وفي الوقت الذي كان صلاح الدين يستعد فـي مصر سياسيا وحربيا للمعركة الفاصلة الكبرى بينه وبين الصليبيين، كانت أحـوال الـصليبيين الداخلية تزداد سوء يوما بعد يوم، ففي مملكة بيت المقدس تفاقم مرض الملك بلدوين الرابع واخذ يتشكك في كل من حوله[4] أو عجز عن تصريف أمور المملكة مما زاد نفـوذ والدتـه وخالـة جوسلين الثالث وإثارة مشكلة وراثة العرش في المملكة من جديد، إذ كان لا بد من بحـث عـن

---

(1) الصوري: المصدر، ص 1004 - 1005، ابن واصل: **مفرج الكروب**، جـ2، ص184 عاشور: **الحركة**، جـ2، ص708، رانسيمان، جـ2، ص646، البيشاوي: **نـابلس**، ص110 Grousset . **Hist - des Groisades II** . p. 598.

(2) الصوري: جـ2، ص 1004 - 1005، ابن واصل: **مفرج**، جـ2، ص 183- 184.

(3) رانسيمان، جـ2، ص 706، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 711 .

Setton . op. cit . I. P. 591.

(4) الصوري: جـ2، ص 1059- 1060 . Richard . op. cit . p. 65-66 انظر عاشور: الحركة، جـ2، ص 738، Stevenson The First . V . p. 307

عريس اخر مناسب للأميره سيبلا شقيقة الملك الكبرى، وقد وقع الاختيار على الأمير (جـاي لوزينان) الذي حضر خصيصا من فرنسا في 575هـ/1180 م، ليتزوجها [1].

فعقد اجتماعا لنبلاء المملكة حيث نصب فيـه جـاي لوزنيـان (Gay Luosignan) وصيا على المملكة في الوقت الذي احتفظ فيه لنفسه بمدينة القدس وعائدات المملكة البالغ قيمتها عشرة آلاف قطعة ذهبية، وحلف النبلاء في الاجتماع يمين الولاء للملك، ولـم تـشر الوثـائق المعاصرة لسيد حيفا خلال هذا الاجتماع، وبمقتضى العرف الاقطـاعي فـان جميـع الـسادة الاقطاعيين ملزمين بالحضور إلى اجتماع المحكمة العليا التي يرأسها الملك الا اذا كـان الـسيد الاقطاعي خارج حدود المملكة أو وقع في اسر المسلمين[2]، وفي الحملات التي قام بها صـلاح الدين لاسترداد المدن الاسلامية الخاضعة للسيطرة الفرنجية، لعبت اقطاعية حيفا دورها الإيجابي والمطلوب منها ضمن النظام الاقطاعي إلى جانب جيش المملكة والإقطاعيات الفرنجية الاخرى في صد القوات الاسلامية، ففي سنة 579هـ/1183 م، تقابل الجيشان الإسلامي والفرنجي وجها لوجه في منطقة بلدة الفوله الفلسطينية[3] الا أن الخلافات الداخلية التي سرعان ما نشبت بين قادة الجيش الصليبي وجاي لوزينان الوصي على المملكة وقائد الجيش[4]، حالت دون حدوث مواجهة

---

(1) الصوري: جـ2، ص 1078 . Ernoul . op. cit . p. 59 - 60 . عاشور: **الحركة،** ص 738 .

(2) جاي لوزنيان (Gay Lusignan) ويعرف أيضا باسم كي اوجي، وهو الابن الأصغر ليهو الثامن سيد بيت لوزنيان أحد البيوت الحاكمة في إقليم بواتيه الفرنسي، وكان هيو الثامن (Hugh vIII) قد ذهب إلى فلسطين عـام 558- 559 هـ/1164 - 1165 م، ووقع في الأسر في معركة حارم بينما كان يقوم بمساعدة بيهموند الثالث (Bohemond III) أمير إنطاكية ضد المسلمين وجاي لوزينان هو الزوج الثاني لسيبلا الأخت الكبرى للملـك بلـدوين الرابـع المجـذوب، الصوري: جـ2، ص 1059 - 1061، الأصفهاني، الفتح القسي، ص 80، ابن شداد: النـوادر، ص 77، ابـن الأثير: الكامل، جـ11، ص 257 .

William of Tyer 2/446- 447 . Ernoul . p. p. 137- 139 . Stevenson The Forst v . op. cit، p. 309

(3) بلدة الفوله الفلسطينية: تقع في منطقة الجليل الشرقي وتعرف اليوم باسم العفولة، انظر الحموى: **معجـم،** جـ4، ص 318، البغدادي، جـ3، ص 1046، الدباغ: **بلادنا،** ص 171 .

(4) كان فريق من نبلاء الفرنج يرى بدء الهجوم على الجيش الإسلامي من طرفهم قد يكبدهم خسائر فادحة منهم ريمونـد كونت طرابلس، وباليان سيد الرمله، وقالوا أن القوات الاسلامية تفوقهم في العدد، اما الرأي الأخر: فكان رايه مهاجمة الجيش الإسلامي في مواقعه بالفولة منهم أر ناط حاكم الكرك (رينالد دي شـاتيون)، الـصوري، جـ2، 1105 - 1106 .

Grousset . II . p. 735 . Stevenson . p. 233

مع المسلمين، حيث بقيت القوات الصليبية معتصمة في الجبل القريب منها مدة ثمانية أيام، ومن ثم انفصل الجيشان وعاد صلاح الدين إلى دمشق في عام 579هـ/8 اكتوبر 1183م دون أن يشتبك في قتال مع الجيش الصليبي[1].

ويرجع الصوري السبب في تخاذل الجيش الصليبي مكيدة من نبلاء مملكة بيت المقدس وعدم رغبتهم في الوقوف إلى جانب جاي لوزنيان في حربه ضد صلاح الدين حتى لا ينسب النصر أليه في حالة وقوعه[2]، ونتيجة للتخاذل الذي أبداه جاي لوزنيان في العفولة، اجتمع الملك بكبار السادة الاقطاعيين وبارونات المملكة والنبلاء، ومن المحتمل اشتراك سيد حيفا في هذا الاجتماع، لان الملك دعا كافة سادة الإقطاعيات لحضوره، وفي هذا الاجتماع ابعد جاي لوزنيان عن الوصاية على عرش مملكة بيت المقدس، ونصب الملك بلدوين الرابع ابن أخته بلدوين الخامس Baldwin v شريكا في حكم المملكة، ووريثا لبلدوين الرابع في 279هـ/20 نوفمبر 1183، وذلك لتبديد أمال جاي لوزنيان في وراثة العرش[3]، بل حاول بلدوين الرابع أن يقنع أخته سيبلا بالغاء زواجها من جاي واستأنف الملك تسيير الحكومة بنفسه، ومنحت الوصاية على بلدوين الخامس لريموند الثالث كونت طرابلس(Raymond of Trpolis) [4].

([1]) ابن الأثير: ال**كامل**، جـ11، ص 51، ابن واصل: **مفرج الكروب**، جـ2، ص 151، أبو شامة: جـ2، ص 50، انظر رانسيمان، جـ2، ص 709، والذي يذكر أن الجيشان ظل متقابلان لمدة خمسة أيام وليس ثمانية أيام كما يذكر الغربيون، انظر عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 754 - 756، البيشاوي: **نابلس**، ص 113.

([2]) الصوري: جـ2، ص 1065، 498 - 499 .William of Tyer . II . p. p.

([3]) الملك بلدوين الخامس: هو ابن سيبلا Sibylla أخذت بلدوين الرابع من زوجها الأول وليم اوف منتفرات الذي توفى بعد ثلاثة اشهر من زواجهما بمرض خطير، وكان عمر بلدوين الخامس عند تولى الحكم مع خاله لم يتجاوز الخامسة من عمره، وتوفى في 582هـ/1186م، الصوري جـ2، ص 988، . William of Tyer . 2/ 416
Cf . Besant . Palmer . **Jeruslem .** p. 378 . Stevenson . The First v . 309 .
عاشور: **الحركة**، جـ 2، ص 762، رانسيمان، جـ2، ص 710،

([4]) ريموند الثالث: كونت طرابلس، ورث طرابلس عن أبيه ريموند الثاني، وهو ابن خال عموري الأول وبلدوين الثالث من جهه ألام، انظر وليم الصوري، جـ2، ص 976، وعن هذا الاجتماع، انظر
Rohricht **. Geschichte .** p. 410 . Grousset . 2 . p. 743 . Besant . **palmer . Jerusalem** . p. 378
انظر رانسيمان، جـ2، ص 709 - 710، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 762، البيشاوي: **نابلس**، ص 114،

في 581هـ/16 مارس 1185م، وأمام المحكمة العليا في هذا التـاريخ أعلـن الملـك بلدوين الرابع وصيته، حيث تقرر أن يخلفه في الحكم ابن أخته بلدوين الخامس، الذي توج قبـل وفاة خاله ولم يلبث بلدوين الرابع أن توفي في محرم سنة 581هـ/1185م، وهكـذا تأكـد أن ريموند الثالث هو الوصي على بلدوين الخامس، وعهد بالأشراف على تربيـة وحمايـة الملـك الصغير إلى جوسلين الثالث دي كورتناى، لان ريموند الوصي على المملكة خـشي أن يمـوت الملك الطفل بلدوين الخامس، الذي كان معتل الصحة وعندئذ يتهم بقتلة[1]، وقد كـان ريمونـد الثالث يدرك مدى حاجة الصليبيين إلى فترة من السلم والهدوء يدعمون فيها مركزهم ويـصفون خلافاتهم الداخلية، لا سيما وان بلاد الشام تعرضت لقحط شديد سنة 581هـ/1185م، لذلك عقد ريموند هدنة مع المسلمين لمدة أربع سنوات 581 - 585هـ ـ/1185 - 1189 م، امـا عـن موقف اقطاعية حيفا وسيدها من الخلافات الداخلية التي نشبت في المملكة الفرنجية بعـد وفـاة الملك بلدوين الخامس في جمادى الآخر 582هـ/نهاية أب 1186م، فلم يرد له ذكر سواء مـع فريق البارونات المجتمعين في نابلس برئاسة ريموند الثالث كونت طـرابلس أو مـع الفريـق المجتمعين في بيت المقدس إلى جانب سيبلا وزوجها جاي لوزنيان، وربما السبب في ذلك يعود إلى عدم رغبة سيد حيفا التدخل في هذا النزاع الداخلي أو لعدم تواجده في المملكة إثناء حـدوث هذا الصراع الحاد، وأعلنت سيبلا أخت بلدوين الرابع وزوجة جاي لوزنيان ملكة علـى بيـت المقدس وسيطرت مع زوجها جاي على بيت المقدس والمدن الساحلية وبالتأكيد كانت اقطاعيـة حيفا من الإقطاعيات التي تم لجاي لوزنيان السيطرة عليها، وذلك بمساعدة جوسلين من جهـه، وهرقل بطريرك بيت المقدس، وار ناط صاحب الكرك من جهة أخرى[2].

---

(1) Rohricht . R. **Geschichte** . p. 410 . Grousset . **Konige elchs - . Jerusalem** . p 410.
Cf . **Also Conder** . p. 237 . **Duggan** . p. 150 .
عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 763، رانسيمان، جـ2، ص 716 - 718، البيشاوي: **نابلس**، ص 116 - 117،

(2) عند وفاة الملك بلدوين الخامس كان إلى جواره ريموند الثالث كونت طرابلس، وجوسلين كورتناى سيد عكا، حيـث عمد جوسلين إلى إقناع ريموند بالذهاب إلى طبرية لدعوة سادة المملكة للاجتماع به لاختيار ملك جديد للملكة في الوقـت الذي يقوم هو فيه بدفن الملك بلدوين الخامس في كنيسة القبر المقدس، الا أن جوسلين غدر ريموند واستولى على صـور وبيروت وأعلن سبيلا ملكة على بيت المقدس الصليبية، وعندما علم الكونت ريموند بـذلك، دعـا باورنـات المملكـة

اما ريموند فقد عاد مسرعا إلى نابلس والتف حوله بقية الأمراء الذين رفضوا الاعتراف بذلك الوضع لانه لا يتفق مع وصية بلدوين الرابع، ولا مع التعهدات التي تعهد بهـا الأمـراء للملك الراحل، وهكذا دب انشقاق داخلي خطير في صفوف الصليبيين الذين انقـسموا مؤيـدين لريموند أو مؤيدين لجاي لوزينان وزوجته سيبلا[1] و أسرع هرقل بطريرك بيت المقدس إلـى تتويج سيبلا وقامت هي بوضع التاج الملكي على راس زوجها لوزنيان على مرأى من الجميع، واغلق البطريرك والداوية أبواب بيت المقدس، و أقاموا عليها الحراس وشحنوها بالمقاتلين، لمنع ايه هجوم من قبل البارونات المجتمعين في نابلس[2]، ولم يلبث هؤلاء الأمراء أن تسربوا واحدا بعد الأخر إلى بيت المقدس حيث قدموا فروض الولاء والتبعية لجاي لوزنيان، وان ظل ريموند صاحب طرابلس وبوهيموند أمير إنطاكية على موقفهما العدائي من الملك جاي لوزنيان، وربما كانت الهدنة لا تزال قائمة بين صلاح الدين والصليبيين[3] وكان ريموند على علاقة حسنة مـع صلاح الدين عندما كان وصيا على مملكة بيت المقدس وصار يناصحه[4] حتـى اذا مـا تـوج لوزنيان ملكا، أرسل ريموند إلى صلاح الدين يطلب معونته وانتمى أليه واعتضد بـه، ففـرح صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعده بالدعم و النصرة، وقال أبو شامة : (قويـت مناصـحته

للاجتماع به في نابلس، والتف حوله بقية الأمراء الذين رفضوا الاعتراف بذلك الوضع لانه لا يتفق مع وصـية بلـدوين الرابع، ولا مع التعهدات التى تعهد بها الأمراء معه، انظر . King. op. cit . p. 104 . Cf . Also Grousset . 2 . Also Setton . op. cit . p. 605 . Rohrocht . op. cit . p. 416 ، p. 266- 267 . Cf انظـر عاشـور: **الحركة**، جـ2، ص 764 - 765، رانسيمان: **الحروب**، جـ2، ص 722 - 723، البيشاوي: **نابلس** ص 119.

(1) Cf . 266- 267 . p. 2 . Grousset، 25-28 . p. II . Eracles . 605 . p. op. cit . **Also Setton** عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 765 - 766، رانسيمان، ص 723، البيشاوي: **نابلس**، ص 119.

(2) Besant and Palmer . p. 384، **Also Conder** . p. 146 . Cf . Richard . J . vol . I . . p. 172. أشار اديسون إلى قيام مقدم الداوية باصطحاب الاميره سيبلا وزوجها إلى كنيسة القيامة حيث قام البطريـرك بتتويجهمـا هناك وأشار العماد الأصفهاني إلى سبيلا وزوجها بقوله: (واجتمع الفرنج عليها، فقالت لهم: زوجي اقدر وهو أحـق بالملك واجدر) . . . وأخذت التاج، فوضعته على راس زوجها،) انظر الفتح القسي في الفـتح القدسـي، ص 68، عاشور: **الحركة الصليبية**، جـ2، ص 765، رانسيمان، جـ2، ص 723، البيشاوي: **نابلس**، ص 121،

(3) ابن جبير: **رحلة**، ص 304، أبو شامة: ص 275 - 278 رانـسيمان: **الحـروب**، جـ ـ2، ص724- 725، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص 765،

(4) الفيترى: ص 99، ابن الأثير: **الكامل**، حوادث سنة 582هـ، Stevenson . p. 240. عاشور: جـ2، ص 766،

للمسلمين وباين أهل ملته وبث السرايا في بلادهم، ولا شك في أن ذلك جاء بعظيم الفائدة بالنسبة لصلاح الدين الذي اعتبره بعض المؤرخين المسلمين من أسباب نصرة الإسلام [1].

5.3 معركة حطين وعودة حيفا للحكم الإسلامي

قام الملك الفرنجي الصليبي جاي لوزنيان بتوجيه الدعوة إلى كبار السادة الإقطـاعيين فـي مملكة بيت المقدس اللاتينية لحشد فرسانهم ومشاتهم وجميع إمكانياتهم من أجل مواجهة قـوات السلطان صلاح الدين الأيوبي.ولابد وأن إقطاعية حيفا قد استجابة لنداء الملك وشاركت بجميـع إمكانياتها العسكرية والاقتصادية، وربما وان كان سيد إقطاعية حيفا كان مـن أوائـل الـسادة الإقطاعيين الذين احتشدوا في صفورية[2].

وفي ربيع583هـ/1187م أرسل صلاح الدين قوة استطلاعية قتالية من بـضعة آلاف من الفرسان للإغارة على إقليم الساحل وخاصة إقطاعية حيفا وعكا،فاستأذن صلاح الـدن مـن أمير الجليل ريموند الثالث الذي كان عندئذ في تبريا،وحاول مقدم الداوية أن يتصدى للمـسلمين قرب صفورية، وهناك دارت معركة رهيبة في سنة 583هـ أوائل مايو 1187م،سـقط فيهـا معظم الفرنجة بين قتلى وأسرى،ولم ينجح من الخمسمائة فرنجي سوى عدد يتجاوز أصابع اليـد الواحدة من بينهم مقدم الداوية[3]، سرعان ما آفاق الفرنجة،وعاد زعمائهم إلى رشدهم،فأسـرع

([1]) أبو شامة: **الروضتين**، جـ3، ص 74 - 75، ابن واصل: **مفرج**، جـ2، ص 185، عاشـور: **الحركـة**، جـ2، ص 766 - 767، البيشاوي: **نابلس**، ص 121.

([2]) ابن الأثير: الكامل، جـ11، ص529، البنداري: **سنا**، ص291، أبو شامة: **الروضتين**: جـ2، ص75، ابن واصل: مفرج، جـ2، ص85، .King . op. cit. p. 119.

([3]) أبو شامة: **الروضتين**، جـ3، ص75، ابن الأثير: **الكامل**، ص 179، حوادث 583هـ، ابن واصل: **مفـرج**، جـ2، ص186_187، . 120. Groussel. p. 146**. King**. op. cit. p

عاشور: **الحركة**، جـ2، ص772، رانسيمان، جـ2، ص730_731،

صفوريةSephorie : هي إحدى القرى الواقعة في إقليم الجليل، يحدها من الشرق قرية كفر كنـKafer Kannal ومـن الجنوب الشرقي الناصرة . ومن الشمال قرية وما Rome فيها الآن بقايا قلعة فرنجية، ويوجد بها عين ماء تعرف تعـرف بعين القسطل، أو عيون صفوري، وقد نزل هذا المكان الجيش الفرنجي قبل معركة حطين، أنظر حسين روحي: مختصر، ص58، الدباغ، بلادنا، ج1، ف1، ص171، وأشار الرحالة لاجني مارينو سافوتو إلى أنصفورية تبعد عن الناصرة نحـو

ريموند الثالث أمير طرابلس إلى الدخول في طاعة الملك جاي لوزنيان ورضي أن يسير تحـت رايته لمحاربة المسلمين،وقد اختار الفرنجة صفورية،نقطة ارتكاز لحشد جيوشهم فيهـا ومعهـم (صليب الصلبوت) الصليب المقدس،وعندما علم صلاح الدين أن ريموند نقض الهدنة والاتفاقية المعقودة معه زحف على طبريا في ربيع الآخرة 583هـ/2-5 يوليو تموز 1187م فاقتحمـت جيوشه المدينة وأحرقتها ما عدى قلعتها التي تحصنت فيها الأميرة (أشـفيا(Eachiva)(أميـرة طرابلس والجليل وزوجة ريموند الثالث،وظلت داخلها حتى نهاية المعارك[1].

ومما لاشك فيه أن إقطاعية حيفا حشدت جميع فرسانها ومشاتها في صفورية ضمن الجـيش الملكي،الذي أعده الملك جاي،كما قدمت إقطاعية حيفا كافة إمكانياتها المادية من مواد تموينيـة ومعدات حربية للقوات الملكية لدعم المعركة المصيرية لمملكة بيت المقدس اللاتينية،وعلى أيـة حال ثارت ثائرة الفرنجة لهجوم صلاح الدين على طبريا،ونجحت خطـة صـلاح الـدين فـي استدراجهم من صفورية إلى طبريا [2]، وقال صلاح الدين مقولته المشهور(جاءنا ما نريد) وكان كل ما فعله صلاح الدين،أنه حسن من وضعه القتالي وتقدم خمسة أميال حيـث رابـط غربـي طبريا عند قرية حطين[3]،وقد نجح السلطان صلاح الدين في اختيار أرض المعركـة المناسـبة

فرسخين (ستة أميال 10. 88كم، وهي مكان مولد القديسة Ann St- والدة الـسيدة مـريم العذراءوقـد أشـار ة مـريم العذراءوقد أشار لى وجود قلعة فائقة الجمال في صفورية .

Cf. Secrits for **Tru Crusaders to elp them to Recover the Holy Places Trans by**، **Aubry_Stewart.** vol. 12. in. . pp. T. SLondon. 1896_. p. 37.

([1])الأصفهاني: **الفتح،** ص76، أبو شامة، **الروضتين،** جـ ـ2، ص76، أبـو المحاسـن: **النجـوم،** رانـسيمان، جـ ـ2، ص735_737، عاشور: الحركة، جـ2، ص 773.

Conder. op. cit. p. 148. Stevenson. op. cit. p. 60-King op. cit.

([2])الاصفهاني: **الفتح،** ص85، ابن الاثير: **الكامل** ،جـ9 ، ص177، وقد تحدث صاحب تاريخ هرقل انه عقـد مجلـس حربي في عكا في 22 ربيع الثاني 583هـ/ 1تموز 1187م ، في حين تم عقد مجلس حربي في اخر صفورية في اليـوم الثاني لمجلس عكا ، مع ان رسالة الاستغاثة من سيدة طبرية وصلت الى مجلس عكا والحقيقة انها وصلت الى المعـسكر الصليبي في صفورية ، وكانت سببا في عقد ذلك المجلس . . Eracles. op. cit. p .144.

([3])ابوشامة: **الروضتين** ، جـ2، ص96، ويقول ابن واصل (ولما بلغ السلطان حركتهم سر بذلك) مفـرج الكـروب ، ج2، ص179، انظر ايضا عاشور: **الحركة،** ص775، سعداوي: **التاريخ،** 179-182، رنسيمان: **الحـروب،** جـ ـ2، ص736-737، ماير **تاريخ الحروب الـصليبية ،** ص179، Steveson. op. cit. p. 246. Regan. G. op. cit. p. 107.

لقواته، ومقتل لأعدائه، ولم تنقطع غارات المسلمين على الفرنجة أثناء زحفهم الشاق من صفورية إلى حطين [1]، وبوصولهم إلى هضبة حطين، كانوا قد بلغوا حالة سيئة من الإنهاك، واشـتد بهـم العش، في حين كانوا على مقربة منهم وفي أسفل الهضبة ذاتها تقع قرية حطين ثم بحيرة تبريـا بمائها العذب الوفير ، ولكن حال بينهم وبين الوصول إلى ذلك الماء الجيش الإسلامي[2].

ولما وجد الملك جاي ان معظم رجاله لا يقوون على السير بسبب الانهـاك والعطـش فلذلك امر بان يقضي الفرنجة ليلتهم وهي 24 ربيع الاول/3 تموز 1187، فوق الهضبة بعيـدا عن خطر المسلمين وكان قراره هذا في غاية الخطورة حيث مكن صلاح الدين من تنفيذ خطته العسكرية وعندما اشرقت شمس يوم السبت 25 ربيع الاخر 583هـ/ 4 تموز يوليـه1187م ، وجد الفرنجة ان صلاح الدين استغل ستار الليل ليحيط بهم (إحاطة دائرة بقطرها) [3]، وقام احد المسلمين باشعال النار بالأعشاب والاشجار الجافة في المنطقة ، وفي هذا الصباح شنت القـوات الاسلامية هجومها الكاسح على القوات الفرنجية التي عانت في هذا اليوم مـن شـدة الحـرارة والخوف والعطش، واشتد القتال عند تل حطين[4]، وعندما ايقن ريموند بالخسارة انـسحب مـن ارض المعركة مع بعض الامراء منهم باليان سيد نابلس وورينالد سيد صيدا وفتح له المسلمون ثغرة ينفذ منها من الجهة الذي كان يقاتل فيها تقي الدين عمر ابن اخ صلاح الدين، فتمكن هـو واتباعه من الهرب[5]، وتابعت القوات الاسلامية ضغطها الشديد على القوات الصليبية، وتم اسر

([1])حطين قرية صغيرة غنية بالمراعي وفيرة الماء ها قبر شعيب النبي عليه السلام ، ابـن واصـل: مفـرج ، جـ1، ص189، عاشور: الحركة ، جـ2، ص775.

([2]) الاصفهاني: **الفتح** ، ص79، ابن الاثير: **الكامل**، جـ9، 177، عاشور: **الحركـة**، جـ2، ص776، رنـسيمان ، جـ2، ص175738. Cf**. Richard the Latin** 2. p.

([3]) ابن الاثير: ال**كامل**، جـ9 ، 177، ابن الجوزي: **مرآة** ، جـ8، ق2، ص393، عاشـور، **الحركـة:** جـ2، ص777، ويقول احد المؤرخين ، انه ليس بوسع قط ان يفلت من الشبكة المنـصوبة ، رانـسيمان: **الحـروب**، جـ2، ص739، البيشاوي: **نابلس** ، ص126-127.

([4]) الفيتري: **تاريخ**، ص169، الاصفهاني: **الفتح** ، ص79، ابن الاثير: **الكامل** ، جـ9، ص177، عاشور: **الحركـة**، جـ2، ص777، رانسيمان ، جـ2، ص739: البيشاوي **نابلس**، ص127.

([5]) أبو شامة: **الروضتين** ، جـ2، ص177، الاصفهاني: **الفتح**، ص79، ابن الاثير: **الكامل**، جـ9، ص178، الفيتري: **تاريخ**، ص175170-Richard: The Latin. 2.

عاشور: **الحركة**، جـ2، ص777، رانسيمان ، جـ2، ص740، البيشاوي: **نابلس** ، ص127.

الملك جاي لوزنيان وأرناط صاحب حصن الكرك، وجيراد دي ريدفورت' مقدم الداوية وغيرهم من بارونات المملكة وسادة الاقطاعيات، وسيق جميعهم الى خيمة صلاح الدين الذي اجهز على ارناط ، (وفاء لنذرة)[1]، وهكذا كانت معركة حطين اعظم من مجرد نـصر حربـي احـرزه المسلمون لقد كانت في حقيقة امرها بشيرا بنجاح المسلمين في القـضاء علـى اكبـر حركـة استعمارية شهدها العالم في العصور الوسطى[2]، وبعد ان اخذ طبرية واعاد ترتيـب جيـشه ، وسيق الاسرى الى الشام ، اختار صلاح الدين ان يبدا اولا بالاستيلاء علـى المـدن الـساحلية ليحرم الفرنجة من قواعدهم البحرية الامامية التي تربطهم بالغرب الاوروبـي ، وتمكـن مـن استعادة عكا في الثاني من جمادى الاول 583هـ/ العاشر من يوليه 1187م[3].

ووضع السلطان صلاح الدين الايوبي صوب عينيه ضرورة استرداد المناطق التـي كانـت بحوزة الفرنجة ومن ضمنها مدينة حيفا والمنطقة الريفية المحيطة بها ، ومن اجل تحقيـق هـذا الهدف وزع قواته لاسترداد هذه المناطق فأرسل الامير بدر الدين دلدرم بن بهـاء الدولـة [4]، وغرس الدين قليج[5]ومجموعة اخرى من الامراء لاسترداد المدن الساحلية الواقعة جنوب عكـا

([1]) الاصفهاني: **الفتح**، ص23-24، ابن شداد: **النوادر**، ص125، ابن واصل: مفـرج، ج2، ص195، ابـن الاثيـر: **الكامل**، جـ11، ص65536 Besant and Palmer . op. cit. p. 391. Cf. Also Eracles. op. cit. p.

انظر: البيشاوي: **نابلس** ، ص127، عاشور: **الحركة** ، جـ2، ص779، رنسيمان، جـ2، ص741.

([2]) ابو شامة: **الروضتين** ، جـ2، ص83، البنداري: **سناء** ص302، عاشور: ال**حركة**، جـ2، ص302، رنـسيمان، جـ2، ص741.

([3]) Estoired d Eracles. p. p. 70-71. Cf. Also King . p. 129

ابن الاثير: **الكامل**، جـ11، ص539، ابن واصل: **مفرج** ، جـ1، ص201، البنـداري: **سـنا**، ص300، رنـسيمان، المرجع نفسه، ج2، ص343-344، عاشور: **الحركة**، جـ2، ص782، البيشاوي: **نابلس**، ص128، جب: **دراسـات**، ص106.

([4]) الامير بدر الدين دلدرم: هو احد امراء السلطان صلاح الدين الايوبي ، وهو ابن بهاء الدولة بن ياروق الـذي قادـه السلطان تل خالد وتل باشر، وكان الامير بدر الدين دلدرم على رأس عسكر حلب والبلاد الشامية في معركة حطين، وقـد وجهه السلطان صلاح الدين بعد المعركة ليتسلم قلعة هونين، وقد توفي عام 611هـ/1214م. أنظـر: البنـداري: **سـنا**، ص167، 227، 292، أبو شامة: **الروضتين**، جـ2، ص87.

([5]) غرس الدين قليج: كان من أمراء نور الدين محمود زنكي، وقد سيره إلى مصر لمساعدة أسد الدين شيركوه وصـلاح الدين. وكان أميرا جليلا، ولاه صلاح الدين عكا بعد معركة حطين، ثم ولاه على بيت المقدس، ومنحه عدة حصون منها: بكاس، وشقيف، ودرقوش . وقد توفي عام 594هـ/1199م. أنظر: البنداري المصدر نفسه، ص40، ابن شداد: النـوادر، ص53، ابن واصل: المصدر نفسه، جـ3، ص81. أنظر أيضا الحروب: **المماليك**، ص179_ 180، الطيـب: **مـنهج صلاح**، ص229.

،وقد تمكنوا منم الاستيلاء على مدن نابلس وحيفا وقيسارية وصـفورية دون قتال،وكـان ذلـك بسبب خلو هذه المناطق من الفرسان والجنود الذين اشتركوا في معركة حطين والذين ربما قتل قسما منهم ووقع القسم الآخر في الأسر(1).

وشرعت قوات صلاح الدين بالتحرك صوب المـدن الـساحلية،وكانت مدينـة حيفـا والمنطقة المحيطة بها من أوائل المناطق التي توجهت نحوها القوات الاسلامية،حيث مكنت مـن فتحها وإعادتها لسيادة الإسلامية دون قتال .ويبدو أن إقطاعية حيفا كانت خالية مـن فرسـانها وجنودها وحتى جميع الرجال الفرنجة القادرين على حمل السلاح والذين ربما قتل عددا مـنهم في معركة حطين، وهرب من تبقى إلى مدينة صور،وفي هذا الصدد يـصف العمـاد الكاتـب الأصفهاني أحوال الفرسان والجنود الفرنجة بقوله:" يستسلمون للأسر خوفـا مـن القتل،فأسـر أسيادهم ومقدموهم وقتل الباقون"(2). وبعد استرداد بدر الدين دلدرم،وغرس الدين قلـيج لمدينـة حيفا، تجها نحو مزارعها وقراها سيطروا عليها عام 583هـ/1187م،وفي ذلك يقـول العمـاد الأصفهاني موضحا كيفية الاستيلاء على المدن والقرى والمزارع الفلسطينية" ولكل واحدة مـن هذه المدن الساحلية التي ذكرناها لها أعمال وقرى ومزارع وأماكن ومواضع،قد جاسوا خلاهـا وسيطروا على سكانها وخيراتها(3).

يتضح مما سبق أن حيفا والمناطق المحيطة بها خضعت للسيطرة الفرنجيـة نحـو سـبعة وثمانين عاما،نهب الفرنجة خيراتها واقتصادها،وعاملوا سكانها المسلمين معاملة سيئة وقد اتضح ذلك من خلال توزيع أراضي المسلمين كهبات ومنح واقطاعـات علـى الـسادة الاقطـاعيين والكنائس والأديرة والهيئات الدينية المحاربة، مما أفقد سكان المنطقة الأصـليين مـن التمتـع باموالهم وممتلكاتهم وخيراتهم. أما بخصوص قول العماد الكاتب الأصفهاني أنهم سيطروا علـى سكان منطقة حيفا وخيراتها فالأصح القول أن المسلمين أعادوا المنطقـة للـسيطرة الإسـلامية وخلصوهم من نير التسلط الفرنجي.

---

(1) زكار: **حطين**، مسيرة، ص265.

(2) الأصفهاني: **الفتح**، ص93-94، ابو شامة: **الروضتين**، جـ2، ص90_91.

(3)الأصفهاني: **الفتح**، ص95، ابو شامة: **الروضتين**، جـ2، ص89

الفصل الرابع

أوضاع إقطاعية حيفا في ظل مملكة بيت المقدس الاسمية

(690 - 583هـ /1187 - 1291م)

الفصل الرابع

أوضاع إقطاعية حيفا في ظل مملكة بيت المقدس الاسمية

(690 - 583هـ /1187 - 1291م)

1.4 استرداد المسلمين لمنطقة حيفا ثم عودتها للسيطرة الفرنجية (588 -583هـ/1187 - 1192م:

أشرنا في الفصل السابق إلى استرداد المسلمين لمنطقة حيفا، وطرد الفرنجة منها، وتعيين أحد القادة المسلمين حاكما عليها، مما يشير إلى إدراك القيادة الإسلامية أهمية مثل هذه المواقع التي كانت مناطق إنزال للقوات الفرنجية القادمة من الغرب الأوروبي عن طريق البحر، والشريان الرئيس الذي كان يزودهم بالعتاد والمؤن والأسلحة والفرسان والجنود، ولذلك بذل المسلمون جهودا مضنية من أجل استعادتها وفرض السيادة الإسلامية عليها مرة أخرى.

وكانت حيفا إحدى المدن الساحلية ذات الأهمية العسكرية، فطبيعة المنطقة الجغرافية الواقعة حولها كانت هدفا يمكن ان يستفيد منه الفرنجة، ولذلك صمم السلطان صلاح الدين الأيوبي على إستردادها من قبضة الغزاة، ومن أجل تنفيذ ذلك اتخذ من عكا مركزا لانطلاق قواته، واختار اثنين من ابرز أمرائه هما بدر الدين دلدرم الياروقي[1] أمير عسكر حلب، والأمير غرس الدين قليج[2] يرافقهما مجموعة من الأمراء، وكلفهم بتحرير المدن الساحلية الواقعة

([1]) الأمير بدر الدين دلدرم بن بهاء الدولة بن ياروق، قاده السلطان صلاح الدين تل خالد و تل باشر، كان على عسكر حلب والبلاد الشامية في معركة حطين، وجهه السلطان صلاح الدين بعد حطين لتسلم هونين. وهو احد قادة السلطان،حظي بمكانة مرموقة، وهذا يبدو واضحا من خلال اشتراكه بكثير من المعارك التي نشبت بين الأيوبيين والصليبيين، كما يظهر ذلك من خلال جهودة بتحرير كثير من المناطق الفلسطينية، مثل منطقة قيسارية وارسوف ومنطقة حيفا، توفى عام 611هـ/1214م، انظر:البنداري:**سنا**، ص 167-227-292، أبو شامة:**عيون**، جـ2، ص 87، انظر جب:**دراسات**، ص 106.

([2]) غرس الدين قليج النوري:كان أميرا جليلا من أمراء نور الدين زنكي، وجهه لمساعدة أسد الدين شيركوه وصلاح الدين في مصر،وقد ولاه صلاح الدين عكا بعد تحريرها عقب معركة حطين ومن ثم ولاه القدس، واعطاه عدة حصون،

جنوب عكا، وقد تكللت جهودهما بالنجاح، وتمكنا من استعادة قيسارية بحد السيف، بينما تمكنـا من فرض سيطرتهما على حيفا دون قتال، ربما بسبب استسلام من كـان فـي المنطقـة مـن الفرنجة، لشعورهم بعدم قدرتهم على القتال، اذ لم يعرف مصير جنودهم الـذين شـاركوا فـي معركة حطين، هل قتلوا، أم أنهم وقعوا في قبضة القوات الاسلامية أو انهم لجاؤا إلى مناطق لم تخضع للسيطرة الاسلامية.

ومهما يكن من أمر، فقد عادت حيفا والزمام الزراعي المحيط بها إلى السيادة الاسـلامية، ومما يؤكد هذا أن العماد الكاتب الأصفهاني أشار إلى أعمال، وقرى، ومزارع، وأماكن تابعـة لحيفا (جاس المسلمون خلالها واسترعوا ثمارها وغلالها) مما يفيد بان جميع المناطق الواقعة في حدود حيفا قد أصبحت خاضعة للحكم الإسلامي(1).

قام السلطان صلاح الدين بمنح حيفا وما يتبعها إلى الأمير بدر الدين دلدرم الياروقي الـذي قام بتطهيرها من الفرنجة الذين استقروا فيها فترة طويلة من الزمن استمرت نحو سبع وثمـانين سنة، وفي ذلك يقول أحد المؤرخين المعاصرين (وأسروا رجالها وسبوا نسائها،وغنموا ما فيهـا من بضائع و أموال، وسمحوا للفرنجة الباقين بمغادرة المدينة إلى أي مكان يختارونه).(2)

وتجدر الإشارة إلى أن القوات الاسلامية اتبعت سياسة رشيدة مع أهل الذمة الذين كانوا يقيمـون في مدينة حيفا والمناطق التابعة، فلم يتعرض أحد من المسلمين لليهود والمـسيحيين الـشرقيين بسوء، بل قاموا باستمالتهم إلى جانبهم وأقروهم على أموالهم، وعمارتهم، وممتلكاتهم الخاصـة

منها بكاس، شقيف، ودركوش، توفى عام 594هـ/1199م، انظر:البنداري:**سنا**، ص 40، ابن شداد:**النوادر**، ص 53، ابن واصل:**مفرج،** جـ3، ص81، الحروب:**المماليك**، ص 179-180، الطيب، **منهج صلاح الدين**، ص 229.

(1) الاصهاني:**الفتح**،ص199-200، عبد الوهاب:**قيسارية**، ص147.

(2) ابن شداد:**النوادر**، ص 248، ابن الأثير:**الكامل**، جـ11، ص 179-180، ابن واصـل:**مفـرج**، جـ2، ص202، البنداري:**سنا**، ص 401، المقريزي:**السلوك**، جـ1، ق 1، ص 94.

مثل السفن، وسمحوا لهم بالبقاء في حيفا ومنطقتها ؛ ولذلك فضل المسيحيون الشرقيون البقاء في حيفا لما لمسوه من التسامح والهدوء والأمن في ظل السيادة الاسلامية(1).

أما عن أوضاع حيفا بعد استرداد المسلمين لها فلم تـشر المـصادر العربيـة والأجنبيـة المعاصرة إلى ذلك صراحة، ولكن يبدو واضحا أن حيفا ومنطقتها قد شهدت فترة مـن الهـدوء والاستقرار والأمن في ظل الحكم الإسلامي، وان كانت فترة قصيرة استمرت نحو أربع سنوات (583 - 587هـ/1187 - 1191م) وقد ركزت المصادر المعاصرة علـى جهـود الـسلطان صلاح الدين الأيوبي الرامية لاسترداد بقية المدن الفلسطينية والشامية وفي مقدمتها مدينة بيـت المقدس والمناطق المحيطة بها، فضلا عن السيطرة على المستوطنات التي أقامها الفرنجة فـي مملكة بيت المقدس الفرنجية(2).

ويبدو أن بعض العائلات والأسر المسلمة التي كانت قد غادرت حيفا ومناطقها أثناء سيطرة الفرنجة عليها قد عادت للاستقرار في أراضيها وممتلكاتها التي انتزعت منها بالقوة، وفضلا عن ذلك فقد استقرت عائلات وأسر الجند المسلمين الذين تولوا إدارة وحماية حيفـا خـلال الفتـرة الوجيزة التي خضعت فيها المنطقة للسيادة الاسلامية، وبطبيعة الأمر فقد أصبحت مدينـة حيفـا مفتوحة إمام سكان الريف الحيفاوي دون أي عوائق تحول دون دخولهم وخروجهم من المدينة، وقد اسهم هؤلاء بإفشال عده غارات فرنجية وإنزالات بحرية على حيفا وجبل الكرمـل أثنـاء حصار الفرنجة لعكا.

وتجدر الإشارة إلى أن السلطان صلاح الدين أمر بتخريب وتدمير تحصينات حيفا، وأبراجها، و أسوارها بعد استيلاء الفرنجة على عكا حتى لا يستفيد منها الجانب الفرنجي، وفضلا عن ذلـك

(1) البنداري:المصدر نفسه، ص 303، أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص 89، ابن واصل:**مفرج**، جـ2، ص 203، انظر أيضا، بلدوين:**اضمحلال**، ص 280-281.

(2) Genevieve. B. B. op. **cit. Acts**. Nos. 12. 16. 30-31. 66- 67. 117- 120- 123- 125 -128. 150-151. 170. de Roziere.op. cit. Doc. No. 43. pp. 80-81. Doc. No. 44. pp. 81- 83.
انظر أيضا البيشاوي:**الممتلكات**، ص 152- 153، 162-166-184-187.

قام بنقل سكان منطقة حيفا المسلمين إلى بيروت وعسقلان، وكانت سياسة تدمير تحصينات المدن الاسلامية تدخل ضمن النهج العام عند المسلمين، الذي استنه السلطان صلاح الدين الأيوبي[1].

وبعد أن أمّن السلطان صلاح الدين الأيوبي المناطق الساحلية التي عادت للسيادة الاسلامية، قرر التوجه إلى استرداد جوهرة فلسطين(مدينة بيت المقدس)التي وصلها في 583 هـ/في أيلول 1187م، وفرض الحصار عليها وشدد قبضته على جميع مداخلها، وتمكنت القوات الاسلامية من دخولها في السابع و العشرين من رجب عام583هـ/الجمعة الثاني عشر من تشرين الأول عام1187م، بعد استسلام المدافعين الفرنجة بقيادة باليان ابلين سيد اقطاعية نابلس[2] والبطريرك هرقل[3]، وقد عامل المسلمون الفرنجة معاملة حسنه، وسمحوا لهم بمغادرة المدينة شريطة أن يدفع الرجل عشرة دنانير والمرآة خمسة دنانير والطفل ديناراً واحداً[1].

([1]) أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص 157، المقريزي:**السلوك**،جـ1، ق1، ص 104، العليمي:**الانس**، ص 365، عبد الوهاب، **قيسارية**، ص 148.

([2]) باليان الابليني:احد السادة الاقطاعيين، ورد اسمه في الوثائق الفرنجية بأشكال مختلفة، منها باليسيان Balislan وباريزانBarisan ، وقد تزوج من مريم كومنينا أرملة الملك عموري الأول في الفترة الواقعة بين سنتين 1176-1177م، وبزواجه منها، أصبح سيدا لإقطاعية نابلس التي كان الملك عموري قد منحها لمريم بعد زواجه منها، وكان باليان ملزما بتقديم خمسة وعشرين فارسا لملك بيت المقدس، وقد شارك القوات الفرنجية، التي التقت مع المسلمين في معركة حطين سنة 583هـ/1187م، وعندما دارت الدوائر على الجيش الفرنجي هرب باليان إلى صفورية، ومنها اتجه صوب نابلس، ولما وجد زوجته قد غادرتها اتجه إلى بيت المقدس حيث علم بوجودها.
William of Tyre , Eracles, pp. 48-68. vol. 2. pp. 344- 425.
Ambroise > p. 332. Cf:Cange.p. 409. Grousset. R. vol. 2. pp. 504
انظر:ابن واصل:**مفرج**، جـ2، ص 211، عاشور:**الحركة**، جـ2، ص 787، رانسيمان:**تاريخ**، جـ2، ص 748-750، البيشاوي:**نابلس**، ص 132، هامش 31،

([3]) البطريرك هرقل:فرنسي الأصل، من مواليد مقاطعة افيرجن Auvergne في جنوب فرنسا،... وقد حضر إلى بيت المقدس بعد أن اصبح قسيسا، تولى منصب رئيس شمامسة بيت المقدس في الفترة الواقعة بين سنتين 565- 570 هـ/1169-1175 م، وعندما توفى هرنسيوس رئيس أساقفة قيسارية 1175م، انتخب هرقل على الفور ليخلفه في منصبه، وفي 1178م، ذهب مع وفد من رؤساء الأساقفة والأساقفة ورؤساء الكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس إلى روما، وبعد وفاة عموري بطريرك بيت المقدس في عام 1180م، انتخب هرقل ليخلفه في منصب البطريركية
. Cf. William of Tyre. vol.2. pp. 412- 436. 451. Ernoul.pp. 82- 84. انظر:البيشاوي:**نابلس**، ص 136، وقد أشار بعض المؤرخين الفرنجة المعاصرين إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة اقترحوا ترشيح هرقل، و وليم الصوري ليتم اختيار إحداهما لشغل منصب بطريرك بيت المقدس، وفي تشرين الأول عام 1180م، تم اختيار هرقل

ومهما يكن من أمر فقد تكللت جهود صلاح الدين العسكرية بتحرير بيـت المقـدس مـن الفرنجة، بالنجاح، وبدأت نداءات الاستغاثة الفرنجية تصل إلى اوروبا مما أدى إلى قدوم الحملة الفرنجية الثالثة التي اشترك فيها ثلاثة ملوك مـن اوروبـا، فردريـك بربروسـا Fredrek Brprosa امبراطور المانيا، وريتشارد قلب الأسـد Richard Lion Heart ملـك إنجلتـرا، وفيليب أغسطس Philip Augutus ملك فرنسا.

ولعل قدوم الحملة الثالثة يشير إلى أن مصير الفرنجة في الأراضي المقدسة كان يعتمد على وصول الإمدادات والمساعدات المستمرة من الغرب الأوروبي خاصة أمام النـشاط الإسـلامي القوي في المنطقة. و امتازت فتوحات صلاح الدين بالاعتدال والبعد عن التطرف والعنف مـع أعدائه، فعامل أسرى الفرنجة معاملة طيبة، ومنح كثيرا من الفرنجة منهم الحرية، وسمح لهـم بالنزوح إلى صور أو غيرها، هذا فضلا عن حرصه على الرفق بالنساء والأطفال وكبار الـسن من الفرنجة[2]. ومع ذلك حاول الملك جاي لوزنيان اقتحام عكا في منتـصف رجـب عـام 585هـ/1189م، لكنه فشل في ذلك، رغم تعهده بعدم محاربة صلاح الدين واقـسم علـى أن يبرح بلاد الشام فور إطلاق سراحه[3]. و لكنه نكث قسمه و وصل صور و منها زحف إلى عكا التي حاصرها بعد وصول الإمدادات الفرنجية من اوروبا إليه، وعندما علم صـلاح الـدين بذلك زحف نحو المدينة لرفع الحصار عنها، في أول شعبان 585هـ/14 من سبتمبر 1189م،

ليصبح بطريركيا على بيت المقدس، ويبدو أن وليم الصوري لم يتقبل ذلك، وسافر إلى اوروبا ليقدم احتجاجا على تعيين هرقل، الذي ارسل من دس له السم .

([1]) ابن شداد:**النوادر**، ص 81-83، أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص 92- 96، ابن الأثير:**الكامل**، جـ 11، ص 549، ابن واصل:**مفرج**، جـ2، ص 208-227، ابن تغري بردي:**النجوم**، جـ6، ص 36.
Eracles. pp. 98- 99. Cf.also:**Addison**. p. 161. Stevenson. op. cit. p. 253.

([2]) رانسيمان:المرجع نفسه، جـ2، ص 752-753،
عاشور:**الحركة**، جـ2، ص 798-799.، Stevenson. p. 254

([3]) أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص 140، **Archer and Kingsford**. op. cit. p. 317.
وبعد إطلاق سراح الملك جاي لوزنيان اتى إلى صور في 585هـ/1189م، يطلب دخولها فمنعه المركيز (كونراد) الـذي كان يقود المقاومة الفرنجية فيها ذلك الوقت، وقال له:انني نائب الملوك الذين وراء البحر، وما أذنوا لي في تسليمها لك، أبو شامة:الروضتين، جـ2، ص 140-141، عاشور:الحركة، جـ2، ص 821، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ 3، ص 48-51- 52.

واشتبك مع الجيش الفرنجي في معارك عنيفة، تمكن المسلمون على أثرها من فتح الطريق إلى عكا والاتصال بحاميتها، وكان ميناء حيفا أثناء السيطرة الاسلامية عليها قاعدة لانطلاق السفن الأيوبية لتوصيل الإمدادات والبدل إلى عكا.

واستمر الفرنجة في تشديد الحصار على المدينة وضيقوا الخناق عليها، وكانت الإمدادات العسكرية والتموينية تتدفق عليهم من الغرب الأوروبي مع استمرار المناوشات العسكرية بينهم وبين المسلمين مستمرة[1] رغم ذلك، لم يلبث أن وصل فيليب أغسطس إلى عكا في ربيع الأول 587هـ/في العشرين من أبريل سنة 1191، ثم لحق ريتشارد قلب الأسد في الثامن من 13 جمادى الأول 587هـ/الثامن من يوليه 1191م[2] واشتد الحصار على المدينة وفي 587هـ/1190م، تم إدخال البدل إلى عكا وحمل البر(القمح) والذخائر والنفقات والعدد إليها، وإخراج من كان بها من الأمراء لعظم شكايتهم من طول المقام والقتال ليلا ونهارا.

واتخذ السلطان من ميناء حيفا قاعدة تموين و إمداد لعكا وانتقل الملك العادل بعسكره إلى قاعدة الإمداد في ميناء حيفا عند مصب نهر المقطع يحث الناس على الدخول إلى عكا، ويحرس الميناء وما به من الميري والذخائر لئلا يتطرق إليها العدو، ولما علم الفرنج بذلك زحفوا إلى حيفا على جانب الشاطئ في 587هـ /1190م، وحشدوا أعدادا كبيرة من جيشهم ووصلوا أسوار حيفا وصعدوا في سلم واحد فوقع بهم وتداركهم أهل حيفا من المسلمين فقتلوا منهم خلقا عظيما [3]،ولكن لم تستطع الحامية بعكا أن تمضى في صمودها اكثر من ذلك لعدم وصول المساعدة، وما دار في 587هـ/11 يوليه 1191، من معركة على أسوار عكا يعتبر أخر ما بذله المحاصرون من جهد، و أصاب المسلمين وهن عظيم و أجبرت حامية المدينة على

---

(1) ابن الاثير:**الكامل**، جـ12، ص 62-66.

Cf. also: **Stevenson**. pp. 262-263. **King** ,pp. 137-146.

(2) Stevenson. op.cit.p. 267. **King**.p. 142. Lane -Poole.p. 210.

(3) ابن شداد:**النوادر**، ص 112-113، أبو شامة، **الروضتين**، جـ1، ص510-513،جـ2،ص179، انظر ايضا:سميل: ص 242-243.

التسليم، فدخلها الفرنجة في 12 يوليه 1191م/17 جمادى الآخرة سنه 587هـ بعد حصار دام سنتين[1].

وسار ريتشارد إلى الجنوب، والتزم الطريق الممتد على طول الساحل حيث يلقى جناحه الأيسر من قبل البحر والأسطول، واتخذ السلطان طريقا موازيا لطريق ريتشارد، و عسكر على تل القيمون الواقع على منحدرات جبل الكرمل الجنوبية الشرقية، ومن هذا الموضع انطلق بحثا عن موضع ملائم لخوض معركة مع الجانب الفرنجي تناسب الخطط والأساليب العسكرية الإسلامية من كر وفر وإيقاع قوات الخصم في كمائن معدة مسبقا. ومن المؤكد أن الأمير بدر الدين دلدرم الياروقي كان بجانبه هو وفرسانه وجنوده لمعرفتهم بطبيعة أراضي حيفا ومدى صلاحيتها للعمليات العسكرية الإسلامية من مناورة وعمليات التفاف وحصار ومطاردة لقوات العدو.

وعقب الاستيلاء على عكا كان هدف الفرنج العسكري التالي هو إقامة قاعدة تساعدهم على مهاجمة القدس، ففي 29 رجب 587هـ/أول أغسطس 1191م، عبر الفرنج نهر المقطع ووصلوا إلى حيفا التي سبق لصلاح الدين أن دمر استحكاماتها واسوارها وأبراجها، لأنه كان مدركا أن وجهة الفرنجة التالية سوف تكون المدن الساحلية الواقعة جنوب عكا، لذلك عمل على التخريب والدمار في هذه المدن الواقعة على طريق تقدم الحملة الفرنجية الثالثة، وكانت حيفا أول هذه المدن، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن سكانها المسلمين أسرعوا بمغادرتها عندما وصلتهم أنباء المذبحة التي قام بها ريتشارد وقتل جميع الأسرى المسلمين في

---

(1) أصبحت عكا مسألة هيبة، وسقوطها كانت ضربة قاسية لصلاح الدين الذي فقد المدينة بعد حصار استمر سنتين، ورفض نصيحة امرائه بتخريب المدينة تخريبا تاما عندما فتحها 583هـ/1187م، وهنا يظهر انه لم يكن استراتجيا بارعا، وعلى العكس من ذلك فقد اكمل بناء المرفأ والقلعة ووضع فيها جميع التجهيزات العسكرية التي احضرها من مصر والشام، وأهمل زحف جاي لوزينان على عكا، انظر، ماير:المرجع نفسه،ص 210، انظر احتلال عكا من قبل الفرنج ابن شداد:**النوادر**، ص 169، ابن الاثير:**الكامل**، جـ12، ص 67، أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص 188،
Cf. also:Conder.p. 272, Stevenson.p. 269. King,p. 147.Grousset.R. vol.3. p. 55
انظر:رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 102، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 327-328 -329.

عكا، لذلك عندما وصل ريتشارد إلى حيفا وجدها خالية من سكانها، فضلا عن تعرض أسوارها وحصونها للدمار[1] واستمر العدو معسكرا في حيفا لمدة ثلاثـة أيـام حتـى 3شـعبان عـام 587هـ/25 أغسطس 1191م، وهكذا كانت حيفا هي الهدف المباشر للقوات الفرنجية الخارجة من عكا إلى حيفا مرورا بنهر المقطع، اما سبب تأخرهم فكان انتظـارهم وصـول مراكـب الأسطول المحملة بالرجال والميرة، ثم تابعوا سيرهم واجتازوا حيفا وطافوا حول تـلال جبـل الكرمل، الا انهم التزموا البطء في سيرهم حتى يظل الأسطول على اتصال بهم[2] وكان هـدف القوات الاسلامية إنهاك القوات الفرنجية، وانقض الفرسان المسلمون من حين لآخر من جبـال الكرمل على الجيش الفرنجي الزاحف وقطعوا الطريق على الذين تاهوا عن جيشهم، وحملـوهم إلى صلاح الدين الذي استجوبهم ثم أمر بقتلهم انتقاما لمذبحة عكا، وكانت طبيعة منطقة حيفـا الطبوغرافية تساعد على عمليات الإغارة والكمائن وخاصة من جبل الكرمل ووادي فلاح بين اقطاعية حيفا وقيسارية حيث استغل الجيش الإسلامي كثرة الغابات والأشجار[3]، واخذوا يشنون منها الغارات المفاجئة والكمائن على الجيش الفرنجي.

وقد استغل ريتشارد تكتيك فرنجي جيد فالأسطول يحمى الجيش من جهة البحـر ويحـدد سرعة مسير الحملة، وأما هيئات الفرسان الثلاث[4] فكانت تحمى جانبها الأيسر من الهجمـات

([1]) Ambroise, p. 486.Cf. also Roger of Wendover Flowers.vol.11. p. 107. Cf. Also Hasard. op. cit.p. 86.

ابن الأثير:**الكامل**، جـ9، ص 215، ابن شداد:**النوادر**، ص 176-180، ابن واصل:**مفـرج**، جـ2، ص 365، أبـو شامة:**الروضتين**، جـ2 ص 157، المقريزي:**الـسلوك**، جـ1، ق1، ص 104، العليمـي:**الأنـس**، ص 365، عبـد الوهاب:**قيسارية**، ص 153، النقاش:**تاريخ**، ص 148،

([2]) أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص 33- 35، ماير:المرجع نفسه، ص 216، رانسيمان:المرجـع نفـسه، جـ3، ص 109.

Itinerar ium.pp. 248-256 Cf. **Also Ambroise.** Cols. 152-160..

ابن شداد:**النوادر**، ص 275-281،

([3]) وادي فلاح:يقع جنوب شرق حيفا، وكان ضمن حدود الاقطاعية القريبة من حدود إقطاعية قيسارية، وكانت تكثر فيه الأشجار الحرجية الكثيفة إلى جانب المستنقعات، وكان هو من الأماكن المفضلة لعمل الكمائن وشن الغارات بسبب قربـه من الساحل على قوافل الحجاج المسيحيين.

([4]) التنظيمات الدينية الحربية الثلاث. (The Religious miliarty Orders) رغم خضوع هذه المنظمات للقانون الكنسي الا أن جميعها تنظيمات قتالية لها فرسانها ومشاتها.المنظمة الاولى هي الاسبتارية:التي تعتبر بحق اقدم الهيئـات الدينيـة

المستمرة اما تنظيم هيئة الفرسان الداوية التي تأسست في الأراضي المقدسة 512هـ ـ/1118م، بنيت على سياسة حربية منذ بداية نشائتها بالإضافة إلى رعاية المرضى والجرحى، ومن أهـم المهام العسكرية التي كلفت بها (هيئة فرسان الداوية) أو (هيئة فرسان المعبد)[1] هـو حمايـة الحجاج على الطريق بين يافا والقدس، من الشرق، وكان الجند يسيرون في صفوف متراصـة من المشاة يستبدلون بوحدات أخرى تفاديا لتعرضهم للإجهاد، فاجتازوا حافة الكرمـل وحيفـا، وأقاموا معسكرهم إلى الداخل من حدود قيسارية، ورغم ذلك فقد الفرنجة الكثير مـن رجـالهم وعتادهم مما اضطرهم الانتظار حتى وصلت اليهم إمدادات جديدة من عكا بحرا[2]. و أضـحى الالتحام بين الجيشين وشيك الوقوع، وبعد بضعة ايام اختار صلاح الدين الموقع الذي نشبت فيه معركة أرسوف في 15 شعبان 587هـ/7 سبتمبر 1191م، وحيث كان السهل من الاتساع ما يكفى لاستخدام الفرسان والغابات على مسافة ميلين من البحر، وفي هذه الأثناء طلب ريتشارد إجراء مفاوضات قبل المعركة بيومين في 13 شعبان 587هـ ـ/5 سـبتمبر 1191م، فـالتقى بالعادل شقيق صلاح الدين تحت علم الهدنة، ورغم أن ريتشارد سئم القتال فانه طلب على الأقل

الحربية التي شهد الوجود الفرنجي في الشام قيامها، وترتبط ارتباطا وثيقا بتلك المستشفى التي أقامها الامالفيون في مدينة بيت المقدس لرعاية الجرحى والمرضى من الحجاج، ما لبثت أن تولت أمر الدفاع عن الوجود الفرنجي إلى جانب عناصر جيش المملكة اللاتينية. عوض:**التنظيمات**،ص31 -33، انظر القاضي الفاضـل:**إنـشاءات**، ص 83 Cf. Ency. Brit-Hospital.vol. VIII.p. 791

([1])انظر:عوض:المرجع نفسه، ص 39-40-41، براور:**عالم**، ص 193، ولفظ فرسان الداوية أو فرسان المعبـد أطلقـه المؤرخون العرب على هذه الجماعة لبلائهم واستبـسالهم فـي القتـال، ويقـصدون بالمعبـد هـو المـسجد الأقـصى، الحريري:**الأعلام والتبيين**، ورقة (10)، والعثماني، **تاريخ صفد**، ص 487، أبي الفـضائل:**الـنهج الـسديد**، ص 491، الحنبلي:**شفاء**، ورقة (33)، شيخ الربوة:**نخبة**، ص 210، العليمي:**الأنس**، جـ1، ص 354، وهناك فرسان التيوتون:وقـد ارتبط ذلك التنظيم من بداية نشاطه بتلك الصعاب التي كان يقابلها الحجاج الألمان في الأراضي المقدسة،عوض:المرجـع نفسه، ص 42-43. وبدأت من المستشفى الألماني الميداني مقابل عكا لرعاية الحجاج الألمـان بعـد معركـة حطـين، عوض:المرجع نفسه، ص 42-43، برارو:**عالم**، ص 196. La Monte. **Feudal Monerchy.**pp. 269- 370.

([2]) أبو شامة:**الروضتين**، ص 138، عوض:**معركة**، ص20، ماير:المرجع نفسه، ص216، ابن الأثير:**الكامل**، جـ9، ص 215، ابن واصل:**مفرج**، جـ2، ص 276.365 Cf. also:Stevenson. op.cit.p. .

رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 108، عبد الوهاب:**قيسارية**، ص 153.

التنازل له عن فلسطين كلها فبادر العادل على الفور إلى قطع المفاوضات، و لم يبق أمام الطرفين سوى القتال(1)

الذي كان في البداية لصالح المسلمين ثم انقلب لصالح الفرنج، وأظهر ابن شداد أسفه لتلك الهزيمة، ولكن لم تكن معركة أرسوف حاسمة وان خسائر الطرفين كانت تقريبا متساوية(2)، رغم أن صلاح الدين تأثر لهزيمة قواته في ارض مكشوفة في أرسوف، وحيث كان للجيش الإسلامي الغلبة دائما في الأراضي المكشوفة. واستأنف ريتشارد سيره صوب الجنوب حتى وصل إلى يافا وشرع في إعادة بناء استحكاماتها، وكان ريتشارد حتى ذلك وقت يستند إلى الأسطول الذي يسير إزاء جناح الجيش، ويقدم له ما يحتاجه من المؤن والعتاد، ولم يكن ريتشارد مستعدا، لأن يسير داخل فلسطين إلى بيت المقدس، لو لم يكن له قاعدة قوية على الساحل (3).

[1]) أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص 19، عاشور:**الحركة**، ص 840-841، رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، ص109. بدا المسلمون هجومهم في الضحى 15 شعبان 587 هـ /7 سبتمبر 1191م، والمسلمون يتقدمون في موجات متلاحقة، يرمونهم بالسهام، فانزلوا الخلل والاضطراب في الصف الأول للعدو، وكاد أن يقضوا على الإفرنج كما حدث في حطين، ولكن ريتشارد والجيش الفرنجي صمد في القتال، ولم يحل المساء حتى أضحى الجيش الفرنجي مسيطرا على ساحة المعركة، أعادة تنظيم قواته، وتحولت المعركة بسرعة لصالح الفرنج أعادت لهم الثقة بالنفس. انظر Ambroise. 160 - 178.. ابن شداد:**النوادر**، ص 281-295، أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص 36-40، رانسيمان، المرجع نفسه، جـ3، ص 190- 110.

[2]) اظهر القاضي ابن شداد اسفه لتلك الهزيمة وقال (والناس بين جريح الجسد وجريح القلب) ابن شداد:**النوادر**، ص300، عاشور:**الحركة**، جـ2، ص842، ماير:المرجع نفسه، ص 216. ويقول ماير:حاول صلاح الدين أن ينازل الفرنجة في معركة حاسمة عند ارسوف، الا أن ريتشارد حافظ بشدة على نظام المعركة وصدت النبال وفرسان الفرنجة قوات صلاح الدين، وجاءت الخسائر في الجانبين قليلة، الا أن النصر المعنوي كان بجانب اللاتين، الذين ربحوا أول معركة كبيرة بعد حطين.

(2) Ttineraium.op. cit.pp. 280-281

ابن شداد:**النوادر**، ص 296، أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص 41-44، ابن الاثير:**الكامل**، جـ2، ص 50-51، ويشير ابن الاثير وأبو شامة أن صلاح الدين نزل على تدمير تحصينات عسقلان كارها ذلك، وكان على راس عسكره في عسقلان. فقام بحرقها وسط بكاء الناس لخرابها. المقريزي:**السلوك**،جـ1، ص106، ابن واصل:**مفرج**، جـ2، ص370-371، رانسيمان:جـ3، ص 115. عاشور:**الحركة**، جـ2، ص843.

وخشي صلاح الدين أن يتحرك ريتشارد إلى عسقلان وان يقيم فيها قاعدة تقطـع طريـق الاتصال بين صلاح الدين ومصر، فدمر عسقلان عن آخرها برغم رخائها وثرواتها [1]، واتجه صلاح الدين إلى بيت المقدس في أواخر سنة 587 هـ /1191م للأشراف على عمليات الدفاع عنها، ومر بالرملة فخرب تحصيناتها، كما خرب اللد، ولم يـستثمر ريتـشارد انتـصاره فـي أرسوف وفوزه بالنصر، وأضاع وقتا ثمينا زهاء شهرين في إعادة بناء يافا، وترميم تحصينات قيسارية وحيفا وارسوف، ثم زحف ريتشارد إلى الرملة واللد، واشتدت غارات المسلمين علـى القوات الفرنجية ومؤخرته وقطع خطوط مواصلاته، وأمام هذه الأوضاع الصعبة، ودخول شتاء عام 588هـ/ديسمبر 1191م، اضطر ريتشارد ورجاله إلى الانـسحاب عائـدين إلـى يافـا وأرسوف خائبي الأمل[2]. ولا شك أن أمير حيفا الإسلامي بدر الدين دلـدرم اليـاروقي أميـر عسكر حلب قد شارك مع فرسانه وعسكره في جميع المعارك التي خاضها المسلمون في حيفا، وكذلك كان لهم دور بارز في معركة أرسوف، كما شارك فرسانه ومشاته في الغارات التى قام بها الجيش الإسلامي ضد القوات الفرنجية على طول الطريق من ارسوف حتـى يافـا واللـد والرملة. ورغم الانتصارات التي حققتها الحملة الفرنجية الثالثة في عكا وأرسوف وغيرها مـن الصدامات بين الطرفين، الا إنها فشلت في تحقيق أهدافها الرئيسة بالوصول والاسـتيلاء علـى

([1]) بعد إن احتل ريتشارد يافا منح جيشه استراحة واهتم بالتحصينات ومنذ ذلك الحين كان يفاوض دون انقطـاع متوخيـا إنهاء الحرب، وأما صلاح الدين كسب الوقت، وقام بتنظيم صفوفه، واستعد للجولة الثالثة مع ريتشارد، ويقول ابن شداد أن صلاح الدين رتب ثلاثمائة من العرب يغيرون على الفرنجة، ويقتلون وينهبون أموال الفرنج ومتاعهم وخيولهم، بل انهـم يأسرون الرجال أحياء. **عاشور**:الحركة،جـ2، ص843-845، ماير:**الحرب**،جـ1، ص 107، انظر رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، ص 111. **Ambroise**.11.pp.416-417. Ernoul. p.p. 278-279.

([2]) اصبح الوضع يتطلب عودة ريتشارد العاجلة إلى انجلترا، يضاف إلى ذلك ما حل بسائر الفرنجة من الإرهـاق، ودأب ريتشارد أيضا على التصريح عن عزمة مغادرة فلسطين، انظر رانسيمان:المرجـع نفـسه، جـ3، ص140، وأرسـل ريتشارد للسلطان قائلا هلكنا نحن وانتم والإصلاح حقن الدماء، ولا ينبغي أن تعتقد أن ذلك ضعف مني بل للمصلحة، ولا تقصير بتاخري عن منزلى (فاكيش يتاخر لينبطح) ابن شداد:**النوادر**، ص 175، العيني:**عقد**،جـ 20، ورقه 89، وكذلك اخذ المسلمون من الضجر والتعب وعلاهم من الديون واستقر الحال على هذا الجواب (وهناك رغبة عند الطـرفين بحـل النزاع سلميا ودخلوا في مفاوضات جديدة) ابن شداد:**النوادر**،ص 176، ابن واصل:**مفرج**،جـ 2، ص379. وقد بلـغ ريتشارد أخبار تمرد أخيه حنا ضده وتطلعاته للتربع على عرش انجلترا. انظر: Ambroise.op. cit.pp.155-157. عاشور:**الحركة**، جـ 2، ص 858

بيت المقدس، وطال أمد المعارك المتوازنة بين الجانبين دون الوصول إلى نتيجة حاسمة لصالح أحد الأطراف، وما كاد ريتشارد يعود إلى يافا في 588هـ/أخر ديسمبر 1191م، حتى بدأت المباحثات بين الطرفين من أجل التوصل إلى اتفاق وإنهاء الحرب، وخاصة وأن ظروف الملك ريتشارد لم تعد تتحمل البقاء في الاراضي المقدسة[1]، وتنازل ريتشارد بالمطالبة بالسيطرة السياسية على بيت المقدس، ووافق على مناصفة البلاد الساحلية كلها بين المسلمين والفرنجة، وبعد أخذ ورد بين الأطراف تقرر إقامة الصلح والهدنة بين السلطان صلاح الدين من ناحية وبين الملك ريتشارد قلب الأسد من ناحية أخرى، ولمدة ثلاث سنوات وثلاثة اشهر وثلاثة اياما اعتبارا من 22 شعبان 588هـ/3 سبتمبر 1192م.

وقد نص على الآتي:

أولا :يحصل الفرنجة على المنطقة الساحلية الممتدة بين عكا حتى يافا وتشمل يافا وأعمالها، وحيفا وأعمالها، وعكا وأعمالها، وقيسارية وأعمالها، وأرسوف وأعمالها.

ثانياً:يدخل الإسماعيلية في الصلح من الجانب الإسلامي، وإنطاكية وطرابلس من الجانب الفرنجي .

ثالثاً:مدة الصلح ثلاث سنوات وثلاثة اشهر وثلاثة أيام اعتبارا من 22 شعبان 588هـ/3 سبتمبر1192م[2].

([1]) تم التوصل إلى هذا الاتفاق في 18 شعبان 588هـ/29 أغسطس 1192م، وتم التوقيع عليه في 2سبتمبر/22شعبان، و رفض ريتشارد أن يقسم على المعاهدة، وتعلل أن الملوك لا يحلفون، واكتفى بمصافحة ممثل صلاح الدين، انظر ابن واصل:مفرج،جـ2، ص403، أبو شامة:**الروضتين**،جـ2، ص200، الاصفهاني:**الفتح**، ص 343، انظر أيضا:رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، ص140، عاشور:**الحركة**، جـ2، ص859،

ثانيا:تكون اللد والرملة مناصفة وهما من أعمال يافا وكذلك مجدل يابا مع المسلمين وهى أيضا من أعمال يافا، وكذلك تبقى الناصرة وصفورية من أعمال عكا مع المسلمين، واتفق الطرفان على ان تكون عسقلان خرابا بالجانب الإسلامي، ولا تكون لأي من الفريقين.

([2]) اختلفت المصادر العربية في تحديد مدة الصلح، فقد ذكر ابن واصل وأبو شامة وأبو الفداء أنها كانت ثلاث سنوات وثلاثة اشهر اما العماد الاضفهاني وابن الاثير وابن ايبك فذكروا انها ثلاث سنوات وثمانية اشهر، بينما انفرد ابن العديم

ثم تبقى القدس وبيت لحم والناصرة في أيدي المسلمين، ويسمح للحجاج الفرنج بزيارتها مع بقاء كنيسة القيامة في حوزتهم (تحت الحماية الاسلامية) ثم يكون هناك ممـر أمـن للحجـاج المسيحيين من أرسوف إلى يافا ثم الرملة واللد ومنها بيت المقدس، وليس من شك أن الفرنجـة الصليبيين المقيمين في اقطاعية حيفا اصبح لهم حرية الانتقال من حيفا إلـى الناصـرة وبيـت المقدس، وبيت لحم طبقا لاتفاقية الرملة التي أعطت للفرنج حرية المرور بأمان إلـى الأمـاكن المقدسة. ولا يخفى علينا أن صلح الرملة قوبل بالارتياح من الجانبين، بعد أن ملوا جميعا مـن الحروب الطويلة التي لم تنته إلى نتيجة حاسمة لأحد الطرفين. وعادت الحيـاة الطبيعيـة إلـى فلسطين ومنها اقطاعية حيفا، فاقبل الحجاج المسيحيون إلى بيت المقدس آمنين، وأخـذ النـشاط التجاري يدب في ميناء حيفا، ونشطت السياحة الدينية على جبل الكرمل[1]. وبعد توقيع معاهـدة الرملة ارتحل ريتشارد إلى عكا مرورا بحيفا وجبل الكرمل ورتب أمورهما، وفي 588هـ ـ/9 أكتوبر سنة 1192م. غادر ريتشارد البلاد بحرا من عكا والتي ظل بها سـتة عـشر شـهرا، يحارب ببسالة نادرة[2]. اما صلاح الدين الذي اصبح منهوك القوى، فقد مكث في بيت المقـدس حتى تأكد من إقلاع ريتشارد من عكا إلى الغرب، فانصرف إلى تنظيم الإدارة المدنيـة لإقلـيم

بقوله أنها ثلاث سنوات وخمسة اشهر، ونحن نرجح إنها كانت ثلاثه سنوات وثلاثة اشهر وثلاثة أيام. وعن ذلك انظر ابن واصل:مفرج، جـ2 ص404، أبو شامة:**الروضتين**،جـ2، ص200 -203، الاصفهاني:الفتح، ص605، ابن ايبك:كنـز، ص 163 -165، ابن الاثير:**الكامل**،جـ9، ص220- 222، ابن العديم:**تاريخ**،جـ 2، ص121.

Geofferey de Vinsauf. Richerd. p. 229-230. Cf.Ambroise, the Crusade of Richard.pp.429-430 ,Cf. Also Nickerlson.**The Geofferey Stats** 1192-1243 , in Setton.vol.11..pp.523-524 Stevenson.w. p. 286. Mayer. H. F. p. 146..

رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 146، عاشور:**الحركـة**،جـ2 ص862، عبـد الوهـاب:**قيـسارية**، ص 155، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 327-328. أشار الأصفهاني إلى توقيع الهدنة بقوله (عقدت هدنة عامة في البر والبحر والسهل والوعر والبدو الحضر، وجعل لهم الفرنجة من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صور، وابدوا ما تركوه من البلاد التي كانت معهم الغبطة والسرور، الاصفهاني:**الفتح**، ص605.

([1]) ابن شداد:**النوادر**، ص378-387، أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص75-79، رانسيمان:المرجـع نفـسه،جـ2، ص 140-141، انظر أيضا.430- 42-44 Ttineraium.p.p.

([2]) المقريرزي:**السلوك**، جـ1، ص 110، أبو شامة:**الروضـتين**، جـ2،ص 392، ابـن شـداد:**النـوادر**، ص391 ،.Grouset.op.cit.11.p. 119

عاشور:**الحركة**، جـ2، ط3،ص 863. ماير:المرجع نفسه، ص 218-219، رانسيمان، جـ3، ص 141.

فلسطين، وعاد إلى دمشق في 588 هـ/نوفمبر 1192، وتوفى فيها يوم الأربعاء 27من صفر 589هـ/3 مارس آذار 1193م(1).

2.4 اقطاعية حيفا بعد توقيع معاهدة الرملة حتى معاهدة يافـا627 - 588) (هـ/1192 - 1229م):

بعد صلح الرملة أصبحت الإقطاعيات الساحلية(حيفا وقيسارية وأرسوف) ضمن مملكة بيت المقدس اللاتينية الاسمية في عكا، فعاد سادة الإقطاعيات السابقون إليها(2)، والمعـروف أن صلاح الدين منح قبل وفاته لباليان الابليني منطقة تامينا في القيمون(3) وهى منطقة اسـتقطعت من اقطاعية حيفا وما كان لملك بيت المقدس الأسمى (هنرى الشامباني)(4) في عكا من صداقة مع أسرة ابلين، فاعتبرت هذه المنحة عظيمة القيمة في الاعتراف الإسلامي وقائده صلاح الدين بسلطة باليان ابلين على تل القيمون من اقطاعية حيفا (5)وقد تعمقت دعائم الهدنة فـي البدايـة،

---

(1) ابن شاهنشاه:**مضمار**، ص 203، ابن واصل:**مفرج**، جـ3، ص 2، مجهول:**ذيل**، ص 254-255. ماير:المرجع نفسه، ص 219. وجلس وله الأفضل للعزاء في الإيوان -وكتب إلى عمه واخوانه يخبرهم بهذا الحادث أحداث سنة 589هـ، من ذيل كتاب التاريخ إلى شاهنشاه الأيوبي، هو كتاب ابن شداد، ص 392-402، أبو شامة:**الروضتين**، جـ2، ص93-97،.انظر رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، 146-147

Ernoul. op. cit. p. 304. Estoire d , Eracles ,p. 217, Roger of Hoveden. 111.p. 213

(2) ومن المؤرخين الفرنج من يقول أن صلاح الدين أعاد الإقطاعيات الساحلية إلى سادتها الإفرنج.

Au Seignor de CayPhas Rendi Cayphas.Au Seignor de CayPhas Rendi Cayphas. Au Seignor d' Arsar. Rendi Arsar.وترجمتها:واعاد صلاحين (صلاح الدين) حيفا إلى سيدها السابق وقيسارية الى سيدتها السابقة، وارسوف الى سيدها السابق عن ذلك انظرL'Eracles pp. 199. 204 Eracles .

Les Gestes des Chiprois.vol. 11. p. 661. Cf. Also. Beyer.op. cit.p. 4

La Monte. Lords.of Caesarea.p. 152. Benvenisti.op. cit. p. 138

وغير خاف أن هذه كلها احتمالات أزاد السلطان في استغلال الخلافات الداخلية القائمة بين الفرنجة بإعادة هذه الإقطاعيات إلى سادلتها السابقين، مما يزيد من حدة الخلافات، ابن واصل:مفرج،جـ2،ص402.

(3) وهو تل القيمون على منحدرات جبل الكرمل ويقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا والمنطقة جزء من اقطاعية حيفا تم اقتطاعها عليها للاتيني وتامينا جزء من القيمون التي كانت تابعة لحيفا

((4)هنري كونت شمبانيا:هو فرنسي الأصل، عالي الهمة، محبوبا من الناس واصلة من مقاطعه شمانيا في فرنسا، هـو ابن أخت ملك فرنسا وانجلترا، تزوج من الاميرة ايزابيلا وارثة عرش المملكة اللاتينية في عكا بعد اغتيال زوجها كونراد بيومين بناء على مطالب سكان مدينة صور الفرنجة اصبح ملك مملكة بيت المقدس الاسمية في عكا في 588هـ/أوائـل مايو 1192م. ابن شداد:**النوادر**، ص 338، أبو شامة:**الروضتين**، ج2، ص 196، ابن واصل:**مفرج**، جـ2، ص 382، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 126-127، عاشور:**الحركة**، جـ2، ص 851-852،

(5) Ernoul.op. cit. p. 293، رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، ص161.

وأعطت اقطاعية حيفا الفرنجية وباقي الإقطاعيات الساحلية فترة من الهدوء طويلة الأمد دون أن تقع معركة حاسمة مع المسلمين، فقد مضى عهد اكبر حملة فرنجية يقوم بها الغرب، وان النجاح كان ضحلا إلى حد بعيد وبقى الجزء الأعظم من فلسطين في أيدي المـسلمين، الا أن توحيـد قوى الفرنجة والغرب الأوروبي أمن استمرار الدويلات الفرنجية ومنها اقطاعية حيفا مدة قـرن أخر ولم تبذل اوروبا على الإطلاق جهدا أخر يماثل ذاك[1] وانتقلت العاصمة للملكة اللاتينية من بيت المقدس إلى عكا، مما يعنى توجيه المزيد من الاهتمام إلى النواحي الاقتصادية والتجاريـة، بدلا من النواحي الدينية التي كانت سائدة من قبل[2]، مما يدل إلى بروز الجانب المـادي إلـى جوار الجانب الديني، واذا عقدنا مقارنة بين وضع الاقطاعية في المملكة الفرنجية قبـل وبعـده صلح الرملة، نجد إنها أصبحت من الإقطاعيات المميزة في المملكة الفرنجية الاسمية في عكـا، وبعد عودة حيفا للسيطرة الفرنجية بعد صلح الرملة، عاد السكان الفرنجة للإقامـة فـي حيفـا والحزام الزراعي المحيط بها،هذا إلى جانب قيام سيدها الاقطاعي بتجهيز الفرسان والسيرجندية وتقديمهم للملك الفرنجي الأسمى الذي اصبح مركزه في عكا بدلا من بيت المقدس، وربما زادت الأعباء العسكرية الملقاة على عاتق سيد حيفا، بسبب هزيمة الفرنجة فـي حطـين، وانحـسار المناطق التي اصبحوا يسيطرون عليها، الأمر الذي يترتب عليه زيادة عدد الفرسان والجنود من كل المناطق التي بقيت خاضعة للسيطرة الفرنجية، وخاصة أن إقطاعية حيفا أصبحت حـدودها الشرقية متاخمة لحدود الايوبيين في بلاد الشام، بعد أن كان يفصل بين اقطاعية حيفـا والـبلاد الاسلامية اقطاعيات صليبية خلال الفترة الاولى من تاريخ حيفا مما جعلها في الفتـرة الاولـى بمنأى ومأمن من هجمات المسلمين عليها. وبعد موت ملك مملكة بيت المقدس الأسمى(هنـرى الشامباني) الذي لقى مصرعه في 594 هـ/10ايلول 1197م، والذي لم يتوج ملكا على الفرنجة في الساحل الفلسطيني، ولا ندري في حقيقة الأمر السبب الذي مـن اجلـه لـم يتـوج هنـري الشامباني ملكا على المملكة الفرنجية بالشام، فربما كان يرجو أن يؤجل هذه الخطوة حتى يسترد

---

(1) ماير:المرجع نفسه، ص313.

(2) Nickerlson.The Geofferey Stats , in Setton.vol.11.p.522

انظر أيضا رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، ص 122. عبد الوهاب:قيسارية، ص 156.

بيت المقدس من المسلمين وعندئذ يتوج فيها، أو ربما لم يجد استعدادا من الكنيسة والرأي الفرنجي العام لتتويجه، ومهما يكن من أمر فقد أضعفت هذه الناحية من نفوذ هنري الشامباني[1]، وهكذا بعد موته اضطرب الأمر في المملكة الاسمية في عكا، وكان لا بد من اختيار حاكم جديد ليمضى قدما في قتال المسلمين ويدافع عن المملكة اللاتينية، إذ لم تستطع ايزابيلا (أرملة الملك) مباشرة كان عليها أن تتزوج من (امالريك) لوزينان (ملك قبرص)[2] وسمي عموري الثاني الذي قدم إلى عكا في 595هـ/1198م، وتوجا من قبل البطريرك ملكا وملكة على بيت المقدس الاسمية (594- 602هـ/1197- 1205م)[3]، في ذلك الوقت كان خلفاء صلاح الدين مشغولين بخلافاتهم ونزاعاتهم حول مناطق النفوذ والسيطرة، فأعطوا للفرنجة فترة من الراحة نعمت خلالها اقطاعية حيفا بالسلام وجنت مكاسب مادية وأمنية على حساب المسلمين، وتم للفرنجة الاستيلاء على بيروت في محرم 594هـ/نوفمبر 1197م، وشاركت حيفا بفرسانها ومشاتها مع قوات المملكة الفرنجية الاسمية في عكا بالزحف على بيت المقدس، التي وصلتها تعزيزات اسلامية من مصر، واخذ الفرنج في الإغارة على المدن والقرى الاسلامية، فأسروا ونهبوا، واستمر هذا الحال لمدة عام دون أن يحرز أية من الطرفين أي نصر على الأخر مما جعل ملكهم اماريك الثاني متلهفا لعقد الصلح مع المسلمين، وبدأت بالفعل المفاوضات بينه وبين العادل انتهت إلى عقد معاهدة في رمضان 594هـ/يوليه 1198م، لمدة خمس سنوات وثمانية اشهر، التي جعلت للعادل تملك يافا، وهيأت للفرنج أن يحوزوا جبيل

([1]) عاشور:**الحركة**، جـ2، ص 868.

([2]) عموري لوزنيان:الذي خلف أخاه جاي لوزنيان في حكم جزيرة قبرص عام 591هـ/1194م، وهو المؤسس الحقيقي للدولة اللوزنيانية في قبرص، وقد وصفه ابن الأثير، بأنه كان رجلا عاقلا محب للسلامة والعافية، وهو الذي وحد بين تاجي قبرص وبيت المقدس الاسمية في عكا، وتركيز جميع جهود الفرنجة في الشرق ضد المسلمين، ابن الأثير:**الكامل**، حوادث سنة 593هـ، Ernoul.op.cit. pp. 309- 310.، عاشور:**قبرص**، ص 34، عاشور:**الحركة**، جـ2، ص 873-874، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 174.

([3]) سب هذا الملك إلى مقاطعة شمباينا من فرنسا، انظر مذكرات جوانفيل (القديس لويس التاسع حياته وحملاته على مصر والشام)، ص 25 هامش 2، ومن هذه المقاطعة خرج كثير من ايزابيل وريثة عرش المملكة، وارملة هنري دي شمباينا، وبهذا الزواج اصبح عموري ملكا على بيت المقدس الاسمية باعتباره من الأمراء والفرسان الذين قدموا إلى فلسطين وشاركوا في الحروب الصليبية، الباحث، اما عمورى لوزينان حضر الى بلاد الشام من قبرص، وتزوج زوج الوريثة الشرعية للمملكة الاسمية، انظر عاشور:**قبرص**، ص 307. دويكات: **طبرية**، ص 233

وبيروت، فضلا عن مناصفة مدينة صيدا بين الطرفين [1]، وظلت الأوضاع في اقطاعية حيفـا هادئة مع المسلمين فترة الهدنة، إذ لم تتعرض لأية اعتداءات إسلامية، خاصة بعـد أن غيـرت الحملة الفرنجية الرابعة في عام 600هـ/1204م، وجهتها إلى القسطنطينية بدلا من مصر، كما أن العادل التزم بسياسة الدفاع وتجديد الهدنة، كلما انقضى أجلها وان كانت هذه الفترة لم تخـلُ من حدوث بعض الاشتباكات بين الجانبين[2]، ولعل هذا يفسر عدم ظهور نشاط ملحوظ لإقطاعية حيفا وسيدها في علاقاتها الحربية مع المسلمين، وان أحوال الاقطاعيـة المترديـة واسـوارها المدمرة، بعد استردادها من المسلمين جعلتهم جميعا ينصرفون للاهتمـام بـالنواحي الداخليـة للإقطاعية إلى حد كبير، واستمرارا للرخاء والسلام قام الملك عموري الثاني بتجديد الهدنة مع المسلمين خاصة وقد انتهى اجلها، وفي نفس الوقت شعر الملك العادل بحاجته إلى السلام، بعـد فترة طويلة من الحرب، ولذا عقد الطرفان في محرم 601هـ/سبتمبر 1204م، معاهدة سـلام جديدة لمدة ست سنوات تنازل بموجبها الملك العادل للفرنجة عن الجزء الخاص للمسلمين فـي صيدا واللد والرملة كما تخلى عن الناصرة [3]، علما أن الملك عموري الثاني هو الذي سـعى

([1]) أبو شامة:**الروضتين**،جـ1، ص220-222، ابن الأثير:**الكامل**، جـ 9، ص 243، سالم، دراسـه، ص 127. انظـر رانسيمان،جـ3، ص180. حدد المؤرخ الذهبي مدة المعاهدة بخمس سنوات، بينما ذكر أبو شامة إنها خمس وثمانية اشهر، ولكن ابن واصل وأبا الفداء ذكروا إنها ثلاث سنوات فقط والواقع أن ما ذكره الذهبي وأبو شامة اقرب إلى الصواب، إذ لم يرد ذكر عن تحديد هذه المعاهدة، الا في عام 600هـ/1204 م، اى بعد المدة التي حددتها بالتقريب عـن ذلـك انظـر الذهبي:دول، جـ2، ص103-104، أبو شامة:الروضتين، ص13، ابن:قيسارية ص 158. حيث وصلت الأنباء إلى الشام أن الحملة الفرنجية الرابعة التي أعدها البابا اينوسنت الثالث (595-613 هـ/1198-1204 م) لغزو مصر والشام غزت القسطنطينية عام 601هـ/1204م، وقامت بها منذ ذلك الحين إمبراطور لاتينية، انظر كـلاري:**فـتح**، ص 32، انظـر رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 237. وفشلت الحملة الفرنجية الرابعة في إرسال مساعدة مادية أو عسكرية أو معنوية للفرنج في فلسطين. ابن واصل:**مفرج**،جـ3، ص78، أبو الفداء:**المختصر**، جـ11، ص93.

([2]) عمران:**الحملة**، ص95-103، عبد الوهاب، **قيسارية**

([3]) الناصرة:قرية شمال غرب بيت المقدس حولها الجبال وتقع أيضا جنوب شرق عكا واليها تنسب طائفة النصارى لان المسيح قضى معظم حياته فيها،وفيها المنزل الذي كانت تسكن فيه السيدة مريم، والتي جاء إليها المـلاك جبريـل،واوحى اليها بميلاد المـسيح، انظـر:التطيلـي:الرحلـة، ص 94، القزوينـي:آثـار، ص 184، الدمـشقي:نخبـة، ص 213، رانسيمان:المرجـع نفـسه،جـ3، ص 188، Cf. Ernoul. p.360. Estoire.de. Eracles.11.p. 263. King The Kinghts ,. p. 175.

إليها، وان الملك العادل كان من جانبه حريصا على أن ينهي القتال لعلمه بتفوق الفرنجة عليـه في القوة البحرية.

وأدرك العادل أن دولته ستحقق النصر عن طريق السلام، وذلـك باسـتئناف التجـارة مـع اقطاعيات الفرنجة في الساحل السوري، لذلك قام بهذه التنازلات ويـسر الإجـراءات الأمنيـة للحجاج الذين يقصدون بيت المقدس والناصرة، فهذه الشروط اعتبرها الملك عمـوري الثـاني بالغة الأهمية له وتخدم أهدافه ولكنه مات في 602هـ/في أول أبريل سنة 1205م، وقد ظلت اقطاعية حيفا ضمن مملكة بيت المقدس الاسمية في عكا ما يزيد على عشر سنوات تنعم بالهدوء والسلام وازدهار التجارة والزراعة فيها، وزاد النشاط السياحي والديني علـى جبـل الكرمـل لوجود بعض الآثار الدينية في المنطقة، واستتب الأمن بين الطرفين، فالهدنة ما زالت سـارية المفعول وقائمة، وليس بوسع الفرنج ان يخاطروا بنقضها الا اذا جاءتهم إمدادات مـن الغـرب، على حين ان العادل بلغ من شدة انصرافه عن هذه المملكة الاسمية الى العمل لبسط نفوذه علـى جميع الدولة الأيوبية، ولا داعي لان يجهد نفسه في فتح أمارة لا تثير له شيئا من الضرر، بينما اذا قدم على مهاجمتها فانه يثير بذلك حربا فرنجية جديدة، خاصة وان العادل كان قد شرع فـي بناء حصن قوي، فوق جبل الطور المطل بالدرجة الاولى على حيفا ويهددها تهديدا مباشـرا[1]، ولعل وصول جان دي بريين[2] إلى الاراضي المقدسة، وكانت المعاهدة المعقودة مع المـسلمين

([1]) الطور في اللغة العربية، اسم لكل جبل، ثم أصبحت الكلمة علما لجبال بعينها، وقد حدد ياقوت الحموي سبعة مواضع تحمل هذا الاسم وكان الملك العادل الأيوبي قد امر ابنه المعظم عيسى ببناء حصن فوق جبل الطور المطل على اقطاعية حيفا ومدينة عكا، وانفق في ذلك اموالا عظيمة، انظر:الحموي:**المشترك**، ص 297. ابن واصل:**مفرج**،جـ 3،ص 201، ابن الجوزي:**مرأة**،جـ 8، ق2، ص545. عمران:**الحملة**، ص93-101.

([2]) حنا بريين:هو حاكم بيروت الفرنجي الذى وصف بانه رجلا عاقلا متزنا، وقد اختير وصيا على عرش مملكة بيـت المقدس في الفترة ما بين 1205-1210 م، بعد وفاة الملك عمورى الثاني (عمورى لوزينان) عام 1204م، فعادت المملكة الى صاحبتها ايزابيلا، ثم ابنتها الكبرى ماري من هنري دي شمباينى، وهى دون سن الرشد، فقد تقرر وضع المملكة تحت وصاية يوحنا بريين، وفي عام 1208م بلغت الأمير سن الرشد وتزوجها يوحنا دي بريين والذى كان في سن الستين مـن عمره، ومارى ستة عشر سنة وتم تتويجه ملكا على مملكة بيت المقدس الفرنجية في صور، وانجب منها ابنة وحيدة هـي (بولاند) التي أصبحت بعد وفاة أمها وريثه مملكة بيت المقدس، عاشور:**الحركة**،جـ 3، ص907- 908.

انظر. Estoired Eracles.op. cit.pp. 306- 310

Estoired ' **Eracles**.Loc. cit.p. 317.

على وشك الانتهاء، وأراد العادل ان يجدد المعاهدة غير ان الفرنجة اختلفوا فيما بينهم على ذلك، وأدرك الملك الفرنجي الجديد حاجته الفعلية لتجديدها حتى ينجلي الموقف أمامه، وتتضح إبعـاده فوافق على تجديد الصلح لمدة ست سنوات أخرى تنتهي في 614هـ/1217م. وفي نفس الوقت انفذ الى روما رسائل يطلب من البابا أن تكون الحملة الفرنجية الجديدة مـستعده للقـدوم إلـى فلسطين بعد انقضاء امد الهدنة[1]، ولا شك أن بناء حصن الطور قد ترك أثـره الـسلبي علـى مملكة بيت المقدس الاسمية عامة، وعلى اقطاعية حيفا على امتداد حدودها الشرقية مـن وادي فلاح جنوبا حتى نهر المقطع شمالا بصفة خاصة، فقد احكم المسلمون قبضتهم علـى اقطاعيـة حيفا والمناطق المجاورة لها واصبح بوسعهم شن هجوم على المملكة الفرنجية والاستيلاء علـى حيفا في أي وقت يريدون، لان الدفاعات الفرنجية وتحصينات حيفا في هذه المنطقـة وخاصـة المنطقة الواقعة عند وادي فلاح جنوب شرق الاقطاعية كانت منطقة ضعيفة من الناحية الدفاعية لذا كانت عرضة لأي هجوم من جانب المسلمين والوصل إلى حيفا المدينة دون ايه صـعوبات لأنها أصلا منطقة غابات ومستنقعات، وجاء بناء حصن الطور عاملا زاد من ضـعفها، وذلـك بأحكام المسلمين قبضتهم على طول حدود الاقطاعية الشرقية المتاخمة للحدود الأيوبية في بـلاد الشام، مما جعل الفرنج يتخذون عدة احتياطات للدفاع وتحصين حيفا، وقاموا ببناء واحـدة مـن أقوى قلاعهم في القرن السابع هجري/الثالث عشر الميلادي وهـي قلعـة الحجـاج أو(قلعـة عتليت)[2] جنوب حيفا وفي منطقة الحدود بين اقطاعية حيفا وإقطاعية قيسارية، وقد تعهدوا بهـا إلى جماعة من فرسان الداوية، لما اشتهر به رجالها من شجاعة في القتال مما يـشير إلـى أن الفرنجة اهتموا بحشد قوات مدربة للدفاع عن اقطاعية حيفا، ضد أي هجوم إسلامي، بالإضـافة

([1]) أبو شامة،جـ2، ص 158. رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، ص263، عاشور:**الحركة**،جـ3، ص 910-912

([2]) قلعة عتليت أو قلعة الحجاج:أقيمت عند قلعة قديمة جنوب حيفا تسمى قلعة دوسترى

انظر Beyer-op.cit.pp. 19-20.Cf. Also Muller-**Caastlcs of the Crusades.**pp. 71-72 حيث أراد الفرنجة أن يشيدوا قلعة تماثل تلك التي شيدها المسلمون فوق جبل الطور حتى تستطيع مواجهة أية غارات ضـد اقطاعيـة حيفـا ومملكة القدس الاسمية، وبالإضافة إلى أن هذا الموقع كان يمثل منطقة ضعيفة من الناحية الاستراتيجية بالنسبة للصليبيين، وبالفعل أثبتت هذه القلعة فعاليتها وصمودها أمام هجمات المسلمين.

Ernoul Prawer.op. cit. pp. 294-295. Benventisit.op. cit.pp. 175-176.
p. 294.

إلى ذلك لجأ سيد الاقطاعية إلى أعداد قوة من الفرسان والمشاة اكثر مما كانت تقدمه الاقطاعية في الفترة الاولى قبل معركة حطين 583هـ/1187م.

واستمرت حيفا بتدعيم الهيئات الدينية بتقديم المنح والهبات للأديرة والكنائس والجماعات الدينية المحاربة، رغم انحسار كثير من الأملاك التي استردها المسلمون من الفرنجة بعد معركة حطين. وحاولت الحملة الهنغارية التي وصلت إلى عكا في جمادى الأخر 614هـ/سبتمبر 1217م مهاجمة بيسان، بعد أن عقدت اجتماعا في عكا حضره [1] سيد حيفا، ومعظم أمراء الفرنجة ورجال الدين في الاراضي المقدسة، وقاموا بعدة غارات على المدن والأراضي الاسلامية، وربما شاركت اقطاعية حيفا في هذه الاغارات المتعددة، حيث كان واجبا عليها تقديم الخدمات الاقطاعية وخاصة العسكرية الملزمة بها للمملكة الاسمية لبيت المقدس في عكا، وحاول يوحنا بريين وحاكم عكا وملك بيت المقدس الاسمي ومعه الملك الهنغاري الاستيلاء أو تدمير الحصن الذي أقامه المعظم عيسى فوق جبل الطور، والذي كان يهدد عكا وإقطاعية حيفا بكاملها. ولكن هذه المحاولة التي استمرت من 27 شعبان إلى 6 رمضان 614هـ/29 نوفمبر إلى 7 ديسمبر 1217م، و فشلت فشلا ذريعا وعاد ملك هنغاريا إلى بلاده خائبا.

ويبدو أن صاحب حيفا وعسكره كان مصاحبا للملك بريين في هذه المحاولات لان إقطاعيته من اكثر المتضررين من هذا الحصن. ولم يقتصر دور صاحب حيفا على المشاركة في المعارك التي دارت رحاها بين المسلمين والفرنجة في بلاد الشام، بل أسهم في الحملة الفرنجية الخامسة التي قادها حنا دي بريين بقصد غزو مصر، اعتقادا من اللاتين الغربيين بان الاستيلاء على الديار المصرية سوف يسهل عليهم استعادة البلاد التي فقدوها في الشام وأولها بيت المقدس، فأبحروا بقيادة جان دي بريين من عكا إلى دمياط في حملة فرنجية كبيرة وهي

([1]) عقد هذا المؤتمر في عكا في أكتوبر رجب 614 هـ/1217م، وحضره جيراد دي جان قائد جيش طرابلس وسادة الإقطاعيات المملكة، رانسيمان:الحروب،جـ3، ص 264، انظر

.Eracles pp. 320 -321 **Roger of Wendover**, Flowers. vol. 11. p. 387

الحملة الفرنجية الخامسة[1] في 615هـ/1218م، وعندما علم الملك العادل الأيوبي الذي كـان يقيم بالشام بذلك طلب من ابنه المعظم عيسى أن يقوم بمهاجمة قلاع ومعاقل الفرنجة في بـلاد الشام، لكي يخفف من الضغط الفرنجي على مصر، وهي نفس السياسة التي اتبعها نور الـدين محمود أثناء حملات الملك عموري الأول على مصر، وتنفيذا لهذه السياسة شن المعظم بعـض الهجمات على المدن والمعاقل الفرنجية، وربما تكون حيفا وقلعة الحجاج (قلعـة عتليـت) قـد تعرضت لإحدى هذه الغارات. ثم تتابعت الأحداث على ضفاف النيل بسقوط برج السلسلة (برج دمياط) في 24 جمادى الأول 615هـ/14 أغسطس 1218م[2]، ووفاة الملك العادل الأيوبي عند سماعه هذه الأنباء في دمشق 19 ذي القعدة 615هـ /6 فبراير 1219م، واتجه المعظم عيسى إلى مصر فوصلها في 19 ذي القعدة 615هـ/6 فبراير 1219م، وظل مع أخيه الكامل إلى أن رتب قواته في صد الهجمة الفرنجية على مصر بعد سقوط دمياط في أيدي الفرنج في25 شعبان 616 هـ/5 نوفمبر 1219م، عاد المعظم عيسى إلى الشام فوصـل دمـشق فـي ذي القعـدة 616هـ/يناير 1220م، وسار إلى قيسارية وتم الاستيلاء[3] عليها وقد سبق للملك العادل أن أمر بهدم قلعة الطور ونقل رجالها إلى القدس وقام المعظم عيسى أيضا بتدمير أسوار واسـتحكامات

([1]) أخبرت البابوية الملك بريين في عكا أن الحملة الفرنجية في الطريق إلى عكا فوصلت إلى عكا ومنهـا إلـى دميـاط وحاصرتها عام 1218 م، ويبدوا أن روح المنافسة بين زعماء الحملة كانت أحد أسباب فشل هذه الحملـة، لان المنـدوب البابوي بلاجيوس راى ضرورة الانفراد بالقيادة، وأصر على عدم تلقى الأوامر من حنا دي بريين، فكان مـصير الحملـة الفشل لشدة مقاومة المسلمين انظرRoger of Wendover. op. cit. 11. p. 21

Eracles.op. cit. 11. p.p. 326-328-337.، ابن الأثير:**الكامل**، جـ9، ص150، ابن واصل:**مفرج**،جـ3، ص 348-360، المقريزي:**السلوك**،جـ1،ص198،188-203.

([2]) برج السلسلة:وهو مفتاح مصر ودمياط يقع على نهر النيل مقابل العادلية تمتد منه سلاسل غليظة من الحديد إلى سور دمياط، لتمنع المراكب من الدخول إلى نهر النيل والتوغل داخل البلاد فهي حارسة القاهرة والديار المصرية. انظـر ابـن الاثير:الكامل،جـ9، ص 327، الغـساني:**المـسجد**،جـ2، ص 363. المقريـزي:**الخطـط**،جـ1، ص348-349، العيني:**عقد**، جـ20، ورقه 594، عمران:**اوروبا**، ص 228، عبد الوهاب: **قيسارية**، ص180.

([3]) ابن واصل:**مفرج**،جـ4، ص 217، عبد الوهاب:**قيسارية**،ص 181.

Eracles.339-340 ,Ernoul.p. 297.CF. Also Stevenson.op. cit. p. 305.

القدس، حتى لا يستفيد منها العدو في حال استيلائه عليها(1)، وقد أثار هذا العمل الخوف والذعر في المدينة. واعتقد المسلمون أن الفرنجة قد اقبلوا فهربوا إلى ما وراء نهر الأردن.

وبعد استيلاء الفرنج على دمياط فتح باب المفاوضات بين الطرفين فتقدم الملك الكامل محمد بعرضه السخي لهم والقاضي بتسليم القدس وجميع الفتوح الصلاحية، ما عدا الكرك والشوبك، نظير رحليهم عن دمياط والديار المصرية، ورفضوا ذلك العرض وطلبوا إضافة إليه مبلغ ثلاثمائة آلف دينار عوضا عن تخريب أسوار القدس وذلك لإعادة إعمارها فلم يتم لهم ذلك(2)، وكان الرفض يأتي من بيلاجيوس المندوب البابوي، ويسانده في رأيه بطريرك بيت المقدس والطوائف الدينية الاخرى، ووافق الملك يوحنا بريين ومعه فرسان وسادة فرنج الساحل، اما على الجبهة الفلسطينية، فبعد أن فرغ المعظم عيسى من تدمير وتحرير قيسارية اتجه شمالا إلى اقطاعية حيفا، قاصدا في البداية قلعة منظمة الداوية في عتليت (قلعة الحجاج) وحاصرها ونصب المنجنيقات حولها، واحتل المنطقة الممتدة من وادي فلاح شرقا وحتى ساحل البحر غربا، الواقعة جنوب حيفا واخذ يطلق الحجارة على داخل القلعة، بينما كان مقاومون الداوية يردون على هذه القذائف بالمثل من منجنيقات فوق أسوار القلعة، وكان للقذائف الفرنجية تأثيرها على الجيش الأيوبي، لان الأيوبيين كانوا يعسكرون في منطقة مكشوفة، كما أن إمدادات أخرى آخذت تصل إلى الفرنجة من بيروت وقبرص وحيفا عن طريق البحر. واندفع فرسان الداوية عائدين من دمياط للدفاع عن معاقلهم في الساحل الفلسطيني وحماية قلعتهم المركزية في عتليت، كما قامت اقطاعية حيفا طوال الحصار بتدعيم صمود القلعة بالرجال والمؤن والعتاد، وربما كانت حيفا فارغة من الفرسان والجنود، الذين كانوا مع ملكهم بريين في دمياط، مما سهل على المعظم عيسى تحرير جنوب اقطاعية حيفا، وأدرك المعظم بعد أسبوعين من الحصار عدم

---

(1) النويري:**نهاية**، جـ29، ص 81، ابن واصل:**مفرج**،جـ4، ص 23، المقريزي:**السلوك**، جـ1، ق1، ص204، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 280

(2) ابن الأثير:**الكامل**، جـ9، ص 317- 318. الحنبلي:**شفاء**، ص 306، عاشور:**الحركة**،جـ 2، ص 932، رانسيمان:**الحروب**،جـ 3، ص 296.

King.op.cit. p. 194-Cf. **Also Setton**.op.cit.11. p. 409.

.Eracles.pp.330-331 ,Ernoul.p. 297 Cf. **Also Benvenisit** ,op. cit.pp. 170-176

جدوى البقاء، أمام هذه القلعة الحصينة، فقام بفك الحصار عنها، وعاد إلى دمشق في 616هـ/نوفمبر 1120م، بعد أن أعمل التخريب في المنطقة المحيطة بها[1] وأخذت الأحداث تجرى بسرعة على ضفاف نهر النيل، حيث كان رحيل الملك الفرنجي جان دي بريين ومعه عدد كبير من الفرسان الفرنجية والقبارصة في أواخر مارس سنة 616هـ /1120م، عائدين إلى عكا وقبرص، ولكنه ما لبث أن عاد بريين إلى دمياط مرة ثانية في 14 جمادى الأخر 618هـ/7 يوليو 1221م[2] وذلك لمشاركة الفرنجة في الزحف صوب القاهرة وهنا عرض عليهم الملك الكامل محمد، العرض الأخير في صيف 618هـ/1221م، بإعادة مملكة القدس كما كانت زمن صلاح الدين عدا حصن الشوبك والكرك، كما أعلن الكامل عن استعداده لدفع مبلغ ثلاثمائة آلف دينار كانوا قد طلبوها لإعمار أسوار القدس[3] وأن تعقد هدنة لمدة ثلاثين سنة.غير أن الفرنجة رفضوا ذلك العرض أيضا، وأخيرا تغيرت موازين القوى في ارض المعركة حيث وصلت إمدادات عسكرية كبيرة للأيوبيين وتمكنت القوات الاسلامية من تطويق الفرنجة وعزلهم عن قاعدتهم في دمياط وفرض الأسطول الأيوبي الحصار على الأسطول الفرنجي الذي وقع جميعه بالأسر، فأصبحوا لا يستطيعون العودة إلى دمياط او التقدم صوب القاهرة، وأمام هذا المأزق اضطر المندوب البابوي بلاجيوس طلب الصلح في 6 رجب 618هـ/28 أغسطس 1221م، واستعد لترك دمياط والجلاء مقابل خروجهم من دائرة الموت والعودة الى بلادهم سالمين، فوافق الكامل[4]، وكان من بين بنود المعاهدة التي تم التوصل إليها بين الجانبين أن يتم تبادل عدد من الرهائن فيما بينهما، على رأسهم ملك بيت المقدس الاسمي حنا دي بريين والمندوب البابوي بلاجيوس، وربما كان من بينهم سيد حيفا الذي لم يكن له دور بارز في صد القوات لاسلامية عن حيفا وقلعة عتليت واخيرا تم الجلاء عن دمياط في

---

(1) Cf. Also Stevenson.op. cit. p. 305 أبو شامة:**ذيل الروضتين**، ص 109، رانسيمان: المرجع نفسه،جـ3،ص 293. عاشور:**الحركة**،جـ12،ص 927، عبد الوهاب:**قيسارية**، ص181

(2) Rohicht **Geshichte**.p.p. 746-747. Cf. **Also Setton** ,op. cit. 11. p. 419-420

(3) عاشور:الحركة،جـ2، ص 936. رانسيمان:تاريخ،جـ3،ص 297 0 عبد الوهاب:قيسارية، ص 182 – 183.

(4) ابن ايبك:كنز،جـ7، ص 209، عاشور:الحركة، جـ 2، ص 938، رانسيمان:تاريخ، جـ 3، ص293.

618هـ/7 سبتمبر 1221م[1]، وعاد ملك بيت المقدس والملك حنا دي بريين الى عكا بعـد ان عقد هدنة مع الأيوبيين لمدة ثماني سنوات 618- 626 هـ/1221-1229م بشرط أن يطلـق كل فريق ما عنده من الأسرى وهكذا فشلت الحملة الفرنجية الخامسة بعد أن كان النجاح متوقعاً لها.

4.4 اقطاعية حيفا وحملة الإمبراطور فردريك الثاني، ونهاية حملة الملك لـويس التاسـع (651 - 625هـ/ 1229 - 1253 م):

وبعد فشل الحملة الفرنجية الخامسة التزم الملك حنا دي بريين باتباع سياسة المهادنـة مع المسلمين، ونعمت اقطاعية حيفا بالسلام والأمن طوال فترة الهدنة، وازدهرت المدينة تجاريا واقتصاديا وحضر إليها التجار المسلمون وربما ذهب رجالها إلى المدن الاسلامية وعلى رأسها مدينة بيت المقدس، واخذ ملك عكا يسعى للبحث عن زوج لابنته يولاند (Yoland) حيث تـم الاتفاق على زواجها من الإمبراطور فردريك الثاني بهدف إجباره على الذهاب الى الاراضـي المقدسة، بعد إن وعد بذلك أكثر من مرة ولم يف بوعده[2]، لا شك أن الإمبراطـور فردريـك الثاني وحملته إلى بلاد الشام كان سابقا لزمنه، والحق أن حملة فردريك كانت سـابقة لزمنهـا، واخيرا قرر الإمبراطور الألماني الذهاب إلى الاراضي المقدسة، فأرسل طلائع قواته وحـاول الإمبراطور لأول مرة أن يقود الحملة الفرنجية بوسائل سياسة ويصل بها إلى النصر، وفي 622

([1]) Oliver. Of Padenborn, p. 257. James of Vitry.op. cit. pp.106- 109. Ernoul.p. 442.

([2]) المقريزي:السلوك،جـ1، ص 203-207، ابن الأثير:الكامل، أحداث سنة 614-615هـ. البـردي:النجوم،جـ6، ص241. وقد كان رأي اخويه المعظم عيسى والاشرف قتلهم جميعا ويقـول أبـو شـامة وابـن تغـري. Oliver of Padenborn. ,pp. 257-258,Roger of Wendover. 11. pp. 263-264

Oliver. Historia. Loc.cit. p. 274-276. Roger of Wendover. 11. pp. 265-266 بردي أن الـذي دفـع الكامل على إجابة الفرنجة إلى الصلح هو حرصه على سرعة خلاص دمياط، ولو صبر الكامـل يـومين فقـط لاخـذهم برقابهم، أبو شامة:ذيل ص109،البردي:النجوم،جـ6، ص242،عاشور:الحركة،جـ2، ص 939-940،رانـسيمان،جـ3، ص 296.

وقد أورد اوليفر تقرير لشاهد عيان، انظر:ابو شامة:ذيل، ص 183- 184.، المقريزي:الـسلوك،جـ1، ص 209،ابـن الاثير:الكامل سنة 614هـ. رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، ص 300-302. عاشور:الحركة،جـ2، ص 940

المقريزي:السلوك، جـ11، ص57،البردي:النجوم، جـ 7، ص195، انظر Beyer-Das Gebiet Caesarea.p.p. 41- 56-77. Cf. Also Stevenson.op.cit.p. 339

هـ/نوفمبر1225 م، أمن الإمبراطور لنفسه حق مطالبة سلالته بالقدس فتزوج يولاند ابنة الملك يوحنا برين وحمل فردريك لقب الملك بعد الزواج فورا، ولم تتخذ بارونات الفرنجة في الشرق أي موقف معارض، وبعد ذلك مباشرة فرض عليه البابا جريجـوري التاسـع فـي عـام 624 هـ/29 من سبتمبر 1227، قرار الحرمان[1]ولكن في 625هـ/7 سـبتمبر 1228م، وصـل الامبراطور الى عكا واستقبله الشعب استقبالا حافلا ولقي دعما من الجميع عدا فرسان الداويـة والاسبتارية يؤازرهم رجال الدين، على رأس واحدة من اغرب الحملات الفرنجية والتي عرفت بالحملة الفرنجية السادسة، ولكن بوصول فردريك الى الشام تبدل الموقف بوفاة المعظم، واتفاق أخويه باقتسام بلاده، ولم يعد الكامل محتاجا[2] إلى مساعدة الإمبراطـور الـذي اسـتمر فـي مشروعه وناقش الخطة التى سبق ان اقرها الفرنجة،والخاصة بالتوجه ألي بيت المقـدس، بعـد إتمام تحصين عكا وحيفا والمدن الاخرى الواقعة على الطرق المؤدية الى بيت المقدس، وخاصة حيفا وقيسارية ويافا، ووافق على هذه الخطة، وفي نفس الوقت بدأ اتصالاته مع الملـك الكامـل محمد من أجل تنفيذ ما سبق أن عرضه عليه الكامل، وهو تسليم القدس اليـه، وهنـا تعثـرت المفاوضات بين الجانبين لزوال الأسباب[3]، واما عمليات فردريك العسكرية، فقد كانت عديمـة

([1]) قرار الحرمان من البابا، يسلب المحرم اية علاقة له بالأمور الدنيوية والدينية، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 324، ماير، ص337، ابو الفداء:شفاء، ص310، عاشور:الحركة، جـ2، ص954.حيث بعد الزواج زال وصاية ابيها، ما لبث ان ماتت في 1228م/625هـ، بعد ان أنجبت ولدا من الإمبراطور فردريك الثاني هو كونراد صاحب الحق الشرعي في المملكة الصليبية بالشام، واصبح فردريك الثاني وصيا على كونراد الصغير ابنة من بولاند. سعيد عاشـور:المرجـع نفسه،جـ2، ص959.

([2]) ابن الاثير:الكامل،جـ9، ص376-377، المقريزي:السلوك،جـ1، ص228-229، عاشور:الحركة،جـ2، ص914، رانسيمان، جـ3، ص 330، انظر:ماير، ص337 عن استنجاد الكامل محمد بالإمبراطور، والأسباب التي دفعته إلى ذلك، انظر ابن واصل:مفرج،جـ4،ص206، العمري:مسالك، جـ27، ق2، لوحـه 205، الحمـوي، ص177، الحنبلـي، ص312، انظر

. Wigler.op.cit.p. 135. Roger of Wendover.vol. 11. pp.511-512

. Cf. Also Richard.op.cit. vol.1 p. 234

([3]) طلب الامبراطور استعادة كل فلسطين، ولجأ إلى مظاهرة عسكرية، وحشد كل العساكر بطرفة في يافا، ومـع ذلـك رفض الكامل أن يتعرض للابتزاز فاوقف المفاوضات، واثار ان رجال فردريك نهبوا القرى الاسـلامية ولـم يـستأنف الكامل المفاوضات من جديد الا بعد أن دفع فردريك تعويضا عن الخسارة التى سببها جنوده،

انظر .Estoire d' Eracles. 11..p. 369-372. Cf. Also Ernoul. pp.460-463 ، انظر العينـي، ص 186-188، رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3،ص330، انظر ماير، المرجع نفسه، ص337، عاشور:الحركة،جـ2، ص965،

الأهمية، ولم تستخدم الا لإضفاء التأكيد من حين لاخر على المفاوضات في الوقت الذى كان فيه السلطان يماطل الإمبراطور، كبيرة، فالمسالة بالنسبة لفردريك الثاني كانت تعني مستقبل عرشه في الغرب ومصير المعركة بينه وبين البابوية، لان نجاحه في استرداد بيت المقـدس سـيكون قبل كل شيء انتصارا له على البابوية، ولكن الإمبراطور بالدبلوماسـية والمفاوضـة اسـتطاع الوصول إلى غرضه والحصول على بيت المقدس، بالتوصل الى معاهدة يافا في 22 ربيع الأول 626هـ/18 فبراير 1228م، وهي المعاهدة التي أثارت الجانبين الفرنجي والإسلامي على حـد سواء [1]، وبمقتضى هذه المعاهدة -:

تحصل مملكة بيت المقدس الاسمية في عكا على مدينة القدس ذاتها، وبيت لحم والناصرة، مـع شريط من الأرض (ممر) يخترق اللد وينتهي عند يافا على البحر، ويعود للفرنج غرب إمارة الجليل بما فيها حصن (منتفورت) قلعة أرنون، وتبنين وما تبقى حـول صـيدا مـن المنـاطق الاسلامية تعود إلى الفرنجة على أن يظل بأيدي المسلمين من بيت المقدس منطقة المعبـد بمـا تحتوى عليه من قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

للمسلمين الحق في التردد على بيت المقدس والمسجد الأقصى وحرية العبادة. على ان تبقى بيت المقدس على ما هي عليه من الخراب ولا يجدد سورها، وان يكون سائر قرى القدس للمسلمين، لا حكم فيها للفرنج، وان الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى يكون بأيدي المسلمين، لا يدخله الفرنج الا للزيارة فقط، ويتولاه قوام من المسلمين، ويقيمون فيه شعائر الإسـلام مـن الأذان والصلاة، بينما يقول رانسيمان غير ذلك، من حق فردريك وحدة أن يعيد بنـاء أسـوار المدينة[2].

([1]) للمزيد من التفاصيل عن معاهدة يافا، انظر ابن الاثير:الكامل، جـ ـ1، ص358، ابـن الجـوزي:مراة،جـ ـ8، ق2، ص654 -657، ابو شامة:الذيل، ص154،البردي:المصدر نفـسه، جـ ـ6، ص276، المقريـزي:الـسلوك،جـ1، ق1، ص230-231، عبد الوهـاب:تـاريخ جماعـة، ص201-210، رانـسيمان:المرجـع نفـسه،جـ3، ص331 -337، .Wigler.op.cit.pp. 136-137.   Historia. Diplomatica Friderici. 111. pp.90-91 -93-95-102

([2]) جاء هذا البند فقط عند رانسيمان،جـ3، ص331، اما باقي المراجع والمصادر تقول لا يحق للفرنجة اعمـار أسـوار وتحصينات بيت المقدس بينما يقول رانسيمان:تاريخ، بوسع الإمبراطور فردريك ان يعيد بناء اسوار بيت المقدس، غير ان

آن يكون أجل المعاهدة عشر سنوات بالتقويم الميلادي، أي عشر سنوات وخمسة اشهر بالتاريخ الهجري وهذه المعاهدة لم تطبق على إمارة الأمير بوهمند في أنطاكية وطرابلس[1]، وظلـت المدينة حتى عودتها للمسلمين في 1244م دون تحصينات.

وهكذا أعاد الإمبراطور المقطوع من الكنيسة الأماكن المقدسة إلى العـالم المـسيحي دون أن يوجه ضربة واحدة، على أنه ما من معاهدة لقيت ما لقيته هذه المعاهدة مباشرة من الرفض من المسلمين والفرنجة، وفي15 جمادى أول 692هـ/12 مارس 1229م، دخل فردريـك القـدس واستقبله عند باب المدينة قاضي نابلس، الذي سلمه باسم السلطان مفاتيح المدينة [2]، ثـم ذهـب إلى كنيسة القيامة في 21 جمادى الأول 692هـ/18 مارس 1229م، وأخـذ التـاج الملكـي ووضعه على رأسه وحضر القداس ثم غادر القدس إلى عكا، وهناك أبحر عائدا إلـى اوروبـا في5 من جمادى الاخره 692هـ/أول مايو 1229م، وعلى الرغم مـن أنهـا تعتبـر معاهـدة شخصية بين العالمين الإسلامي والمسيحي، فإنها ظلت سارية المفعول حتى موعد انتهائها عـام 637هـ/1239م[3]، وبعد رحيل فردريك من البلاد، حتى دبر أئمة المـسلمين علـى اخـتلاف نحلهم من قرى نابلس والخليل، وشنوا غارة على بيت المقدس فهرب المسيحيون على اخـتلاف

هذا الحق اختص به فردريك وحده، فضلا عن ذلك، ليس من المؤكد فيما اذا كانت الاتفاقية تسمح بإعـادة أسـوار عكـا وتحصيناتها ام لا، الا انه توجد إشارات تفيد ان الكامل كان ينظر الى الانسحاب من بيت المقدس على انه إجراء مؤقـت، فلذلك لا نعتقد انه وافق على تجديد التحصينات.

(1) المقريزي:السلوك،جـ1، ص230، العيني، ص188-190، عاشور:الحركة، جـ2، ص967، رانسيمان، جـ3، ص 331، وانظر تفصيلات الاتفاق عند ابن الاثير،جـ9، ص378، أبو الفداء،جـ 6، ص40، الحنبلي، ص311، وما بعدها انظر رسالة هرمان سالتزا الى البابا، وبيان فردريك ورسالة البطريرك جيرولد التى اوردت بخصوص الصلح، وقـد ورد نص حرفي لهذه المعاهدة مع تعليق البطريرك.

Historia-Diplomatica Friderici.Secundi.111.pp.86-87.Estoire d' Eracles. 11.p. 374

(2) رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص323، عاشور:الحركة،جـ2، ص 969-1011، ماير:تـاريخ، ص 338-339، براور:عالم، ص86، عمران:الحملة، ص365،.

(3) الحمـوي، ص 190، ومـا بعـدها، عاشـور:اوروبا،جـ ـ1، ص407، عاشـور:الحركـة، جـ ـ2، ص 967، رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، ص339- 341، حواشي رقم 2، ماير:الحروب، ص 340،، البيـشاوي:الممتلكـات، ص 156.

Nickerson.op. cit. p. 546. Cf.also Stevenson.p. 314. King.p. 209.

.Benvenisti. M. op. cit.p.48. Stevenson. p.314. King.p. 209

نحلهم إلى برج داود للاحتماء به، ويبدو أن رينالد سيد حيفا وقواته، كان مسؤولا عن حفظ الأمن في بيت المقدس بعد عودتها للسيطرة الفرنجية طبقا لبنود معاهدة يافا، لذلك نراه في رسالته إلى عكا في عام 626هـ/1229م، يلتمس النجدة من الفرنجة، ولم يجبر المغيرين على الارتداد سوى سيطرة سيد حيفا (رينالد) على الموقف داخل المدينة، وقدوم نائبي الإمبراطور من عكا و صيدا على راس جيش فرنجي كبير، وأنكر الأمراء المسلمون أن لهم صله بهذا الغارة، وبذلك قامت حيفا بتدعيم جيش المملكة بسيطرة سيدها على المدينة المقدسة.

ولعل ذلك يشير إلى الثقة التي أولاها الإمبراطور فردريك ونوابه لسيد اقطاعية حيفا، ومما لا شك فيه أن ما قام به المسلمون من قرى الخليل ونابلس يكشف الرغبة الجامحة في نفوس المسلمين لاستعادة بيت المقدس من الفرنجة(1) ومع ذلك استرد الفرنجة بيت المقدس دون عناء ودون توجيه ضربة واحدة.

وليس من شك في أن اقطاعية حيفا قد أفادت من قدوم الحملة الفرنجية السادسة، إذ أسهم الإمبراطور فردريك بتحصين المدينة وترميم أسوارها وأبراجها التي كانت قد دمرت بفعل الغارات الاسلامية التى كان يقودها المعظم عيسى على جنوب وشرق الاقطاعية عام 617هـ/1220م، بالإضافة إلى ذلك اصبح لحيفا وسيدها مكانه مرموقة في مملكة بيت المقدس الاسمية في عكا، وبقيت الأوضاع هادئة على امتداد الحدود الشرقية لإقطاعية حيفا، واستمرت معاهدة يافا بين الجانبين الإسلامي والفرنجي حتى عام 637هـ/1239م، وقد ترتب على ذلك هدوء العلاقات بين الجانبين إلى حد بعيد في هذه الفترة المضطربة من تاريخ بلاد الشام.

---

(1) Grousset,. vol 3,. 321. Cf.Also Duggan.p. 227.
ابن واصل:مفرج،جـ4، ص245، المقريزي:السلوك، جـ1 ق1، ص 321، البيشاوي:نابلس، ص156، رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3،ص 341، عاشور:اوروبا، جـ1، ص 407.

ومما يؤكد هذه الهدوء أن سيد حيفا (روهارد الثاني) قام بمنح امتياز التجارة الحرة للجنوية في عموم اقطاعية حيفا عام 632هـ/1234م، وبموجب ذلك حصل سيد حيفا على لقب (مواطن جنوي). وفي الفترة الواقعة بين توقيع اتفاقية يافا وحتى عام 642هـ/1244م، اتسمت اقطاعية حيفا بالهدوء مع المسلمين بصفه عامة، ويرجع ذلك إلى أحوال العالمين الفرنجي والإسـلامي في هذه الفترة، وانشغالهما بظروفهما الداخلية، وخاصة بعد أن تمكن الصالح نجم الدين أيـوب من الإمساك بزمام الأمور في القاهرة ليصبح سلطانا على مصر[1] وكانت الخلافات بين افـراد الأسرة الأيوبية لا تزال على أشدها، وهنا تحالف الفرنجة مع الأيوبيين في الشام علـى رأسـهم الناصر إسماعيل صاحب دمشق ضد الصالح نجم الدين الأيوبي في مصر، وقد أعـد الفرنجـة والأيوبيون المتحالفون معهم جيشا لمحاربة الصالح نجم الدين أيوب، وقد عبر هذا الجيش حدود اقطاعية حيفا في 25 ربيع الآخر 642هـ/1 أكتوبر عام 1244م، وقد انضمت قوات الاقطاعية إليه، ووقعت المعركة الفاصلة بين الجانبين شمال غزة عند قرية هربيا وأطلق عليهـا معركـة غزة الثانية أو معركة هربيا، في 9 جمادي الاولى 642هـ/17 أكتوبر 1244م، والتي انتهـت بهزيمة مريرة لقوات التحالف معهم، وقتل عدد كبير من الفرنجة في المعركـة، واسـر نحـو ثمانمائة منهم واقتيدوا إلى القاهرة[2]، وشبه المؤرخون هذه المعركة بحطين الثانية نتيجة الكارثة التي حلت بالفرنجة، وقد شاركت اقطاعية حيفا بقوتها في هذه المعركة.

([1]) ابو الفداء:المختصر،جـ3، ص166، حيث اثناء إقامة الناصر داوود والصالح نجم الدين ايوب في نـابلس، وصـلت الرسل الى نابلس، يستدعون الصالح أيوب الى مصر ليتوجوه سلطانا عليها، ابن واصل:مفرج، جـ 5، ص259-260، المقريزي:السلوك،جـ 1، ق 1، ص293، واشار ابن واصل الى ان الصالح نجم الدين ايوب انفرد بنفسه، وصـعد الـى جبل الطور الواقع جنوب نابلس حيث يوجد وفيه مزار مشهور، واخذ يبتهل الى ا سبحانه وتعالى ان يفرج عنه ممـا هو فيه من الالم والضعف، واثناء ذلك جاء نجاب يدعوه الى الديار المصرية، لكي يتوج سلطانا عليها، ابن واصل:مفرج، جـ5، ص261-264. حيث عزف السلطان العادل الثاني عن كبار رجال دولته، واهتم باللهو واللعب، وقرب إليه جماعه غير صالحه للمشاركة في لهوه وعيشه، مما شجع الأمراء الاشرفية على عزله بعد ان حكم بعد موت ابيه الملك الكامـل محمد عام 1238م/635هـ، واستمر في الحكم حتى 1240م/637 هـ، ابن واصل:مفرج، جـ5، ص262-264-266، ابو الفداء:المختصر،جـ3، ص166، البيشاوي:نابلس، ص182، هامش رقم 153-154، واستدعوه بدلا من اخـاه نجـم الدين أيوب الذي قرر قتله عام 1245 م.عاشور:الأيوبيين، ص122.

([2]) Rohricht. Geschichte. p. 860 Eracles. Estoire d ' Eracles.pp. 427- 429.Cf

بالإضافة إلى ذلك ربما قدمت ما لديها من إمكانات تموينية وعتاد لما كانت تتمتـع بـه الاقطاعية من أهمية ضمن اقطاعيات المملكة الفرنجية الاسمية لخدمة هـذا الجـيش الملكـي الفرنجي، الذي وصفه المؤرخ رانسيمان بأنه اضخم جيش قذف به الشرق الفرنجي في سـاحة القتال منذ معركة حطين [1]، وان كانت المصادر لا تمدنا بالكثير عن تفاصيل هـذه المـساهمة ومداها من اقطاعية حيفا. وتجدر الاشارة إلى أن اقطاعية حيفا وغيرها من المناطق الخاضـعة للسيطرة الفرنجية الفرنجية قد تعرضت لهجوم القوات الخوارزمية عقب معركة هربيا مباشرة[2] ويبدو أن منطقة حيفا وريفها قد تعرضت للدمار والخراب أثناء الاجتياح الخوارزمي، لا سـيما أن هذه المنطقة كانت خالية من الفرسان والجنود الذين اشتركوا في المعركة ضد الصالح نجـم الدين أيوب، وربما قتل بعضهم وأسر البعض الأخر، هذا إلى جانب أن القيـادة الفرنجيـة لـم تستطع التقاط أنفاسها من الهزيمة التي حلت بها، ولم تزودنا المصادر العربية والأجنبيـة بأيـة معلومات عن أوضاع اقطاعية حيفا بعد اجتياح الخوارزمية للمنطقة، ويبدو إنها كانت هادئة لـم تتعرض لأحداث ذات أهمية تذكر، ولكن حيفا عادت للظهور مرة أخرى على مسرح الأحـداث أثناء وجود الملك الفرنسي لويس التاسع في بلاد الشام[3] (4 صفر 648 - 652 هـ /8 مـايو

للمزيد عن احداث هذه المعركـة، ابـن Stevenson.op.cit.p.323. King.p. 234. Grousset. R. vol.3. p.415 الجوزي:مراة،جـ 8، ق2، ص746، ابن واصل:مفرج، جـ5، ص333-338، النـويري:نهايـة، جـ 7، لوحـه 86، العمري:مسالك، جـ27، ق3، لوحه 258، المقريزي:السلوك،ج1، ق2، ص 311-317، وايضا عاشور:الحركـة، ج2، 1045-1047، زياده:حملة لويس، ص 68 وما بعدها، عبد الوهاب:تاريخ جماعة، ص 248-254، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص394، وقد اشارت بعض المصادر العربية الى ان اجتماع القوات الايوبية المتحالفة مع الفرنجة قد تم في مدينة يافا، ابن الجوزي: مراة، جـ8، ق2، ص 746.

([1]) Grousset. vol.3. p. 415. Joinville.pp. 293- 295 رانسيمان، جـ3، ص 397، وقد اطلـق علـى هـذه الموقعة غزة الثانية تميزا لها عن موقعة غزة الاولى سنة 1239م عاشور:الحركة، جـ2، ص 998 – 999.

([2]) رفض السلطان الصالح نجم الدين أيوب السماح للقوات الخوارزمية بدخول الاراضي المصرية، ولذلك قاموا بالتوغـل في البلاد الخاضعة للسيطرة الفرنجية وكذلك المناطق التى كانت خاضعة للسلطة الايوبية.

Matthew Paris. English History IV. pp. 301- 307-311. Joinville. op. cit. pp. 293- 295. Cf. also Stevenson. op. cit. p. 326.، أبو شامة:الروضتين، جـ2، ص 193، ابن واصل:مفـرج، جـ 5، ص 332، ابـن تغري بردي:النجوم، جـ6، ص 322-323، المقريزي:السلوك، جـ1، ق 1، ص 302، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 397.

([3]) جوانفيل:مذكرات جوانفيل، ص 100-103، عاشور:المرجع نفسه، جـ2، ص103، عبد الوهاب:قيسارية، ص 194.

1250- 1254م) إذ تعرضت منطقة حيفا لغارة مدمرة من قبل القوات الاسلامية، إذ أشـارت بعض المصادر الأجنبية إلى تعرض وادي فلاح وقلعة الحجاج لهجمات المسلمين، مـن أجـل الضغط على الملك لويس أثناء المفاوضات الجارية بين مختلف القـوى الـسياسية (المماليـك، الأيوبيين، والفرنجة) في المنطقة[1]، وقد سارع الملك لويس بالحضور إلى منطقة حيفا ليتفقد ما حل بها، مما يشير إلى اهتمامه وعنايته بأحوال الفرنجة والمناطق التي يسيطرون عليها، ومما يؤكد هذا نراه يقوم بتحصين مدينة حيفا وغيرها من المدن مثل قيسارية وصيدا، وعكا، إذ قـام بترميم الأسوار والقلاع وبناء أبراج جديدة لكل مدينة، بمعنى انه اعتنى بتحصينات تلك المـدن، وهناك من يشير إلى انه شارك بنفسه في حفر الخنادق وحمل الأحجار وبناء الأسوار، فـضلا عن تشجيعه لفرسانه وجنوده على إتمام أعمال البناء والترميم بأسرع وقت ممكن[2].

وبعد أن أقام الملك لويس التاسع في بلاد الشام نحو ست سنوات، عمل خلالها على إقامة التحصينات والقلاع اللازمة، وغادر المنطقة في الخامس من ربيع الأول عام 652هـ/الخامس والعشرين من نيسان 1254م، ولكن بعد مغادرته للمنطقة دون وجود شخصية قوية تحل محلـه أدى إلى تردي أوضاع الفرنجة في بلاد الشام، سيما وانه لم يترك سوى قوى رمزية تتآلف من مائة فارس، مما دفع بعض المؤرخين إلى القـول انـه ورط الـشرق اللاتينـي فـي كارثـة

([1]) Eracles. op. cit. pp. 622- 623.
ويبدو أن الشائعات ترددت عند ئذ بان لويس التاسع ينوي أن يقصد مصر مرة أخرى على راس حملة فرنجيـة جديـدة، تغري بردي:النجوم، جـ6، ص 369-370،
حضر الملك لويس التاسع إلى بلاد الشام في 4 صفر 648هـ /8 مايو 1250م، وبعد ستة أيام وصل إلى عكـا، وبعـد مناقشات مثيرة قرر لويس البقاء في الاراضي المقدسة استجابة لرغبة بارونالتها وامرائها، رانـسيمان:المرجـع نفـسه، جـ3، ص 472.

([2]) Matthew Paris.op. cit. vol.3. p. 50. Joinville.op. cit. p. 476 انفرد كل من حتى البـاريس وجوانفيـل بذكر الغارة التي تعرضت لها حيفا دون إعطاء تفاصيل عن نتائجها وما أحداثه في المنطقة من قتل وسلب وتدمير.

Matthew Paris.op. cit. vol.3. p. 50. Joinville.op. cit. p. 476 انفرد كل من حتى الباريس وجوانفيـل بـذكر الغارة التي تعرضت لها حيفا دون إعطاء تفاصيل عن نتائجها وما أحداثه في المنطقة من قتل وسلب وتدمير.

عسكرية[1].مروعة، إذ لم يتم تعويض الخسارة العسكرية التي تعرض لها الصليبيون في مـصر وبلاد الشام[2]، وقد انهارت أوضاع اقطاعية حيفا الصليبية بسبب قلـة مواردهـا مثـل بـاقي الإقطاعيات، وقد اضطر اكثر سادتها إلى ترك أراضيها وقلاعها، بل أن بعضهم لجأ إلى اكثـر من ذلك، وهو التنازل عن الاقطاعية كلها مثلما فعل سيد أرسوف في عـام 659هـ ـ/1261م، عندما قام بتأجير إقطاعيته بأكملها لجماعة الفرسان الاسبتارية[3]وهكذا أخذت أحـوال الفرنجـة تسير من سيىء إلى أسوأ؛ فقد تفجرت الصراعات الداخلية في شوارع عكا عاصـمة المملكـة اللاتينية الاسمية وامتدت إلى القلاع والإقطاعيات، ولم تكن حيفا بمنأى عن تلـك الـصراعات الداخلية، وفي الوقت نفسه كانت دولة المماليك الناشئة في مصر والتي صـمدت أمـام خطـر الأيوبيين في الشام الذين يرفضون الاعتراف بشرعية هذه الدولة، كما استطاعوا الصمود أمـام خطر اشد كاد يعصف بالعالم الإسلامي ويقلعه من جذوره، الا وهو الخطـر المغـولي، حيـث تمكنوا من هزيمته في عين جالوت في 15 رمضان 658هـ/5 أيلـول 1260م، ثـم اسـتدار المماليك بعد ذلك لكي يستعيدوا بقيه المدن والقلاع الصليبية، وكانت حيفا من أوائل الإقطاعيات التي هاجمها المماليك.

4.4 الأوضاع السياسية والعسكرية في حيفـا حتـى نهايـة الحركـة الفرنجيـة ((-1253 1291(م/651 - 690 هـ)

استمرت الخلافات الداخلية بين الفرنجة في عام 654هـ/1256م، وقد تعددت أسـبابها؛ فقد احتدم الصراع بين البنادقة والجنوية حول دير سابا (St Sabas) الواقع عند مدخل المينـاء في عكا وتطور الصراع إلى صدام مباشر بين الجانبين تدخلت فيه أطـراف أخـرى، وانتقـل الصراع من البر إلى البحر، وقام أسطول بندقي بمهاجمة آخر جنوي، وتمكن في جمادى الآخرة

([1]) ماير:المرجع نفسه، ص 381، براور:عالم الفرنجة، ص 89، نسيم:العدوان، ص 299-300، عبد الوهاب:قيـسارية، ص 195.

([2]) Stevenson.w. op. cit. p. 332

رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 553-555، عبد الوهاب:قيسارية، ص 199

([3]) المرجع نفسه،جـ3، ص550-552 رانسيمان،

656هـ /حزيران يونيه 1258م، من إحراز الانتصار على الجنوية ومهاجمة عكا، ولا يخفى أن الجاليات الإيطالية لم يكن يعنيها في المقام الأول سوى مصالحها التجارية، وانتقل الصراع مـن شوارع عكا إلى حيفا وشوارعها، وحاولت الأساطيل المتصارعة السيطرة على مينائها، ثم انتقل إلى بقيه أنحاء المملكة الفرنجية المتهالكة، وهكذا تورطت كافـة القـوى الفرنجيـة فـي تلـك الصراعات الداخلية، واستمر ذلك حتى عام 658هـ /1261م، حيث أزهقت الآلاف من أرواح الفرنجة، كما تعرضت أسوار بعض المدن للتخريب بأيدي هؤلاء الفـرنج، فـازدادت ضـعفا وتدهورا بحيث لم يعد بوسعها مواجهة ذلك الخطر الذي اصبح قاب قوسين أو أدنى منهـا[1] وأدرك المعز ايبك سلطان مصر وجنوب فلسطين المملوكي، ضرورة عقد معاهدة مع الفرنجـة، وذلك بسبب الخطر الذي كانت بوادره قد بدأت تظهر في الأفق، ونقصد به الخطـر المغـولي، وبالفعل تم التوصل إلى معاهدة بين الجانبين عام654 هـ/1256م، تستمر لمدة عشر سنوات[2] واذا استعرضنا موقف الفرنجة من ذلك الصراع الذي جرى على مقربة منهم في عين جـالوت وترك تأثيره عليهم، فقد طلب قطز منهم الإذن له بالعبور وتقديم المؤن اللازمة لـه، واجتمـع بارونات وأمراء المملكة الفرنجية، وسادة إقطاعياتها في عكا لمناقشة هذا الطلب، وربمـا كـان سيد حيفا ضمن هؤلاء السادة والأمراء لما تمثله اقطاعية حيفا من ثقل بين اقطاعيـات المملكـة الفرنجية، ووافق الفرنجة على المساعدات المطلوبة والسماح لقطز بالعبور، و لكن دون الدخول

([1]) للمزيد عن أحوال الفرنجة في تلك الفترة، عاشور:الحركة،جـ2، ص1104-1111، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص550.

Cf.also:Heyed.op. cit. vol. 1 , p,p. 349-350 , Duggan.op. cit. p. 241.

.King.op. cit. p. 258, Stevenson.op.cit.p. 332

([2]) انظر المقريزي:السلوك، جـ1، ق2، ص398، عاشور:الحركة، جـ3، ص1104.

Annals de Terrs. Sainte.p. 446.Estoired d' Eracles. p. 442. Cf.Also Stevenson.op.cit.p. 332.

رانسيمان:المرجع نفسه،جـ3، ص485-486. حيث ان ايبك سلطان مصر المملوكي، أراد أن يتجنـب خـوض حـرب كبيرة، ففي سنة 654هـ/1256م، عقد هدنة مع الفرنج لمدة عشره سنوات، غير انه استبعد يافا من الهدنة لما كان يامله من اتخاذها ميناء لإقليم فلسطين التابع له.

.Matthew Paris.v. p. 522. Rotnelin.p. 630. Annals de Terrs. Sainte.p. 446

في أي تحالف معه[1] وبعد انتصار المماليك في عين جالوت تمكنوا من فرض سيطرتهم علـى بلاد الشام واصبحت مصر والشام تحت سيطرة المماليـك فـي وحـدة ذاق الفرنجـة منهـا الكثير[2]وقد نجح بيبرس[3] في استعادة بعض الإقطاعيات والمعاقل الفرنجية في مملكـة بيـت المقدس الاسمية، مما أدى إلى زيادة تفاقم أوضاع الفرنجة في المنطقة سوءا وخاصة بعـد أن نجح بيبرس بتوحيد كلمة المسلمين. اما عن علاقته بالفرنجة في هذا الوقت فقد عقد معهم معاهدة سنة 659هـ/1260م، والأعوام التالية ومن بنودها، أن يتم تبادل الأسرى بين الجانبين الفرنجي والإسلامي، ولكن لم يتم تبادل الأسرى لرفض منظمة الداوية إحضار ما عندها من أسرى لأنهم أصبحوا عمالاً مهرة لا يمكن الاستغناء عنهم، كما يجب عدم تجديد أسـوار المـدن الفرنجيـة، وعدم التعرض لرسل السلطان المملوكي الذين يعبرون بلاد الفرنج، وكان على الفـرنج تقـديم

([1]) رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص535-536، المقريزي:السلوك، ص 430، وان كلمة المغول تحمل نفـس كلمـة التتار. عباس:رحيل، ص 83-84، فقد ذكرت المصادر العربية ان الفرنجة هم الذين عرضوا على قطز امر التحالف معه ضد المغول، ولكن قطز رفض ذلك، وطلب منهم ان يكونوا على الحياد لا له ولا عليه، بل انه هددهم بمحـاربتهم اذا مـا حاول احد منهم ان يتبعه،.شافع بن علي:حسن المناقب، لوحة 7- 8، المقريزي:الـسلوك، جـ ـ1، ق2، ص430. امـا المصادر الأجنبية فذكرت أن الفرنجة هم الذين رفضوا الدخول في التحالف مع قطز، انظر، رانسيمان:المرجـع نفـسه، جـ3، ص535-536.

([2]) ولكن قطز لم يهنأ طويلا بثمرة النصر الذي احرزه في عين جالوت، ففي أثناء عودته الى مصر، اتفق بيبـرس مـع مجموعة من الامراء على قتله بسبب موقفه من المماليك البحرية، وفي 15ذي القعدة 658هـ/22 اكتوبر 1260م، نجـح هؤلاء الأمراء في قتله، واعتلى بيبرس مكانة السلطة رغم نجاح قطز في إيقاف خطر المغول وتوجيه ضـربة قاصـمة لهم، Stevenson.op.cit. p. 334. Cf. Also Gestes.des. Ghiprois.pp. 165-166

المقريزي:السلوك،جـ2، ص110-113، عاشـور، جـ ـ2، ص 1138-1139، العبـادي:قيـام، ص161-162، براور:عالم، ص91، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص539. حيث تعرضت المماليك البحرية (للاضطهاد منـذ فتـرة طويلة، وقتل زعيمهم اقطاي مما أدى الى تفرق المماليك المعزية، وكان قطز واحد منهم) ويضيف العينـي موقفـه مـن المماليك البحرية بأنه (اجبرهم الى الهرب والتنقل في الفجاج الى غير ذلك من أنواع الهوان التي قاسوها والمشقات التي لابسوها،العيني:عقد، جـ18، مجلد 54، لوحة 432، الذهبي:دولة، جـ ـ2، ص 163، ابـن عبـد الظـاهر:الـروض، ص190-192، المقريزي:السلوك، جـ1، ق2، ص 435.

([3]) الظاهر بيبرس:تركي من مواليد قبجاق 620 هـ/1222م، كان من مماليك نجم الدين الصالح أيوب، بعد مقتل اقطاي هرب إلى بلاد الشام وعاش طريدا شريدا. ثم عاد إلى مصر عندما اقترب المغول من حدودها وساهم مساهمة فعالة فـي معركة عين جالوت، واقدم مع عدد من أمراء الجيش على اغتيال السلطان قطز، وتقلد الحكم مباشرة بعد مصرع السلطان. ابن اياس الحنفي:بدائع، ص 308، المقريزي:السلوك، ص 436، نصر ا :رحيل، ص 89.

المؤن والمساعدات للمماليك عند خروجهم لمواجهة المغول[1]، وواضح انه كان يحاول مهادنتهم في السنوات الاولى من حكمه حتى يفرغ من مشاكله الداخلية ويستتب له الأمر، ويقول المقريزي " ولما خلا بال السلطان من المشاكل الداخلية، وبعد أن استكمل تجهيز الجيش في مصر، خرج السلطان بيبرس سنة 661هـ/1162م، إلى الشام ومنها إلى الطور، ووفد عليه نواب يافا وأرسوف وحيفا وأعلنوا تمسكهم بالعهود والمواثيق بين الطرفين[2] رغم أنهم كانوا يتهربون من تنفيذ العهود التي التزموا بها سابقا، وخاصة إطلاق الأسرى والاعتداء على التجار، ورفض السلطان تجديد الهدنة وأرسل جيشه إلى الناصرة ودمر كنيستها، وكان ذلك إعلان حرب من جانبه ضد الفرنجة، وشن هجوماً مفاجئا على عكا وانسحب بعد أن اخذ أسرى وغنائم، ولم تكن إقطاعية حيفا في هذه الفترة هادئة، حيث تعرضت حدودها الشرقية للغارات الاسلامية، وكذلك الاغارات الجديدة على حدودها الجنوبية.

وفي أوائل سنة 632هـ/1264م، قامت الداوية والاسبتارية بتوحيد قواتهما وقاموا بالإغارة على عسقلان، ورد المسلمون على ذلك في العام نفسه، بان شددوا في هجماتهم على جبل الكرمل واقطاعية حيفا وقراها والحزام الزراعي التابع لها، ثم توالت الهجمات على قلعة عتليت مركز الداوية جنوب حيفا وعلى قيسارية وأرسوف، حتى لم تعد الحياة في المنطقة وخاصة شرق حيفا مأمونة[3]، وطريق قوافل الحجاج مهددة في وادي فلاح، وأخذ الوجود

([1]) ابن عبد الظاهر:الروض، ص118، شافع بن علي:حسن، لوحة 33-34، المقريزي:السلوك، جـ1، ق2، ص463-464.

([2]) المقريزي:السلوك، ص482-486، العبادي:المرجع نفسه، ص 2، عبد الوهاب:المرجع نفسه، ص 220، نصر ا :رحيل، ص 92، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 544، وقد كانوا يتهربون من العهود. Annals de Terrs. Sainte.Loc. cit.p. 400. انظر العيني الذي يشير الى انعقاد هدنة في تلك السنة 662هـ /1263م، بين يوحنا كونت يافا ويوحنا سيد بيروت من جانب، وبين السلطان بيبرس في كتابة السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، ص 216-219، المقريزي، جـ2، ص 194-197، كانت هجمات بيبرس على عكا وحيفا هي نوع من الاستطلاع وكشف قوة العدو بالقوة.

([3]) العيني:السيف، ص 356، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص456، نصر ا :المرجع نفسه، ص 94 Estoired Eracles. 11.pp. 444- 445. Cf. Also de Tyrre Sainte.p. 451.

*اللجون:بلدة فلسطينية في منطقة الجليل بينه وبين طبرية 21 ميلا والى الرملة 40 ميلا، انظر:الحموي:معجم، جـ5، ص13 -14، ابو المحاسن:النجوم، جـ7، ص 222، عبد الوهاب:المرجع نفسه، ص220

الفرنجي في بلاد الشام يتضاءل بالتدريج، وفي مستهل 663هـ/1265م، خـرج بيبـرس مـن مصر على رأس جيش كثيف، وبعد أن تظاهر بالتلهي في حملة صيد فـي الـتلال والغابـات الواقعة شرق أرسوف، ظهر فجأة أمام قيسارية، فسقطت المدينة على الفور فـي 15 جمـادى الاولى 663هـ/5 مارس 1265م[1]، بينما صمدت قلعة المدينة لمدة أسبوع، فـسمح لحاميـة القلعة بالخروج دون ان تتعرض للأذى، وقد امر السلطان بتدمير المدينة والقلعة وتمت تسويتهما بالأرض، وسير في الوقت ذاته جيشا بقيادة الأمراء شمس الدين اقسنقر السلحدار الظـاهري، والامير عز الدين الحموي، والأمير شمس الدين سنقر الألفي الظاهري الى حيفا وجبل الكرمل وظهر الجيش الإسلامي أمام المدينة فجأة، فمن تلقى من السكان التحذير في الوقـت المناسـب هرع إلى السفن الراسية في الميناء ولقي الباقون مصرعهم، وتعرضت المدينة وقلعتها للتدمير وهدم أسوارها، وكادوا أن يستردوها لولا حصانتها حيث كانت تقع في بطن جبل الكرمل ممـا اتاح لها الحماية الطبيعية[2]، ومع ذلك دخل الجيش الإسلامي قلعتها وأحرق أبوابهـا، وجعلهـا خاوية على عروشها كأن لم تكن بالأمس وعاد الأمراء سالمين، وفي تلك الأثناء هاجم بيبـرس بنفسه قلعة عتليت الضخمة التابعة للداوية ورمـز صـمودهم فـي الـساحل الفلـسطيني فـي 663هـ/26 اذار 1265م، ولكنها صمدت أمام الهجوم الإسلامي فأمر السلطان بإحراق القرية الواقعة خارج الاسوار، ثم تخلى عن حصارها فـي جمـادى الاخـره 663هـ/21 مـارس 1265م[3]، و زحف على ارسوف وهي تابعة لفرسان الاسبتارية، وشحنوها بالعساكر والمـؤن

([1]) ابن عبد الظاهر:المصدر نفسه، ص 299، اليونيني:ذيل، جـ2، ص 318، ابن كثير:البدايـة، جـ13، ص 244، المقريزي:المصدر نفسه، ص 527، عباس:رحيل، ص 95-96، رانسيمان الذى يقول اسقطت مدينـة قيـسارية علـى الفور، بينما صمدت القلعة مدة أسبوع، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 546، وقد اختلفت المصادر العربيـة حـول تاريخ سقوط القلعة في يد بيبرس فذكر البعض 5 مارس، واشار البعض الى 17 مارس او 7 مارس ومـن يقـول انهـا سقطت في 18 جمادى الأول 663هـ/8 مـارس 1265م، والاغلـب ان القلعـة سـقطت فـي 15 جمـادى الاول. البيشاوي:الممتلكات، ص 355-356،

([2]) المقريزي:المصدر نفسه، ص 527، ابن عبد الظاهر:المصدر نفسه، ص 234، العيني:المـصدر نفـسه، ص 197، نصر ا :المرجع نفسه، ص 96-97.

([3]) قلعة عتليت:هي قلعة الحجاج تقع جنوب حيفا وكانت ضمن اقطاعية حيفا ثم انعزلت عن حيفا واصبحت تابعة لمنظمة الداوية، واصبح لمقدم الداوية في عتليت نفس حقوق سادة قيسارية وحيفا حيث كانت قلعة الحجاج او قلعة عتليت تقع بـين هاتين الاقطاعتيين، وقد تمتع مقدم الداوية في عتليت بهذه الحقوق لاول مـرة عـام 647-648هـ/1249- 1250م،

وحاصرها السلطان اربعين يوما، ودخلها الجيش الاسلامي بعد انهيار أحد ابراجها في 8 رجب 663هـ/26 أبريل 1265م، وتم اخذ الأسرى إلى الكرك،وبذلك اسـتكمل الـسلطان اسـترداده للمنطقة الممتدة من أرسوف في الجنوب إلى جبل الكرمل وإقطاعية حيفا في الشمال، وأصبحت يافا معزولة عن الامتداد الفرنجي على الساحل وكذلك أصبحت قلعة عتليت محاصرة، وبعـد أن قام بتنظيم الإدارة في المناطق المحررة، تحرك مرة أخرى من أرسوف صوب الشمال وربمـا كان هدفه إنهاء الوجود الفرنجي بالساحل الفلسطيني باسترداد حيفا وعكا، ولكن تبين له أن هيو حاكم قبرص ومملكة بيت المقدس الاسمية قد هبط إلـى عكـا فـي 663هـ /25 أبريـل 1265م،[1]، ومعه قوة من الفرسان والسرجندية فغادر السلطان إلى القاهرة بعد أن خاف عسكرا يكفي لضبط البلاد التي تم استردادها حديثا وذلك في21 شعبان 663هـ/7 يوينو 1265م، لكي يستعد لمرحلة تالية في جهاده ضد الفرنجة، وهناك عدة تساؤلات تدور حول نتائج تدمير مدينـة حيفا وأبراجها وقلاعها، واسترداد قيسارية وأرسوف ومحاصرة قلعة عتليت حيث ترتب علـى ذلك تدمير هذه المدن وأبراجها وتسويتها بالأرض، وفي هذا الهجوم اتبع بيبرس سياسة الأرض المحروقة[2]، فقد دمر المدن الساحلية تدميرا تاما، بحيث لا يستفيد منها الفرنجة، في أية عمليات قادمة، ولا أن يستخدموها في عمليات الإنزال اذا ما نجحوا في استرداد هذه المنـاطق كـرأس جسر لمهاجمة المدن الداخلية الاسلامية، وخاصة بيت المقدس، وقد اتضح لبيبرس مدى الضعف الذي كانت تعاني منه المملكة الفرنجية حيث كان الحصار الإسـلامي يطـول حـول القـلاع وحصون الفرنجة دون أن تصل لهم إمدادات أو نجدات عسكرية من عكا أو قبرص، وقد أصبح

عندما ذكر اسمه بين سادة قيسارية وحيفا كشريك كامل، انظر، المقريزي:السلوك، ص 527، العيني:المصدر نفـسه، ص 197،انظر رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 546، عباس:المرجع نفسه، ص 96-97، عبد الوهـاب:قيـسارية، ص 222-223،

Beyer-Das Gebiet Caesarea.p. 64.

(1) ابن عبد الظاهر:المصدر نفسه، ص 235، الداوداري:زبده، جـ9، لوحة 92، العمري:مسالك، جـ27، ق4، لوحـة 329،، اليونيني:المصدر نفسه، ص 319، شافع بن علي:المصدر نفسه، لوحة 95، المقريزي:الـسلوك، جـ1، ق2، ص528، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 547، نصر ا :المرجع نفسه، ص 97.

Eracles., p. 446. Annals. pp.450-452. Rohrocht.pp. 387 388. Cf. Also Stevenson.p. 338

(2) Gestes. d. Chiprois. p. 161. Estoire de Eracles. Loc. cit. 11. p. 450 رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 547، عبد الوهاب: قيسارية، ص224

بوسع الجيش الإسلامي التحرك بسهولة وأمان في هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة الممتدة مـن شمال يافا حتى جنوب عتليت، وحاول بيبرس استرداد معاقل الداوية في اقطاعية حيفا، ففي سنة 664هـ/1266م، وجه بيبرس الأمير ناصر الدين القيمري إلى عتليت، لكنه لم يحرز نجاحا في ذلك لمناعة هذه القلعة وقوة تحصينها(1)وفي هذا العام هاجم بيبرس الصليبيين على جميع جبهات فلسطين بما فيها حدود اقطاعية حيفا الجنوبية والشرقية وبعد أسابيع قليلة انهار خـط الـدفاع الجديد الذي إقامة الفرنجة على نهر الليطاني وقلعة شقيف (أرنون)(2) فاتجهوا شمالا إلى حيفـا وأغاروا عليها وأسروا اثني عشر نفرا صليبيا ودمروا تحصيناتها التي تم ترميمها، وعاثوا في مزارعها وقراها، وقد تمكن بيبرس من استعادة كل المنطقة من يافا جنوبا حتى قلعة الحجاج في إقطاعية حيفا التي فقدت حزامها الزراعي ومصادرها الاقتصادية وأصبحت مهددة من القـوات الاسلامية من الشرق ومن جنوب الاقطاعية، ويبدو أن أوضاع إقطاعية حيفا بعد أن تعرضـت للتدمير من القوات الاسلامية أكثر من مرة، قد بقيت على حالها بسبب عدم توافر الأموال لإعادة بناء قلاعها وأبراجها وأسوارها، ويبدو أيضا عدم توافر النواحي الأمنية للفرنجـة فـي تلـك المنطقة، وذلك لأن الجيش الإسلامي أحاط ببقايا المملكة الفرنجية من كل اتجاه، وكان من السهل على بيرس أن يهاجم عكا ويدمرها، لان حدود الدولة الاسلامية صارت على أبواب حيفا وعكا، بالإضافة إلى ذلك تم عزل باقي مدن الساحل الفلسطيني عن بعضها البعض(3)، وذلـك بوجـود الجيش الإسلامي على الأراضي الفاصلة بين هذه المدن وأخذ الوجود الفرنجي في الشام يتلاشى شيئا فشيئا، واصبح التنقل المأمون بين إقطاعية حيفا والإقطاعيات الفرنجية الاخرى يـتم عبـر

---

(1) اليونيني:ذيل، جـ2، ص 318، ابـن كثيـر:البدايـة، جـ13، ص244، مـاير:الحـروب، ص 404-406 رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 545-546، Estoired d' Eracles Tome. TT.p. 450، عبـاس:رحيـل، ص 95-96.

(2) ابن عبد الظاهر:المصدر نفسه، ص 295، المقريزي:السلوك، جـ11، ق2، ص 557. أبو المحاسن:النجوم، جـ8، ص195، البيشاوي:نابلس، ص 169، عبد الوهاب:المرجـع نفـسه، ص 226، انظـر .Stevenson. op.cit. p. 39 Stevenson. op. cit. p. 338ماير:المرجع نفسه، ص 406، عبد الوهاب:المرجع نفسه، ص 224

(3) براور:عالم، ص 91، وقد حد بيبرس من مساحة الشريط الساحلي الضيق الذي قامت عليه مملكـة بيـت المقـدس الاسمية، وعزل حيفا وباقي مدن الساحل الفرنجية عن بعضها البعض بواسطة الاراضي التي يسيطر عليهـا المـسلمون. براور:المرجع نفسه، ص 406- 407.

البحر فقط، وبسبب جهود السلطان المملوكي الظاهر بيبرس فـي مهاجمـة المـدن الخاضـعة للسيطرة الفرنجية، أدرك أمراء الفرنجة بالشام انه لا فائدة من الوقوف في وجه الـسلطان ففـي 11 رمضان 670هـ/22 مايو 1272م، تم إبرام الصلح بين السلطان وحكومة بيـت المقـدس الاسمية في عكا ولمدة عشر سنوات وعشر شهور وعشر ساعات، تحتفظ فيها المملكة الفرنجية بممتلكاتها الحالية، وان يكون لها الحق في استخدام طريق الحجاج إلى الناصرة، دون أن تلقـى معارضة أو خطراً(1)، واستمر السلطان في جهوده الرامية إلى استرداد الاراضي المقدسة من الفرنجة، وتكللت جهوده باستعادة العديد من المدن والقلاع وتدميرها، وقد استمر في جهاده حتى وافته المنية في دمشق 27 محرم سنة 676هـ/30 يونيه حزيران 1277م(2)وتولى المنـصور سيف الدين قلاوون كرسي السلطنة في3 شعبان 678 هـ/9 ديسمبر في 1279م(3)، لكي تبـدأ صفحة جديدة في العلاقات بين الجانبين الفرنجي و الإسلامي، وقام روجر حاكم حيفا بعقد هدنة جديدة مع السلطان قلاوون في 3 نوفمبر 1282م/5 ربيع اول 682هـ(4)، وهي تعتبر من أدق

---

(1) المقريزي:السلوك، جـ1، ق2، ص601، العيني:المصدر نفسه، ص 92، ص 92، تغري بردي:النجـوم، جـ7، ص157، ابن كثير:المصدر نفسه، جـ13، ص262.

Estoired d' Eracles.p. 461. Cf.Also Stevenson. op.cit.pp. 344-345.

رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 579، وخرج اهالى عكا لمشاهدة حفل جيش السلطان أمام عكا وهم يلعبون بالرماح.

(2) ابو الفداء:المختصر، ص 10، ابن عبد الظاهر:المصدر نفسه، ص473، ابن عبـد الظـاهر:تـشريف، ص 262، الدوادار:زبدة، جـ9، ورقة 127، أبو الفضائل:النهج، جـ2، ص 227، 382، 383

(3) استقر الملك السعيد بركة مكان والده في حكم مصر والشام أوائل ربيع الأول 676هـ/فـي أوائـل شـهر أغـسطس 1277م، انظر ابو الفداء:المختصر، جـ4، ص11، العيني:عقد، جـ20، ق4 لوحة 4-6، ثم نفر منـه كبـار الأمـراء بسبب قيامه بتقديم صغار الأمراء عليهم، المقريزي:السلوك، جـ1، ق2، ص 604، ابو الفداء:المصدر نفـسه، جـ4، ص11، وبعد عوده الملك السعيد الى القاهرة، سارت العساكر في أثره ووصل العسكر الخارجون عليه وحاصروه في قلعة الجبل، وانضم اتباعه الى المحاصرين للسلطان ولما رأى ذلك أجابهم بالتنازل عن السلطة وأعطوه الكرك، ابو الفـداء، جـ4، ص11 -12.اما عن تولى قلاوون السلطة، انظر ابن عبد الظاهر:المصدر نفسه، ص54، أبو الفداء:المصدر نفسه، جـ4، ص12

(4) Estoired d' Eracles.11.pp. 461-462. Annals de Terrs. Sainte.op.cit. p. 455.

ابن عبد الظاهر:المصدر نفسه، ص 35، ابن الفرات:تاريخ ابن الفرات، جـ7، ص 263، تغري بردي: المصدر نفـسه، جـ7، ص300،

وقعت الهدنة بين المسلمين والفرنجة في ربيع الآخر سنة 682هـ/3 نوفمبر 1282م، لمده عشر سـنوات وعـشر أيـام وعشر ساعات، وقد اعترف الفرنجة بالسيطرة الاسلامية على جميع الـبلاد التـى تخـضع لحكـم الـسلطان قـلاوون،

المعاهدات التي عقدت بين الجانبين، وذلك لما حوته من بنود تجارية وقانونية، وقائمة بالأمـاكن التابعة لكل جانب، وقد اقتصرت على مملكة بيت المقدس الاسمية في عكا وأعادت هذه الهدنـة بعض الثقة في اقطاعية حيفا وعكا وباقي الإقطاعيات الفرنجية، إذ يحق لسكان بـلاد الـسلطان قلاوون وللفرنجة في الساحل بالسفر عن طريق البر والبحر بأمان في أراضى الجانبين، وحرية المرور للذين يأتون لزيارة الأماكن المقدسة في بيت المقدس، وبيت لحم والناصـرة [1]، وقـد جرى استئناف التجارة من جديد بين الطرفين، ففي صيف 1290م أخذ تجار دمـشق يعيـدون إرسال قوافلهم إلى الساحل في عكا وحيفا وغيرها من المدن الفرنجية، وقد توافر المحصول في تلك السنة في إقليم الجليل، وتزاحم الفلاحون المسلمون بمنتوجاتهم على أسواق اقطاعيـة حيفـا وعكا وتعهد كل من الطرفين أيضا نشر الآمان والطمأنينة في المنطقـة بـصفة عامـة وأن لا تتعرض بلاد أحد الجانبين لغارات الجانب الآخر[2]، وقد ذكرت المعاهدة سبعة أسـماء تابعـة لمدينة حيفا تكون تحت نفوذ الفرنجة، وكذلك ثلاثة عشر اسما لمواضع تابعة ايضا لحيفـا فـي جبل الكرمل وستة عشر اسما لمواضع تابعة لعتليت التي كانت جزءا من حيفـا ثـم أعطيـت للداوية في قلعة عتليت قلعة الحجاج[3]، على أي حال ظل الطرفان محافظين على بنـود هـذه

المقريزي:المصدر نفسه:جـ1، ق2، ص102، عبد الظاهر:المصدر نفسه، ص 35-40، ابن الفرات:المـصدر نفـسه، جـ7، ص 263-264، العيني:المصدر نفسه، ص 247.

([1]) ابن عبد الظاهر:المـصدر نفـسه، ص 39-40، ابـن الفـرات:المـصدر نفـسه، جـ7، ص 161-163-164، المقريزي:السلوك، جـ1، ق2، ص 713، وكان يشاهد التجار المسلمون في أسواق حيفا وقلعـة عتليـت وغيرهـا مـن الأماكن الخاضعة للفرنجة وخاصة أسواق عكا، كما يشاهد التجار الفرنجة في القدس ونابلس وغـزة، وجـرى اسـتئناف التجارة من جديد، ففي 683 هـ /1290م، اخذ تجار دمشق يعيدون إرسال قوافلهم الى الساحل في عكا وحيفا وصـور وغيرها، البيشاوي:الممتلكات، ص 357 واستمرت الأحوال التجارية بين الطرفين طبيعية.

([2]) المقريزي:السلطان، جـ2، ق1، ص 171، ابن الفرات:تاريخ، جـ14، لوحة 95، رانسيمان:المرجع نفـسه،جـ3، ص 691، زيد:صيدا، ص 256.

([3]) توجد ثلاث نسخ لهذه المعاهدة احتفظت بها المصادر العربية منها نسخه ابن عبد الظاهر:في تشريف الأيام والعصور، ونسخه ابن الفرات:في تاريخ الدول والملوك، ونسخه القلقشندي::في صبح الاعشى، وقـد ورد فـي نـسخه ابـن عبـد الظاهر:ونص نسخه القلقشندي فقد اتفقا في عدد توابع حيفا، كذلك ذكر ابن عبد الظاهر ثلاثة عشر اسما من توابع الكرمل التابعة لحيفا ايضا، اما القلقشندي فذكر اثني عشر اسما توابع حيفا في الكرمل وليس ثلاثة عشر، وليس من السهل حل هذا التناقض، ابن عبد الظاهر:المصدر نفسه، ص 34-42، القلقشندي:صبحى، جـ14، ص 51-63، المقريزي:الـسلوك، جـ1، ق3، ملحق 8، ص 985، وما بعدها ابن الفرات:تاريخ، جـ7، ص 262، وما بعدها، انظر

D. Bareg. Anew Source.Concerning the Ultimate Borders of Tumler.op.cit.p. 51

الهدنة، واستقرت حيفا لفترة ثماني سنوات (682هـ /1282م) حتى(689هـ/1290م) ونعمت بالهدوء التام والرخاء وازدهرت الحالة الاقتصادية والتجارية فيها. كما توافدت قوافل الحجـاج المسيحيين لزيارة بيت المقدس[1] والأماكن المقدسة على جبل الكرمل ولم يحدث في حيفا فـي هذه الفترة أية مناوشات حربية أو هجمات إسلامية على حدودها الشرقية أو الجنوبية المتاخمـة للمماليك في بلاد الشام، ولم يحدث من سكان حيفا الفرنجة اية محاولات لإفساد وتبديـد الهدنـة رغم أنها كانت تعج بالتجار والزوار المسلمين من أنحاء مناطق السلطان، وعلى الـرغم مـن المعاهدة المعقودة بين قلاوون وابنه الأشرف خليل من جهة والفرنجة من جهة أخرى، فقد أرسل حكام عكا إلى (البابا نيقولا الرابع في روما)، يطلبون منه مساعدة الأراضي المقدسة وإنقاذهـا من السقوط الذي كان قاب قوسين أو أدنى، وبالفعل وافق البابا على إرسال المساعدات وأعطى لبطريرك بيت المقدس الاسمي يوحنا جرايلي حرية اختيار قادة الجيش ومده بالأموال اللازمـة لإطلاق سراح الأسرى الفرنجة عند المسلمين وترميم تحـصينات عكـا، وفـي 24 شـعبان 688هـ/1289م، وصلت إلى عكا حملة عسكرية جديدة غالبيتها من المدن الإيطاليـة، ولكـن معظم الرجال المشاركين فيها لم يكونوا ذوي خبرة في القتال، وكانوا مـن الرعـاع[2]، فقـد خرجوا يهاجمون المسلمين ويقتلونهم في عكا وحيفا وخارجهما بعد أن سرت شائعة باغتصاب أحد التجار المسلمين لسيدة فرنجية، وثارت ثائرة السلطان قلاوون عند سماعه لهـذه الأنبـاء، وأصر على ضرورة تسليم الذين ارتكبوا الجرائم بحق المسلمين، ولكن الفرنجة رفضوا ذلك، واكتفوا بتقديم الاعتذار باعتبار أنهم غرباء وليسوا مسئولين عما اقترفوه واخذ قـلاوون يـستعد سرا لمهاجمة عكا ومدن الساحل وأرسل إلى دمشق لإعداد آلات الحصار، وفي أثناء هذه الفترة وصلت سفارة من الفرنجة إلى القاهرة تحاول تقديم الاعتذار للسلطان المملوكي 20 ذي الحجة

([1]) وصل في هذه الاونه الأخيرة محاربون جدد يمثلون شراذم من رعـاع الفلاحـين والمتعطلـين فاثـاروا الفوضـى والاضطرابات في عكا وباقي المدن الساحلية الفرنجية منها حيفا وقلعة عتليـت، واخـذو يهـاجمون التجـار المـسلمين ويذبحونهم، ماير:تاريخ، ص 408. رانسيمان، جـ3، ص 691-692-693.

([2]) عمران:الحملة، ص 328-329، Richard, The Latin Kingdom.p. 423.، وصل الفرنجة الايطاليون الى عكا في 689هـ/أغسطس 1290م، ابان هذا الرخاء الذي عم بلاد الشام والمدن الفرنجية فاثاروا الارتباك للسلطان منـذ أن وطأت أقدامهم الساحل، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 691-692.

عام 678هـ/23 ابريل 1290م، ولكن السفارة انتهت بوضع أفرادها في السجن، وأصر قلاوون على الانتقام لما حدث في عكا[1] وبينما كان السلطان قلاوون يستعد لحصار عكا وافته المنية في 7 ذي القعدة 689هـ/11نوفمبر 1290م، وتولى ابنه الأشرف خليل بن قلاوون السلطة في اليوم نفسه، واعتقد الفرنجة أن وفاة قلاوون ستعوق محاولة المسلمين استرداد عكا، ولكن الأشرف خليل بن قلاوون نجح في التغلب على جميع مشاكله وبدأ يحشد القوات وإعداد آلات الحصار وتوافدت الجيوش الاسلامية ومعها المجانيق إلى عكا[2] في 3 ربيع الآخر 690 هـ/5 أبريل 1291م، بدأ الأشرف خليل حصار عكا وكانت المدينة محاطة بسور مزدوج من ثلاث جهات، ورفض الأشرف خليل الصلح مع الفرنجة أثناء حصاره لعكا، وتم اقتحام الأسوار ودخول شوارع المدينة وأحيائها، وسارع الفرنجة بالانسحاب إلى الشاطئ للحاق بالسفن الراسية هناك، مما أدى إلى غرق الكثير منهم[3]، ولم تكد عكا تصبح في قبضة السلطان حتى شرع في تدميرها، وفقا لخطة موضوعة، أما إقطاعية حيفا فعلى الرغم من قيام السلطان المنصور قلاوون بعقد هدنة مع حكومة عكا في5 ربيع أول 682هـ/3 نوفمبر 1283م، الا أن الهدنة لم تفد اقطاعية حيفا، إذ لم يهتم الفرنجة وسيد حيفا لم يهتموا بإعادة إعمار وترميم أسوارها

([1]) ابن ايبك:كنز، جـ8، ص 300-301، الذهبي:دول، جـ2، ص 188، المقريزي:السلوك، جـ1، ق3، ص 753-762، عمران:المرجع نفسه، ص 331، واستبد الرعب بباورنات المدينة وفرسان الطوائف فضلا عن القاء القبض على بعض المجرميين المعروفين، انظر رانسيمان المرجع نفسه، جـ3، ص 692، وعند اصرار السلطان على ان لا بد من تسليم المجرمين الى السلطان، حتى ينزل بهم العقاب، فدعا كند سطبل المملكة الاسمية اماريك (عمورى) الى عقد مجلس الذى قرر لا يجوز ارسال مسيحيين ليلقوا مصرعهم على ايدي الكفار، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 692
.Gestes des Ghiprois p. 238- 240-241. Cf.Also Bustron.p. 118

([2]) ابن ايبك:كنز، جـ8، ص300-301، مفضل بن أبى الفضائل:النهج، ص 532-533، العيني:المصدر نفسه، جـ23، ورقة 33-35، عاشور:الحركة، جـ2، ص 1179-1180، عاشور:حملة، ص 331،
Riley Smith. 195 -196. Richard The Latin Kingdom. p. 424 ،

([3]) ابن تغري بردي:المصدر نفسه، جـ8، ص10، الذهبي:المصدر نفسه، جـ2، ص191، المقريزي:المصدر نفسه، جـ1، ق3، ص 765، أبو الفداء:المصدر نفسه، جـ2، ص 193 Cf.also:Richard ,The Latin Kingdom.p. 426. تم تجنيد كل من هو في عكا، وكل من هو قادر على حمل السلاح من سكان عكا، ليقوم بدور الدفاع عن المدينة ومع ذلك فان الأعداد كانت قليلة، وقامت الداوية بهجوم معاكس ولكنهم ارتدوا على أعقابهم إلى داخل المدينة بعد أن تكبدوا خسائر فادحة اما أسيرا أو قتيلا أو هاربا، رانسيمان:المرجع نفسه، جـ3، ص 696-770
Gestes des Ghiprois. pp. 254-255. Cf. Also Rohricht. Geschichte.pp. 1021-1023

وأبراجها بعد أن قام السلطان بيبرس بتدميرها في هجماته على المملكة الفرنجية الاسـمية فـي عكا في 4 جمادى الآخرة 691هـ/15 إبريل 1263م، وتسويتها بالأرض، وربما كـان هـذا لقناعتهم بعدم جدوى إقامة التحصينات وترميم حيفـا مـن جديـد، لأن المـسلمين أصـبحوا يحاصرون الإقطاعية تماما من الشرق والجنوب، فضلا عن عدم تـوافر الإمكانيـات الماديـة اللازمة لإعادة إعمار المدينة واصلاح التحصينات العسكرية في اقطاعية حيفا، لذلك بعد أن دمر الأشرف خليل عكا تماما، اتجه إلى جبل الكرمل[1] وحيفا وتـم اسـتردادهما بـسهوله وبـدون مقاومة، وقام بتدمير ما هو ظاهر من حصونها وأسوارها، كذلك قام بتدمير القـرى والبلـدات التابعة لحيفا وقلعة الداوية (قلعة الحجاج) في عتليت في 690 هـ/31 يوليه 1291م، وأشـعل الجيش الإسلامي الحريق في الأديرة الواقعة على جبل الكرمل وقتلوا رهبانها، وجلـت حاميـة الداوية عن قلعة عتليت في 690 هـ/14 أغسطس 1291 م، وفي منطقة حيفا سادت الوحـشة والخراب، والتمس الفلاحون الحيفاويون وخاصة الشرقيون ملاذا لهم في الجبال الواقعة شـرق الاقطاعية، وهكذا بعد سقوط عكا وحيفا وجبل الكرمل تهاوت بقية القلاع والحـصون والمـدن الفرنجية في يد السلطان الاشرف خليل بن قلاوون ؛ فقد سقطت صور وصيدا وبيروت، وخلت سواحل الشام من الفرنج بعد أن اغتصبوها قرنين من الزمان، وبذلك خرج الفرنج نهائيـا مـن الساحل الشامي، وساحل الاراضي المقدسة، ومن المرجح أن حيفا وقراها وبعد زوال الاستيطان الفرنجي لها أصبحت مزدحمة بالسكان المسلمين من مختلف المناطق الاسلامية. وعـاد أحفـاد الحيفاويين الذين هجروها في عام 493 هـ/1100م، عند احتلالها من قبـل الأميـر الفرنجـي تانكرد.

تقدم السلطان بعدئذ جنوبا واخذ حيفا دون أن يصادف مقاومة في 690هـ/31 يوليـه 1291م، واشعل الجيش الإسلامي الحريق في الأديرة الواقعة على جبل الكرمل، وقتلوا رهبانها وظلـت

([1]) المقريزي:**السلوك**، جـ1، ق3، ص 763-765، وعن سقوط هذه المعاقـل، (حيفـا وجبـل الكرمـل وعتليـت)، الداردار:المصدر نفسه، جـ9، لوحة 289، ابن ايبك:المـصدر نفـسه، جـ8، ق3، لوحـة 271-273، انظـر ابـن بهادر:**فتوح**، ورقة 365، العيني:المصدر نفسه،جـ21، لوحـة 2، ص 21، ابـن الـشحنة:**روض**، لوحـة 162، ابـن الفرات:المصدر نفسه، جـ8، ص 100-113.

جيوش المسلمين تحرس بلاد الساحل الفلسطيني والشامي من أقصاه إلى أقصاه بما فيها مكـان مدينة حيفا وقراها بعد أن تم تسويتها بالأرض، وتحرص على أن تدمر كل ما تعتبره ذا قيمـة للفرنج، اذا حاولوا مرة أخرى النزول إلى البر الشامي والأراضي المقدسة[1].

(1) رانسيمان: المرجع نفسه، جـ3، ص 713. انظر أيضا ..

.Cf. also: **Richard.vol**.II,pp.424-428. Stevenson , pp. 352-355

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والقضائية في حيفا

1.5 الحياة الاجتماعية

2.5 الحياة الاقتصادية

3.5 المنشآت العمرانية

4.5 النظام القضائي

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والقضائية في حيفا

1.5 الحياة الاجتماعية:

كانت تعيش على أرض حيفا فئات مختلفة فـي العرق،والدين،واللغـة، فكـان مـنهم العربي، والتركي، والأرمني. وعندما سيطر الفرنجة على حيفا وغيرها من المدن الفلـسطينية، استقرت عناصر مختلفة من الفرنجة في المنطقـة منهـا:الفرنـسيون، والانجليـز، والالمـان، والايطاليون، وغيرهم من سكان الغرب الاوروبي الذين حضروا مع الحملة الاولى، كما أنهـم كانوا ينتمون إلى مدن ومقاطعات مختلفة في اوروبا. وقد شكل العرب في إقطاعية حيفا أغلبيـة السكان[1]، وكان هؤلاء العرب من المسلمين الذين يعتنقون المذهب السني أو الـشيعي، الـذي انتشر في حيفا وباقي المدن الفلسطينية أثناء الحكم الفاطمي للمنطقة[2].

وكان المسيحيون الشرقيون في حيفا وقراها يعيشون جنبا الى جنب مع المسلمين، وقـد أشار عدد من الرحالة الأوروبيين إلى وجودهم في حيفا وبـاقي المـدن الـساحلية، وأعطـوا انطباعاتهم عن هذه الطائفة التي كان يلجا أفرادهـا إلـى إطالـة لحـاهم بعكـس المـسيحيين الكاثوليك[3]، هذا الى جانب طائفة السريان[4]، الذين أشار عدد كبير من الرحالة إلى وجودهم في حيفا[1].

([1]) خسرو:**سفر نامة**، ص188، انظر ايضا:عبد الوهاب:**قيسارية**، ص 245 .
Felix Fabri. The Book of Wanderings, p. 385

([2]) البشاري:**احسن التقاسيم**، ص179- 180، خسرو:المصدر نفسه، ص180.
Cf.also:Prawer The Latin.p. 285

([3]) بور شارد:**وصف**، ص 173.
Albert d' Aix.op.cit.p. 514. Cf. Also:Anonymous. Pilgrims.2. p. 28 وقد ذكرهم المقدسي البشاري وأكد وجودهم في فلسطين وخاصة المدن الساحلية ومنها حيفا، احسن التقاسيم.

([4]) السريان:طائفة من المسيحيين لا يتبعون مذاهب اللاتين أو الأرثوذكس يتواجدون فيه وفي كل مكان، يكونون تـابعين لشعوب أخرى، وهم يشبهون الأرثوذكس في جميع الأمور الدينية والدنيوية، ويشبهون المسلمين باللباس، ويعملون عـادة

وعاش اليهود في إقطاعية حيفا ويبدو أن أعدادهم كانت قليلة بصفة عامة، حيث وكـانوا يعملون بحرفة الصباغة وصناعة الزجاج الجيد للتصدير، ويعملون بالتجارة وأعمال المـوانئ، وأحيانا بالزراعة. وقد أبدى اليهود رغبة شديدة في الدفاع عن أنفسهم ومقاومة الغـزاة. وقـام المسلمون اثناء حصار الأمير تانكرد لحيفا عام 493هـ/ 1100م بتزويدهم بالأسلحة والمؤن وكل ما يحتاجونه من معدات لصد المهاجمين، وكان الفرنجـة لا يرحبـون بـسكنى اليهـود بـين ظهرانيهم، في حين كانت أوضاعهم على العكس من ذلك تحت حكم المسلمين، حيث ظهر منهم كثير من الأغنياء والعلماء،وكان ترتيبهم في السلم الطبقي الاجتماعي يأتي بعد المسلمين،و كانت أوضاع اليهود متدهورة في ظل الحكم الفرنجي الصليبي، وكانت لديهم قـوانين خاصـة، بهـم واجبروا على دفع ضريبة الرأس مثل المسلمين وهي تدفع عن كل يهـودي أو مـسلم تعـدى الخامسة عشرة من عمره وهذا يتنافى مع ما تذهب إليه دراسات المؤرخين الحـديثين، الـذين أشاروا إلى أن اليهود يشكلون الاغلبية في فلسطين، وخاصة في المدن الساحلية وعلى رأسـها مدينة حيفا(2).

ويرى الباحث ضرورة التنبيه من تلك الدراسات وما يراد من ورائها، حيث تسعى الحركـة الصهيونية جاهدة إلى غرس تلك المفاهيم الباطلة في أذهان أجيال العـصر، علـى أنهـا مـن المسلمات، فهم يريدون أن يثبتوا الاستمرارية التاريخية وجودهم اليهودي فـي فلـسطين، وإلا دعاء بأن تواجدهم كان كبيرا حتى اذا ما استقر ذلك الوهم،إلى تضخيم إنجازاتهم وفـي الوقـت

بالزراعة،و لا يتقنون القتال، باستثناء بعضهم الذين يستعملون الاقواس والسهام، ومن صفاتهم اللصوصية والجاسوسـية، ولا يقدمون صدقات. انظر:الفيتري:**تاريخ**، ص 108 - 111، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 368- 369.

([1]) بورشارد:المصدر نفسه، ص 173، .Conder. op. cit. p. 166

([2]) بنيامين التطيلي:**الرحلة**، ص 197، بتاحيا الراسبوتي رحلته الى الاراضي المقدسة، ص19، فهما الوحيدان اللـذان أشارا إلى وجود اليهود في حيفا وشمال فلسطين، وبأعداد قليلة. انظر:البشاري:المصدر نفسه، ص 179، وكان اليهود في حيفا يعملون بالصرافة، انظر التطيلي:المصدر نفسه، ص98 - 99، لى مرثن، **تاريخ العالم**، ج5، ص 188 Albert d' Aix.op.cit.pp. 519-523. Cf. Prawer. J. The History of the Jews.PP. 220 - 225. ذكر البرت دكس بانـه تم توجيه الاشارة الى جنود الفرنجة أثناء حصار حيفا 493هـ/1100م، بان تكون الإغارة حول المدينة حتى يتم لهم اجتياح اليهود الذين كانوا يدافعون عنها، .Albert d Aix. op. cit. p. 520

نفسه تهميش ما انجزه المسلمون من طرد الغزاة الفرنجة، ولإقناع الأجيال القادمة بأن لهم حقا تاريخيا في فلسطين.

هذا فيما يتعلق بالبنية السكانية في حيفا قبيل استيلاء الفرنجة عليها. ونلاحظ أن البناء الاجتماعي لم يكن متماسكا بالدرجة الكافية لتعدد الطوائف والملل الدينية والعرقية مما أدى في النهاية إلى عدم الاستقرار السياسي في حيفا وقراها، الأمر الذي سهل على الفرنجة مهمتهم في بسط سيطرتهم على حيفا وبقية المدن الفلسطينية.

استقرالفرنجي في حيفا بعد سيطرتهم عليها، وقد أخذ هؤلاء يأتون تباعا إلى حيفا خلال فترة الصراع الإسلامي الفرنجى، واستقروا فيها بأعداد كبيرة[1]، وينتمي هؤلاء إلى شعوب عديدة فمنهم الألمان، والبرتغال، والفرنسيون، والإيطاليون، والذين برز منهم ثلاث جاليات كبيرة في حيفا هم الجنوية، والبنادقة، والبيازنة، وكانت أعدادهم في بداية الاحتلال قليلة، ثم أخذت فيما بعد بالتدفق إلى إقطاعية حيفا وباقي المدن الفلسطينية، حتى امتلأت بهم الأراضي المقدسة[2] ثم اخذوا بالتزايد والانتشار فيما بعد، ورغم الاختلاف والتباين العرقي بين هؤلاء الغزاة المستوطنين، إلا أنهم ما لبثوا أن انسجموا وانصهروا مع بعضهم البعض، ومما يؤكد هذا قول المؤرخ الفرنجي المعاصر فوشية الشارتري (نحن الذين كنا غربيين أصبحنا الآن شرقيين، والذي كان رومانيا أو فرنسيا، اصبح الآن جليليا أو فلسطينيا،والذي كان من ريمز أو شارتر،أصبح الآن مواطنا في صور أو أنطاكية، لدرجة أننا نسينا أماكن ولادتنا، واصبحت تلك الأماكن غريبة للعديد منا، أو حتى لا نتذكر منها شيئا)[3].

ويفهم من حديث فوشية الشارتري أن الأوروبيين طاب لهم المقام في الاراضي المقدسة، وانبهروا بالشرق الإسلامي ونسوا بلادهم، ومن المرجح أنه كتب هذه العبارة من أجل تشجيع

([1]) الفيترى:**تاريخ**، ص55، السمعاني:**الأنساب**، ج1، ص197،
Anonymous Pilgrims.p. 29. Cf. Also Benvenisti.M.op.cit. p. 409

([2]) الفيتري:المرجع نفسه، ص 55 - 75، انظر يوشع براور:**عالم الصليبيين**، ص 62، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 368،

([3]) الشارترى:**تاريخ الحملة**، ص 218، انظر أيضا:البيشاوي:المرجع نفسه، ص 368.

الأوروبيين على الإقامة والاستقرار في الأراضي المقدسة، لأن عبارته (نسينا أمـاكن ولادتنـا) تحمل بين طياتها الكثير من المعاني والتفسيرات، ويفهم من قوله، أن تلك العناصر اندمجت معا في إطار جديد هو المجتمع اللاتيني في الأراضي المقدسة(1)، مما يعني أن تلك الأجيـال التـي توالدت في فلسطين في ظل السيطرة الفرنجية لم تعد تعرف لها وطنا آخر غير فلسطين، وهنا تكمن خطورة الاستعمار الاستيطاني، الذي جاء في غير صالح أبناء البلاد الأصـليين ولعـل فوشية يشير إلى أن الفرنجة الذين استقروا في اقطاعية حيفا كانوا من أمـم مختلفـة جمعـتهم المصالح الاقتصادية، والطمع في ثروات الشرق لدرجة أنهم نسوا أماكن ولادتهم فـي الغـرب الأوروبي، وقد بدا واضحا انه أشار إلى الذين استقروا في اقطاعية حيفا كانوا من أمم مختلفـة جمعتهم المصالح الاقتصادية، وقد بدا واضحا أنه أشار صراحة إلى النعيم الـذي يعـيش فيـه الفرنجة في اقطاعية حيفا وباقي المدن الفلسطينية،و لم يعد يربطهم في بلادهم أي ربـاط ممـا سيجعلهم يستميتون في الدفاع عن مكان إقامتهم الجديد حتى آخر لحظة(2) وعلاوة علـى ذلـك نستطيع أن نحدد التنظيم الطبقي الاقطاعي الذي تألف منه المجتمع الفرنجي في إقطاعية حيفـا. وباقي مدن المملكة الفرنجية في بلاد الشام:

أ- الأرستقراطية الحاكمة من النبلاء والفرسان،وكان هؤلاء قلة، وكانوا يعانون نقصا كبيرا في العدد بسبب كثرة الضحايا في الحرب، وقلة الوارد من الغرب(3)، على الـرغم أن جمـوع الحجاج القادمين من الغرب إلى فلسطين لم تتوقف منذ استيلاء الفرنجة على بيت المقدس، ولكن القليل منهم اختاروا الإقامة في الأراضي المقدسة بعد الحج.

ب- طبقة عامة المحاربين من الفرنجة:وهم الذين شاركوا في الحملات الفرنجية، لا ينتمون إلى طبقة الفرسان والنبلاء، بل كانوا من الطبقة العامة، ويشكلون فرق المـشاة فـي الجـيش

(1) البيشاوي، المرجع نفسه،ص368.

(2) الشارتري:المصدر نفسه، ص 218 - 219، انظر أيضا البيشاوي:**نابلس**، ص 193 - 194 البيـشاوي:**الممتلكـات**، ص 368.

(3) عاشور:**الحركة**، ج1، ص 479، رانسيمان:، ج2، ص 468، الصوافي:**الفلاع**، ص 67 .
Cf. Richard. J. The Latin Kingdom. p. 122.

الفرنجي، واضطروا بعد الاستقرار بالشام، إلى الزواج من المسيحيات الشرقيات من أرمن وسريان نظرا لقلة عدد النساء الفرنجيات اللواتي حضرن إلى الشرق، وتم زواج الفرنج من بعض النساء المسلمات الأسيرات (1) حيث تنصرن بالقوة، وظهرت طبقة جديدة في المجتمع الفرنجي في بلاد الشام هي طبقة الأفراخ أو البولان (Pullani) (2)، اما الزواج من المسلمات فيشير فوشية الشارتري في معرض حديثة عن استيلاء الفرنجة على قيسارية عام 494هـ/ 1101م، إلى تحول الكثير من النساء المسلمات اللواتي قدر لهن البقاء على قيد الحياة بعد الغزو إلى جواري، وحكم عليهن بالعمل مدى الحياة في تشغيل (إدارة) الطواحين، كما بيع قسمٌ منهن في سوق النخاسة، وفعلوا ذلك بالرجال أيضا، إلا أنهم أبقوا على حياة والي المدينة والقاضي، رغبة في الحصول على فدية وليس بدافع المحبة (3)، وقد وصل الحال بالرقيق والجواري من المسلمين تحت أيدي الفرنجة إلى درجة مزرية من الذل والمهانة لا يمكن وصفها، وقد عبر ابن جبير عن عمق أسفه وحزنه للحالة التي بات عليها هؤلاء المسلمون في الأسر، وخاصة في مدينة حيفا وقيسارية بعد الاستيلاء عليها بحد السيف، فقال (من الفجائع آلتي يعانيها ما حل ببلادهم من أسرى المسلمين، يرسفون في القيود، ويصرفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد، والأسيرات المسلمات كذلك في أرجلهن خلاخيل الحديد، فتنفطر لهم الأفئدة ولا يغني الإشفاق عنهم شيئا، ويبدو انه لم يكن أمامهم للتخاص من تلك الحالة سوى اعتناق النصرانية، على الرغم من أن ابن جبير لم يقم بزيارة مدينة حيفا إلا أنه ذكر أن ذلك نمطٌ يسري على كل المدن والقرى الفلسطينية التي

(1) الشارترى:**تاريخ الحملة**، ص 218، جوا نقيل:**مذكرات جوا نقيل**، ص 195 - 196، الفيتري:**تاريخ** ص97 - 104 - 105، د عاشور:الحركة، ج1، ص 479- 480، رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 469 - 470، الحياري:**القدس** ص 61، الصوافي :**القلاع**، ص67، ماير:المرجع نفسه، ص 231،

Cf. Grousset. L. Empire. du. Levant.pp.315 - 316.

(2) البولاني Pullani :يعتقد أن هذه الكلمة ترجع بأصولها إلى اللغة العربية، وهي مشتقة من العربية ابن فلان، وهي تعني الافراخ، الفيتري:المصدر نفسه، ص 97 - 104، الشارتري:**تاريخ**، ص 113 - 114

(3) الشارترى:المصدر نفسه، ص 115، الصوري، تاريخ، ج1، ص441، حيث يذكر انه عهد إلى الأسرى من المقادسة بتنظيف المدينة من جثث قتلى المسلمين. انظر:دويكات:**طبرية**، ص 305.

استولى عليها الفرنجة[1] وقد غلبت على هذا الجيل من طبقـة البـولاني عـادات وتقاليـد الشرق[2]، ومنها الشك والغيرة على الزوجات ممـا جعلهـم (أي الأزواج مـن البـولاني) يحبسون زوجاتهم في أماكن كالسجن ويضعوهن تحت حماية صارمة ودقيقة حتى من أقرب الناس لهم (من الاخوة والأقارب)، ونادرا ما كان هؤلاء يأتون إليهن لزيارتهن، كذلك قاموا بمنعهن من زيارة الكنائس والحضور لاستماع المواعظ لدرجة لم يكن معهن أمرا يسمح لهن بزيارة الكنيسة لمرة واحدة في الشهر أو السنة ؛وذلك بسبب ما ساد المجتمع من فساد، ومع ذلك وجد منهم من كان يسمح لزوجته بالذهاب إلى الكنائس والحمامات العامة ثلاث مرات اسبوعيا ولكن تحت حراسة صارمة[3]، ولا يفهم من ذلك أن هذا الجيل وخاصة من البولاني كان مثاليا في أخلاقه بل على العكس من ذلك اذ يرى يعقوب الفتيري، بأنهم كانوا عبئا على المملكة اللاتينية وسبباً في خرابها، إذ اتهمهم بالفساد، وانهم عاشوا في رفاهية مطلقة وأدمنوا على الحياة الصاخبة غير النظيفة، وبعد مرور فترة من الزمن حلت طبقة الأفـراخ محـل الافواج الأولى التي قدمت من اوروبا إلى الأراضي المقدسة[4].

ج- ووجد في حيفا طبقة التجار الإيطاليين وخاصة البنادقة، الذين تركزت إقامتهم في مينـاء حيفا، وقليلٌ منهم استقر في المدن الساحلية الاخرى، وقد ظل هؤلاء التجار يكونون طبقـة مستقلة قائمة بذاتها، ويتحدثون الإيطالية. و كان للبنادقة في حيفا وضع خاص[5]، بناء على الاتفاق الذي عقد بينهم وبين الأمير جودفري البويوني، الذي اتفق على منحهم ثلث المدينة،

([1]) ابن جبير:**الرحلة**، ص 202، جوانفيل:**مذكرات جوانفيل**، ص 195 - 196، الشارترى، ص 218 - 219، الفيتري، ص 97 - 543، عاشور:**العلاقات**، ص 331 - 332، توفيق:مملكة، ص 130.

([2]) جوانفيل:المصدر نفسه، ص 195 - 196، الشارترى:المصدر نفسه، ص 218 - 219، الفيتري:المصدر نفسه، ص 97 - 543، عاشور:العلاقات، ص 331 - 332، توفيق:مملكة، ص 130

([3]) الفيتري:**تاريخ**، ص 63 - 66، توفيق:المرجع نفسه، ص130 -131، ماير:تاريخ، ص253، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 380، الشارترى:المصدر نفسه، ص 218 - 219،

([4]) الفيتري:**تاريخ**، ص 97 - 104 - 105، الشارترى:المصدر نفسه، ص 218 - 219، انظر ايضاً، عاشور:**الحركة**، ص 480، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 380.

([5]) Albert d' Aix. op. cit.p. 519. Cf. also Stevenson.W.B. op. cit.pp. 40- 41.

رانسيمان:المرجع نفسه، ج1، ص 441 - 442، عاشور:**الحركة**، ج1، ص 480، ماير:المرجع نفسه، ص 260،

وسوقاً، وحياً تجارياً، وكنيسة، فضلا عن حرية التجارة في المملكة اللاتينية، ولا يختلطـون بغيرهم ألا في نطاق المعاملات المالية والتجارية، وكانت أعدادهم في اقطاعية حيفـا فـي بداية الاحتلال قليلة، ثم ازداد عددهم فيما حتى امتلأت بهم اقطاعية حيفـا وبـاقي المـدن الاخرى، وقد شهدت حيفا قدوم تجار مرسيليا الذين استقروا في الاقطاعية،كما اقـاموا فـي عكا ويافا وتجار برشلونة في صور[1].

د- كان المسلمون يشكلون الأغلبية في منطقة حيفا، فسكان المدينة، انتقلوا إلى الريف الحيفاوي، بعد سقوط حيفا في قبضة الفرنجة، وعملوا بالزراعة، وقد أشار ابن جبير الـى ذلـك فـي رحلته من دمشق إلى عكا[2]، كما تحدث أسامة بن منقض عن وجود أغلبية إسـلامية فـي جبال فلسطين وقراها وخاصة الأرياف فيروي أن الفرنج الذين كانوا يهربون مـن عكـا لاسباب جنائية كانوا يلجأون إلى المناطق الإسلامية، مما يعني أن تلك المناطق كانت ذات أغلبية اسلامية بالإضافة الى طبقة الرقيق والأقنان ليعمـل أفرادهـا فـي فلاحـة الأرض وغيرها من الأعمال الشاقة، وتنص قوانين مملكة بيت المقدس الفرنجيـة علـى أن العبيـد والفلاحين والأسرى كالمواشي يخضعون لقانون البيع والشراء وأن للسيد ان يفعل ما يـشاء بعبيده[3]، وبالإضافة إلى ذلك استمرت عمليات الهجرة الجماعية الغربية الى فلـسطين مـن كافة الجنسيات الأوروبية تضم مقاتلين[4] وتجارا وحجاجا وأصحاب مهن للاسـتقرار فـي الأراضي المقدسة، أما نتائج تلك الهجرات فقد ظهرت أثارها السلبية علـى سـكان الـبلاد الأصليين، بحيث جرى خروج السكان المسلمين قسرا الى مناطق أخـرى يـسيطر عليهـا المسلمون، والأمر الذي أدى إلى تغير نسبي في البناء الديمغرافي في كثير من المناطق التي

([1]) رانسيمان:المرجع نفسه، ج1، ص 442، عاشور:**الحركة**، ج1، ص480، ماير:المرجع نفسه، ص 261

([2]) ابن جبير:**الرحلة**، ص 210 - 211، قال ابن جبير:(ومررنا بطريقنا على ضياع متصلة، وعمائر منتظمـة سـكانها كلهم مسلمون وذلك في عام 579ه/ 1183م) **الرحلة**، ص 274 - 275، انظر ايضا الصوافي:**الفلاع**، ص 68- 69،

([3]) عاشور:**اوروبا**، ج2، ص 88، Cf.Also Besant, Palmer. Jerusalem.p. 226.

بن منقد:**كتاب الاعتبار**، ص 82، عاشور:**الحركة**، ج1، ص 481 - 482،

([4]) الصوري:**تاريخ**، ج2، ص 317 - 318، انظر:سميث:**الاستبارية**، ص 23، ماير:المرجع نفسه، ص23،
Cf. Also Prawer. J. Settlement.p. 494. Benvensiti.op. cit.p. 19.

يسطير عليها الفرنج، بحيث تحولت الأقلية الفرنجية إلى أكثرية[1]، وبعد أن كانت فلسطين عربية تحولت إلى مملكة لاتينية الطابع[2]، ما عدا بعض المناطق الريفية في شمال فلسطين وجنوبها، حيث بقي معظم سكانها مسلمين، ولعل هذا الخلل السكاني أدى إلى خلل اجتماعي وخلق عدم وجود انسجام بين الطبقات المختلفة التي تألف منها المجتمع الفرنجي في بلاد الشام، وذلك كان من العوامل الرئيسة التي آدت إلى ما لحق بالفرنجة من فشل في نهاية الأمر،وإذا كانت الأقلية الفرنجية المتعصبة قد استطاعت ان تحتفظ بنفوذها السياسي في المملكة اللاتينية، وتجعل من نفسها أرستقراطية حاكمة، فانها لم تستطع مطلقا أن تحتفظ بعاداتها وتقاليدها وأصولها الغربية سليمة نقية، وإنما اضطرت بحكم قلة عددها وسط محيط شرقي واسع أن تفقد كثيرا من صفاتها الأصلية وتكتسب الكثير من التعديلات الجديدة[3]وقد اتخذ سيد إقطاعية حيفا مقرا حصينا لاقامته، ثم انتقل إلى القلعة بعد إنشائها في القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي، وأخذ العنصر الفرنجي بالتزايد بعد أن استقرت عائلات فرنجية بأكملها في المدن والقلاع والمستوطنات والحصون التي تم إنشاؤها في اقطاعية حيفا [4]، وكانت مهمتها ضمان السيطرة على الريف الحيفاوي الذي كان يقطنه المسلمون وللسيطرة على الطرق التجارية وطرق الحجاج التي كانت تمر من أراضي الاقطاعية[5]، أما عن شؤون الحياة اليومية للمسلمين داخل الاقطاعية مثل الميراث والزواج والطلاق وغيرها، فقد ترك الفرنجة للمسلمين حرية تصريف شؤون هذه النواحي، و أدى

([1]) الشارترى:**تاريخ**، ص 194، انظر:قاسم، **اثر**، م3، ص 127- 131 - 137، الصوافي:**القلاع**، ص 61

([2]) قاسم، **اثر**، م3، ص 163، الصوافي:**القلاع**، ص 61،

([3]) الفيتري:**تاريخ**، ص55 عاشور:**الحركة**، ج1، 478، دويكات:**طبرية**، ص 298، انظر البيشاوي:**نابلس**، ص 196، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 373،

Cf. Richard. op. cit. p. 122, Benvensiti.p. 409

([4]) الصوري:المصدر نفسه، ج1، ص 396، عبد الوهاب:**قيسارية**، ص 244.

Albert d' Aix.op.cit.p.

([5]) وجد نوعان من الطرق التجارية والقوافل يمران عبر إقطاعية حيفا وهو الطريق الرئيس الذى يعرف باسم طريق البحر (Via Maritima) وكان يمتد من اقصى الشمال من انطاكية الى مصر جنوبا وكان قسم منه عبر اقطاعية حيفا، اما النوع الاخر هو الطرق الداخلية عبر مرج بن عامر إلى طبرية وبيسان ودمشق وفرع آخر إلى نابلس أو الرملة أو غيرها من المدن الداخلية، انظر عبد الوهاب:**قيسارية**، ص 244، Cf. Benvensiti.op.cit.p. 309- 311

تنوع الاجناس إلى تعدد اللغات السائدة في اقطاعية حيفا، وكانت اللغة العربيـة هـي لغـة السكان الاصليين في اقطاعية حيفا، وكان المسيحيون الشرقيون يتحدثون اللغة العربية إلـى جانب اليونانية والسريانية التي كانت سائدة في بلاد الشام وقتذاك[1]، وهكذا كانـت اللغـات متباينة بتباين الفئات السكانية التي عاشت على تلك الأرض، وقد تعرض فوشية الـشارتري إلى ذلك بقوله: (يلجأ الناس إلى استعمال التعابير والبيان من لغات شتى في التحادث فيمـا بينهم[2]،ألا أن اللغة العربية كانت الأكثر انتشارا بين سكان الإقطاعية بحكـم أن الأغلبيـة الساحقة من السكان في الريف الحيفاوي كانوا من العرب المـسلمين والمـسيحيين الـذين يتحدثون اللغة العربية[3]، أما بالنسبة للمستوطنين الفرنجة، فكانت لغاتهم مختلفة، ولما كـان معظم سكان المملكة اللاتينية ينتمون لأصل فرنسي، فقد سادت بينهم لغة شـمال فرنـسا[4] (Largue d' Oiel) الشائعة عند النورمانديين، وسكان شمال فرنسا، وهى لغة التخاطب فـي إقطاعية حيفا، أما الاقليات الاخرى التي وجدت داخل الإقطاعية وباقي المجتمع الفرنجي فقد استخدمت كل فئة منها لغتها الخاصة..

وفضلا عن ذلك انتشرت اللغة اللاتينية وكثر استخدامها في القدس وعكا وحيفا، وكانـت اللغة الرسمية المستخدمة في الكنائس والأديرة وفـي ديـوان الرسـائل، وتـدوين الأحكـام، والضرائب، والقوانين وكل ما يتعلق بشؤون الحكم[5]، وكانت اللغة اليونانية تستعمل في الكنائس

([1]) الحنبلي:**شذرات**، ج3، ص 179، الفيتـري:**تـاريخ**، ص 110 - 111، البيـشاوي:**الممتلكـات**، ص 369، انظـر الحويري:**الاوضاع**، ص 50، عاشور:**الحركة**، ج1، ص 245.

([2]) الشارتري:**تاريخ**، ص 219.

([3]) يعلق كلود كاهن في كتابة الشرق والغرب، ص 218، بقوله، ان اللغة العبرانية بقيت مستخدمة بين السكان المحليين، وان اللغة الفرنسية واللاتينية لم تترك تاثيرا كبيرا في السكان المحليين، انظر كاهن:**الشرق**، ص 218، الفيترى، **تـاريخ**، ص111، رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 480 - 2481، براور:**عالم**، ص 122، البيشاوي:**الممتلكات الكنـسية**، ص 369، Cf. Conder.op. cit.p. 166.

([4]) رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص470، الحويري:**الأوضاع**، ص50، البيشاوي:**الممتلكات**، ص7، عاشـور:**الحركـة**، ج1، ص 245.

([5]) Anonymous. Pilgrims.vol. VI.p. 28.

رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص470، البيشاوي:**نابلس**، ص 195.

الشرقية. اما اللغة الفرنسية فكانت لغة البارونات وملوك الفرنج التي تحظى باهتمام الجميع، وذكر أحد الحجاج الأوروبيين المجهولين، الذين زاروا الأراضي المقدسة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أن الفرنجة عرفوا باسم اللاتين، لانهم يستعملون اللغة اللاتينية، وهم كاثوليك محض، وهناك نص لابن واصل يشير إلى كثرة الأجناس الأوروبية التي شاركت في الحملات الفرنجية، فأشار الى تعدد ألسنة الجنود واختلاف لغاتهم، والى الصعاب التي كان يجدها المسلمون عند استجواب الأسرى والمستأمنين من هؤلاء الجنود [1] الذين يحتاجون إلى عدة مترجمين للأسير الواحد اما الديانات التى سادت في اقطاعية حيفا، فهي الديانات السماوية الثلاث الاسلامية والمسيحية واليهودية، ومذاهبها المختلفة وقد أشار فوشية الشارتري (وجود الدين المشترك و المذهب الواحد ما بين اؤلئك الذين يجهلون أصلهم الأوروبي وأصبحوا شرقيين تجمعهم فقط العقيدة)[2]، أما ما ساد من عادات وتقاليد في المجتمع الفرنجي في إقطاعية حيفا وباقي المدن الفرنجية، وما أثر فيه من مؤثرات شرقية إسلامية ففي البداية ينبغي الاشارة إلى أن المجتمع الفرنجي في الأراضي المقدسة، قد قام على أساس ديني طبقي إقطاعي حربي عنصري، إذ يترأس الملك الدولة يليه النبلاء الذين شكلوا طبقة متميزة من الفرنجة، ثم يتبعهم طبقة الفرسان، وثم عامة الشعب اللاتيني من التجار والمحاربين، ويأتي دونهم جميعا أهل البلاد الأصليين وهم العرب[3] من المسلمين والنصارى الشرقيين، وقد تعايش الفرنجي مع غيرهم في دولة استيطانية عدوانية وفي صراع دائم مع جيرانها، حيث تمتعوا بالامتيازات، ونهبوا ثروات البلاد ولم يفرقوا بين مسلم أو مسيحي شرقي إذ أجبروهم جميعا على دفع الضرائب الباهظة،

([1]) اجتمع في هذا الحشد عدد من الأسرى الفرنجة، والألسنة الأعجمية، من لا يحصر معدودة، ولا يتصور في الدنيا وجودة حتى انه اذا اسر الأسير واستأمن المستأمن احتاج الى فهم لغته الى عدة تراجم، ينقل واحد عن اخر ويقول الثاني ما يقول الأول، وثالث ما يقول الثاني.....الخ، انظر ابن واصل:مفرج، ج2، ص 353، الشارتري:المصدر نفسه، ص 219، نعيرات:**بيسان**، ص 206، الحويري:**الأوضاع**، ص50، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 369 - 370.

([2]) الشارتري:**تاريخ**، ص 218، نعيرات:**بيسان**، ص 206، ويقصد فوشية الشارترى الى وحدة الديانة المسيحية بين القادمين الجدد،The Latinkingdom J. Prawer P.301

([3]) الصوري:المصدر نفسه، ج1، ص441، انظر:كاهن:**الشرق**، ص 199 - 200، ماير:المرجع نفسه،ص 231 العسلي:**الدراسات**، ص 121 - 123، عاشور:**الحركة**، ج1، ص 326،

ومنعوهم من ارتداء الثياب الفرنجية[1] وبقيت حقوق مواطني الدرجة الاولى مقصورة على هؤلاء السادة وبارونات المملكة، في حين انتقل أهالي القرى من المسلمين تـدريجيا إلـى العبوديـة، وأصبحت أراضيهم ملكا للنبلاء والفرسان[2]، وهكذا فقد الفلاح الفلسطيني في الريف الحيفـاوي أرضه، ولكنة لم يطرد منها، وإنما استمر يعمل في الأرض ليس كمالك لها ولكن كمستأجر لهذه الأرض من السيد الاقطاعي[3] مع فرض ضرائب باهظة على الفلاح الفلـسطيني، إلا أن هـذه السياسة لم تمنع من تأثر الفرنجة بعادات وتقاليد أهل البلاد الأصليين وقـد ذكـرت مـصادر التاريخ أمثلة متعددة لتعرض عاداتهم الغربية للتعديل عقب الاستيطان في الاراضـي المقدسـة، ولكن يجب أن لا نبالغ في إظهار تلك التأثيرات، لأن حدوثها أمر طبيعي، ولو لم تحدث لكـان ذلك ملفتا للنظر، وان ملاحظات فوشية الشارتري على ذلك التغير، لا يمكن أن تكـون مبـررا للاستنتاج الخاطئ بأن الاستيطان الفرنجي أدى إلى تكوين شعب سوري فرنجي لاتيني واحـد، فالعلاقات الودية بين الحكام الفرنج والحكام المسلمين بولغ في تصويرها، والاهتمام بها، والأمثلة على ذلك مأخوذة من مذكرات أسامة بن منقذ وهى حقيقة تشكل بنفسها دليلا على محدودية هذا النمط من العلاقات، لأنها كانت مقتصرة على أعضاء الطبقة الحاكمة من كلا الجـانبين الـذين اتفقت نظرتهم وميولهم ومصالحهم في كثير من الأمور بحكم مركزهم الممتاز في مجتمعاتهم[4]، وما اشتركوا فيه من حماسة نحو الحرب والخيول والصيد.

([1]) كان هذا القرار التعسفي قد صدر في المملكة اللاتينية في اعقاب الاجتماع الهام، الذي عقد في مدينة نابلس في 514/ 23 كانون ثاني 1120 م، اصدر المجتمعون ميثاقا من خمسة وعشرين بندا منها تحريم ارتداء المسلمين لملابس وأزيـاء الفرنجة ويمنع الزواج بامرائتين في أن واحد او زواج المرآة برجليين في وقت واحد، انظر:الـصوري، ج1، ص 563، العريني:**الشرق**، ج1، ص 352، البيشاوي:**نابلس**، ص 81 .

90-97. citop. Mayer,,p.519,The Latin KingdomPrawer

([2]) الفيتري:**تاريخ**، ص 118، انظر عاشور:**اوروبا**، ج2، ص 88، العسلي:**الدراسات**، ص121، دويكات:**طبريـة**، ص 305

([3]) البيشاوي:**الممتلكات**، ص 372، الصوافي:**القلاع**، ص 169، العسلي:**الدراسات**، ص 121، فنك، **تأسيس**، ص69

Cf.also:Prawer,Seltlement,P.494

([4]) بن منقذ:كتاب **الاعتبار**، ص 140، انظر سميل:المرجع نفسه، ص 46 - 48

وعاش الفرنجة في الشرق حياة أقرب إلى الرفاهية على الرغم من استمرار الحروب بينهم وبين المسلمين، فلبسوا الملابس الفاخرة وتشبهوا بالمسلمين، واهتموا بأدوات الزينة والجواهر الثمينة، واستعمال مختلف أنواع الأثاث الفخم فالفارس اذا لم يكن في عدته وسلاحه، ارتدى برنسا من الحرير، واتخذ عادة العمامة، وعند الخروج إلى القتال ارتدى فوق درعه سترة من الكتان لوقاية الزرد من حرارة الشمس، كما جعل على خوذته كوفية مثل تلك التي يضعها الفارس العربي على رأسه[1]، والى جانب ذلك قلدالفرنجة المسلمين في الاستمتاع بالحياة، وليس من المستغرب أن ترى ذلك عند المسلمين خاصة وانهم أصحاب حضارة مادية وفكرية عريقة لم يشهدها الفرنجة في بلادهم قبل زحفهم إلى الأراضي المقدسة[2]، ويبدو التأثر بالعادات الاسلامية واضحا من تصرف الملك هنري دي شامبيني نحو صلاح الدين، حيث أرسل إليه يستعطفه ويطلب منه خلعة فأرسل إليه صلاح الدين خلعة سنية، منها القباء والشربوش، ففرح بها الملك الفرنجي ولبسهما في عكا[3]، ولا يخفى أن لبس الشربوش كلباس للرأس كان له المكانة الاولى، إذ يعتبر بصفة خاصة الطابع المميز لطبقة الأمراء، والقباء يعتبر طابعا مميزا للأمير المسلم، حتى أن الملك الفرنجي كان على استعداد لارتدائهما في سبيل إظهار الود والصداقة رغم أنه لا يدين له بالولاء ويروى لنا أسامة بن منقذ كثيرا من غرائب أخلاق الفرنجة وعاداتهم وتقاليدهم، منها أن وجود عدد كبير من شباب الغرب الأعزب الذين طال بعدهم عن بلادهم، أدى أحيانا إلى شيء من الانحلال الخلقي بين الفرنجة بالشام، فذكر بعض الملاحظات على الفرنجة في هذا الشأن (فقال: انه ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة) إذ كان رجل منهم يمشي هو وامرأته عندما يلقاه صديق له فيأخذ المرأة ويعتزل بها، ويتحدث معها، والزوج يتنحى بعيدا ينتظر فراغهما من الحديث، فإذا طال عليه الإنتظار تركها مع المتحدث

([1]) رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 506 - 509، البيشاوي:**نابلس**، ص 197، البيشاوي:**الممتلكات**، ص376،

([2]) الحويرى:**الأوضاع**، ص 80، البيشاوي:**نابلس**، ص 197، البييشاوي:**الممتلكات**، ص 376،

([3]) وقال له:(أنت تعلم أن لبس القباء والشربوش عندنا عيب وأنا البسهما منك محبة)،

ابن الأثير:**الكامل**، ج9، ص 219، ماير:الملابس، ص51 انظر نعيرات:بيسان، ص 309 - 310، الشربوش:هو لباس للراس كان له المكانة الاولى اذ يعد بصفة خاصة الطابع المميز لطبقة الأمراء، انظر ماير:**الملابس**، ص 51.

ومضى.[1]أما عن مكانه المرأة في ذلك المجتمع، فيبدو أن الأوضاع في الأراضي المقدسة آدت إلى ظهور عدة أمراض خلقية، حتى انحرف بعضهم نحو الشذوذ الجنسي[2] الآمر الذي جعلهم يلجأون إلى فكرة جلب نساء من غرب اوروبا للترفيه عن الجند المحاربين، من ذلك مـا يرويه العماد الأصفهاني أبو شامة من انه حدث أثناء حصار الفرنجة لعكا سنه 595ه/ 1198م، ان وصلت ثلاثمائة امرأة فرنجية مستحسنه اجتمعن من جـزر البحـر والغـرب، وانتـدبن للجرائر، واغترين لإسفاف الغرباء، وقصدن بخروجهن تسليم أنفسهن للأشـقياء وأنهـن لا يمتنعن عن العزاب ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان، وزعمن أن هذه قربـة ما فوقها قربة، لا سيما فيمن اجتمعت فيه غربة وعزبة [3] اما العجائز من الفرنجيـات فقـد امتلأت بهن المراكز وهن يحرضن وينشدن ويحثثن الرجال على القتال ويجلبن نساء من الغرب الأوروبي للترفيه عن الجند المحاربين، مما أدى إلى انتشار أسواق الخمارات وبائعات الهـوى في المدن الفرنجية[4]وقد أثر ذلك سلبا على قواتهم العسكرية، وربما انعكس ذلك علـى بعـض عساكر المسلمين الذين كانوا يرتادون تلك الأماكن، وحاول الملك ريتشارد قلب الأسد الحد مـن تلك الرذائل من ذلك ما قام به في عام 587ه/ 1191م، حين غادر جنوبا إلى جبـل الكرمـل وحيفا لقتال المسلمين، فقد منع النساء من مرافقة الجيش واستثنى من ذلك الغسالات، مما اسخط الجنود الذين حرموا الراحة والنعيم[5] وقد شاركت النساء الفرنجيات فـي القتـال إلـى جانـب الرجال، ويذكر ابن واصل شيئا عن ذلك، حيث يشير إلى مشاركة النساء الفرنجيات في وقعـة

([1]) اسامة بن منقذ:المصدر نفسه، ص 122 - 135، عاشور:**الحركة**، ج1، ص 483، أشار أسـامة ان الفرنجـة فـيهم الشجاعة العظيمة ويعلق على ذلك بقوله (وما تكون الشجاعة الا من النخوة والآنفة من سوء الا حدوثـه، انظـر كتـاب الاعتبار، ص 137، انظر البيشاوي:**نابلس**، ص 198، الممتلكات الكنسية، 378،

([2]) أسامة بن منقذ:المصدر نفسه، ص 136، عاشور:**الحركة**، ج1، ص 483،

([3]) الاصفهاني:**الفتح**، ص 181 - 183، ابو شامة:**الروضتين**، ج2، ص 49، ابن واصل:**مفرج**، ج2، ص 308، انظـر عاشور:الحركة، ج 1، ص 483، رانسيمان:المرجع نفسه، ص 509،

([4]) العليمي:**الأنس**، ج1، ص 361 - 362، مونروند:**تاريخ**، ج2، ص 106، رانسيمان:المرجع نفسه، ج 2، ص 509 - 510، البيشاوي:**نابلس**، ص 196 - 197،

([5]) مجهول:**الحرب**، ج2، ص 58، انظر مونروند:المرجـع نفـسه، ج2، ص 106، قاسـمية احمـد:**المـرآة**، ص 76، دويكات:**طبرية**، ص309، رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 509 - 510،

عكا العظمى في القتال إلى جانب الرجال، (وأنهن لم يعرفن حتى سلبن ونـزع عـنهن لأمـة الحرب)، وكذلك كن يشاركن في حمل الماء للرجال، كما كن أيضا يشجعن الرجال على القتـال والصبر والدفاع[1] ومع مرور الزمن تأثرت المرأة الفرنجية بالمؤثرات الشرقية، فلبست الـزي الشرقي التقليدي من قميص طويل وسترة قصيرة ورداء بكمين، وكلها موشاة بخيـوط الـذهب، فإذا خرجن من الدور اتخذن الحجاب شأن المسلمات، لا من قبيل الحشمة بل لوقاية الطلاء الذي غطى وجوههن[2]كما تأنقن في سيرهن شان النساء المسلمات وانتهجت زوجات التجـار مـنهم حذو الأميرات بل تفوقن عليهن في وفرة الملابس في بعض الأوقات، وقد أورد لنا المؤرخـون المعاصرون أخبار السيدة (باسكو دي ريفيرى) او (باشيا دي ريفيـري) زوجـة أحـد التجـار الفرنجة في نابلس والتي فاقت بحسنها وجمالها وزينتها الأميرات، لدرجة أن جمالها وسـحرها جعل هرقل بطريرك بيت المقدس يقع في غرامها[3] ويأخذوها إلى القدس بعد وفاة زوجها.

واستخدم الفرنجة في بيوتهم الخدم، وقامت المربيات من سكان الـبلاد الأصـليين برعايـة اطفالهم وتولى السياسيون الوطنيون تدريب خيولهم، واعتمدوا في علاج مرضاهم على الطـب الاسلامي[4] كذلك كان من مظاهر تأثرهم بالمسلمين، تعلم الكثير من نبلائهم وساستهم وتجارهم اللغة العربية، والتحدث بها، بل إن فئة منهم شغفت بدراسة الادب العربي والتاريخ مثـل سيد صيدا ريناld جرانير Rwynold Garnier حيث ذكر ابن واصل أنه يتصف بالمكر والدهاء

([1]) ابـن واصـل:**مفـرج**، ج2، ص 308، العليمـي:**الأنـس**، ج1، ص 362، الـشارترى:**تـاريخ**، ص 125- 147، مجهول:**أعمال**، ص 39، رانسيمان:المرجع نفسه، ص508 - 509، انظر:عبد الوهاب مقالات وبحـوث فـي التـاريخ الاجتماعي، ص55 - 179،

([2]) Estoire d' Eracles.p. 60. Cf. Also Addison The History of The Knights Templers,p. 118, Conder.pp.178- 179.

رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 509 - 510، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 375، نابلس:ص 196،النقاش:**العلاقـات**، ص 147،

([3]) Estoire d' Eracles.p. 60. Cf. Addison.op.cit.pp.118 - 119 رانسيمان:المرجع نفـسه، ج2، ص 509 - 510، البيشاوي:**الممتلكات**، 375، نابلس، 196

([4]) اثبت الاطباء الوطنيون تفوقهم على اطباء الفرنجة وقد ظهر ذلك واضحاً اثناء معالجة الملك عموري الاول خلال فترة مرضـه. انظـر اسـامة بـن منقـذ، **كتـاب الاعتبـار**،ص174،رانـسيمان،المرجع نفـسه،ج2ص110-111، البيشاوي،**نابلس**،ص196-197

وانه من كبار الفرنج وعقلائهم، وكان عارفا بالعربية، و بشيء من التاريخ، وأتقن ريموند الثالث كونت طرابلس اللغة العربية، وتحدث بالفصحى ودرس حياة المسلمين وأساليبهم[1].

تاثر الفرنجة بعادة الاستحمام في الحمامات العامة تقليدا لما كان يقوم به المسلمون من سكان المنطقة، وأصبح رجال الفرنجة ونساؤهم يترددون على الحمامات وكانت ممارستهم داخلها تثير الدهشة والاشمئزاز، فقد انكروا شد المآزر على الرجال والنساء داخل الحمامات وفضلا عن ذلك فلم يكن لديهم معرفة بنظافة الجسم وخير دليل على ذلك ان احدهم استغرب من مسلم أزال شعر عانته فطلب من الحلاق العربي ان يزيل له شعر عانته، كما احضر زوجته كي يزيل لها شعر عانتها، وبعد أن أنهى عمله شكره ووهب له حق خدمته[2]. مما يشير لنا على عدم الغيرة عندهم، ومن العادات السيئة التي كانت سائدة بين الفرنجة في الأراضي المقدسة اختلاط الرجال والنساء، دون أن يكون لهم إحساس بالغيرة نحو بناتهم وزوجاتهم، وقد استنكرها المسلمون، وقد وصف لنا الرحالة ابن جبير الذي زار بلاد الشام وفلسطين سنة 580ه/1184م، عملية اختلاط الرجال والنساء بين الفرنجة أثناء حضوره احدى حفلات الزفاف الفرنجية في مدينة صور، والعروس في أبهى زي وافخر لباس، تمشي مشي الحمامة بين صفين من الرجال والنساء، وكان جميع الرجال من النصارى والمسلمين يشاهدون حفلة الزفاف ولا ينكرون ذلك، واستنكر ابن جبير[3]عملية اختلاط الرجال بالنساء، وقد مارس الفرنجة ألوانا متعددة من الترفيه والتسلية كالغناء والرقص، واهتموا بمسابقات الصيد الملكية، والمباريات ومسابقات الجري بين نساء الفرنجة الكبار في السن بحيث كن يقمن ويقعدن والفائزة تحوز على جائزة عينية كانت في العادة عبارة عن خنزير[4].

([1]) ابن واصل:**مفرج**، ج2،ص282، انظر:التدمري:**طرابلس**،ج1، ص364، انظر دويكات:**طبريا**، ص310.

([2]) جوانفيل:**مذكرات جوانفيل** ص186. الفيتري:المصدر نفسه، ص136، ابن منقذ:**الاعتبار**، ص136، رانسيمان:المصدر نفسه، ج1،ص106، الحويري:**الأوضاع**، ص146.

([3]) رحلة ابن جبير، ص278-279، البيشاوي:**الممتلكات**، ص378-379، البيشاوي:**نابلس**، ص197-198.

([4]) ابن منقذ:**كتاب الاعتبار**، ص138، انظر بورشارد:ص64-65، انظر رانسيمان:المصدر نفسه، ج2،ص173، نعيرات:**بيسان**، ص212-213.

أما فيما يتعلق بالحياة الثقافية في حيفا ومنطقتها فلم تزودنا المصادر المعاصرة بمعلومات هامة عن الأوضاع الثقافية وأشهر العلماء خلال الفترة موضوع الدراسة. وعثرنا على بعض المعلومات الخاصة بعالمين من علماء حيفا أحدهم ابراهيم بن محمد بن عبد الرازق الحيفي، الذي يكنى بابي ظاهر الحيفي، وهو من علماء الحديث وقد حدث في مدينة صور، وأسمع في طرابلس وتوفي عام 486ه/1093م. [1] وينسب إلى حيفا ايضا أبو محمد بن سعيد القيسراني الذي أقام في حلب، وتلقى علومه في المدرسة النظامية [2] في العراق، وارتحل الى دمشق واقام وعمل بها حلقة للمناضلة في الجامع، ثم انتقل الى حلب، وامتهن التعليم، وكان فقيها فاضلا، وجاءته المنية عام 543-544ه/1148م، وترك في حلب عقب. [3]

2.5 النظام الاقتصادي:

تمتعت إقطاعية حيفا بأهمية اقتصادية كبيرة، ووجدت اهتماما متزايدا من قبل الفرنجة، إذ جرى التوسع بالزراعة وبعض الصناعات القائمة عليها، علاوة على ذلك شهدت الإقطاعية حركة تجارية داخلية وخارجية نشطة، على الرغم من الحروب المتواصلة بين المسلمين والفرنجة [4] وقد توافر لحيفا عناصر عديدة أدت إلى تقدم أحوالها الاقتصادية منها :وجود الأراضي الزراعية الخصبة، ووفرة المياه بفعل الأمطار والأنهار كنهر المقطع وروافده والينابيع المنتشرة في أرجاء الاقطاعية، مما أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية فيها [5]، و أخيرا مهارة

([1]) ابن عساكر، **تاريخ**،ج2،ص486، الحموي، معجم،ج2،ص287،السمعاني:**الانساب**، ج4،ص323،انظر ايضا:الدباغ، **بلادنا**، ج7، ق2،ص486-487،**موسوعة المدن الفلسطينية**،ص192.

([2]) المدرسة النظامية:اسسها في بغداد الوزير السلجوقي ذائع الصيت نظام الملك الطوسي، وقد بغلت هذه المدرسة شانا عظيما في جميع العلوم، واشتهرت في جميع انحاء العالم الاسلامي، وتولى التدريس فيها حجة الاسلام الامام الغزالي فترة من الزمن. انظر:الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص457، الدباغ، المرجع نفسه، ج7،ق2، ص486-487.

([3]) الحموي:المصدر نفسه، ج4،ص457. الدباغ، المرجع نفسه، ج7، ق2،ص487.

([4]) الشارترى:**تاريخ**، ص 264، الصوري، ج1، ص 537، الحموي:**معجم**، ج1، ص 527، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 388،

([5]) الفيتري:**تاريخ**، ص 15، الحموي:**معجم**، ج1، ص 527، أبو الفداء:**تقويم**، ص 243، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 388 - 389، نعيرات:**بيسان**، ص 217،

الفلاح ونشاطه فضلاً عن الاهتمام المتزايد من قبل الفرنجة بالزراعة، حيث جرى التوسع فـي زراعة الكثير من الأشجار والمحاصيل الحقلية الاخرى بسبب الارباح والفوائد التي حققوها من جراء ذلك.

كما قاموا بنقل ما كان سائدا في اوروبا من نظم اقطاعية الى الشرق، حيث كانت فلسطين تعرف النظام الاقطاعي منذ أيام حكم السلاجقة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مما سهل على الفرنجة تطبيق هذا النظام(1)، وترك الفرنجة الملكيات المسيحية علـى حالهـا، امـا الأملاك الأميرية فقد قسمت فيما بينهم تقسيما بحيث حرم أصحابها منها(2)، وقد طبق الفرنجـو في فلسطين نوعين من الإقطاع، الأول إقطاع الاراضي وهذا لـم يحـصل عليـه إلا الـسادة الاقطاعيون وكبار الفرسان وذلك لقلة مساحة الاراضي المتاحة لهم، والثاني الاقطاعات النقديـة (والتي حصل عليها معظم الفرسان) وهي اموال تحصل من المدن والموانئ والأسـواق ومـن الضرائب والرسوم والمكوس(3).

وقد انتشر هذا النوع من الإقطاع في إقطاعية حيفا ومعظم المدن الـساحلية، وبعـض المدن الداخلية من المملكة، بالإضافة إلى وجود الممتلكات الكنـسية، ومـا تمتلكـه المنظمـات العسكرية الدينية كالداوية والاسبتارية وغيرها من الأديرة والكنائس، والتزمت اقطاعيـة حيفـا بالأنظمة المحلية السائدة لتقسيم الاراضي، فقد كانت الوحدة الأساسـية هـي القريـة Cassal المحاطة بأراضيها والتي تختلف عن بعضها البعض كثيرا من حيث المساحة والسكان، والتـى كان يتم العمل فيها بشكل مشترك من قبل الفلاحين العرب(4)، وكان يديرها إما الدليل الـسياحي

---

(1) سميل:المرجع نفسه، ص 58، الدورى:**مقدمة**، ص 103، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 389 - 390،

(2) ماير:**تاريخ**، ص 241، العريني:**نمو**، ص 42 -43،

(3) Jean d' Ibelin.op. cit. Tome I pp.422- 427.

برارو:**عالم**، ص121، دويكات، **طبريا**، ص 272،

(4) الصوري، ج1، ص 549، البيشاوي:**نابلس**، ص 95، الممتلكات، ص 388 - 467، براور:**عالم**، ص 128 - 129، Conder. p. 238. القرية: (Casel)بمعنى قرية في اللغة اللاتينية كانت الوحدة الاساسية الاولى لقيـاس الاقطـاع فـي العصر الوسيط، وكانت مكانا للعمل ومصدرا للزرق، انظر رانسيمان:**الحروب الصليبية**، ج2، ص 474 - 475،

(Dragoman)وهو لاتيني من المستعمرين، وينوب عنه عادة إما المختار أو رئيس القرية وهو رجل وطني يمارس سلطاته كرئيس مسؤول عن النظام والعدل في القرية، تحت إشراف السادة الاقطاعيين، وكانت تلك القرى تضم مساحات من الأراضي البور غير المستغلة و التي تخـدم أغراض الرعي.

واشار احد المؤرخين الحديثين إلى أن القرية وسكانها ومواشيها وكل ما تحوية مـن عقـارات كانت تنتقل إلى ملكية المقطع الجديد

بتقسيم أراضي القرية وتنظيمها في وحدات عرفت كل واحدة منها باسم كاريوكا(Carruca) [1]، أو كاريوكات (Carrucates)ولم تكن جميعها متساوية فبعضها كان يعرف باسـم الكاريوكـا الرسمية، التي كانت معتمدة من قبل الحكومة الفرنجية، وكانت تستخدم على أساس إنها وحـده إدارية تخدم الأغراض الضريبية التي تفرضها الحكومة في بيت [2]، وكانت بعض الكاريوكـات الاخرى عبارة عن قطع صغيرة تعادل الفدان العربي الذي يساوي أربعة دونمات. اما الكاريوكا الفرنجية الرسمية فتعادل ثلاثمائة وخمسين دونما. واسـتخدم الفرنجـة مـصطلح الجاسـتينا (Gastina)للدلاله على الأراضي البور أو المشاع، تماثل اللفظة العربية (خربة) وهي التـي استخدمت في فلسطين [3]. وقام السادة الإقطاعيون داخل حدود مملكة بيت المقـدس الفرنجيـة بمنح الجاستينات التي كانت منتشرة بالقرب من حيفا وغيرها من المدن الفلسطينية إلى الكنـائس والأديرة والهيئات الدينية المحاربة، فعلى سبيل المثال تم منح خربة الأسد في حدود بيت المقدس إلى كنيسة القيامة، كذلك قام رجال الدين في الكنيسة نفسها بشراء ثلاث جاسيتنات فـي حـدود

([1]) الكاريوكا(Carruca) :وحدة قياس فرنجية للأراضي الزراعية، وقد ذكرت إحدى الوثائق أن كنيسة القيامة، حـصلت على ست كاريركات في إقطاعية حيفا. انظر:البيشاوي:**الممتلكات**، ص 468،
Cf. Genevieve, Le Cartulair, Doc.No.. 126,134 pp. 252 - 253,261-266

([2]) .Benvenisti.op.cit.p.216. Prawer, Crusader Institutions, pp. 158-160انظر:البيشاوي:**الممتلكات**، ص 469. وقد ناقش سعيد البيشاوي المقاييس التى استخدمها الفرنجة في الأراضي المقدسة بالتفصيل. انظر:**الممتلكـات**، ص 467 - 475.

([3]) .Benvenisti.op. cit. p. 216انظر:البيشاوي:**الممتلكات**، ص 475،
Beyer.op. cit. 241, Prawer. Crusader. 161 -163

القدس[1]. وقد دفع الفلاحون في إقطاعية حيفا وغيرها من إقطاعيات مملكة بيت المقدس اللاتينية ضرائب باهظة للسيد الاقطاعي الذي كان يتمتع بحق المصادرة والاحتكار والمطالبة بحقه في إنتاج الأرض، وفي نسبة من مردود الحصاد وإيجار الدواب، وغير ذلك من الضرائب، وكذلك العمل مجانياً في ارض السيد الاقطاعي (نظام السخرة)، مما أوجد طبقة مستغلة من ملاك الأرض، الذين يسكنون في المدن.

أما الأساليب الزراعية التي كان يتبعها الفلاحون في زراعة أراضيهم فكانت تقليدية، كاستعمال المحراث الخشبي الذي تجره الثيران،واستخدمت المجارف والمناجل اليدوية لحصد الغلال[2] وغير ذلك من الأدوات التي لا يزال معظمها مستخدما إلى يومنا هذا. وقد اتبع الفلاح النظام الزراعي القديم المعروف بنظام الحقلين وهو ما يسمى بالدورة الزراعية [3] بحيث تقسم الأرض إلى قسمين.. يزرع الأول بالمحاصيل الشتوية،وتزرع بعض أراضي القسم الثاني بالخضراوات ويترك الباقي للراحة، وفي السنة الثانية تترك أراضي القسم الأول للراحة وتزرع أراضي القسم الثاني وهو ما يسمى بالدورة الزراعية.

وتعد زراعة الحبوب من القمح والشعير من أشهر المزروعات في حيفا وغيرها من المناطق الفلسطينية، وذلك بسبب الخصوبة العالية للتربة [4]، ورغم أهمية هذه المحاصيل إلا أن الفرنجةعملوا في مناسبات كثيرة على تحويل الأراضي لزراعة محاصيل تدر عليهم ارباحا طائلة مثل زراعة قصب السكر الذي كان من خيرات فلسطين حسب ما أشار إليه المقدسي البشاري[5] وكذلك اشتهرت قرى حيفا بزراعة أشجار الزيتون، التي كانت تلقى عناية خاصة

([1]) Genevieve,Acte No135,pp.261-266، أنظر أيضا:البيشاوي، الممتلكات،ص473.

([2]) أشار يوشع براور إلى ان المجتمعات القروية استمرت في عملها اثناء خضوعها للسيطرة الصليبية بالاساليب الزراعية نفسها التي كان يتبعها الفلاحون في زراعة أراضيهم قبيل السيطرة الفرنجية على المنطقة، انظر براور:**عالم**، ص98-99، الأحمد:**تاريخ**، ص216 ماير:المرجع نفسه ص268، البيشاوي:**نابلس**،ص214، Cf also Benvenisti.M.p.217

([3]) النويري:**نهاية**،ج8،ص256، أنظر:ماير:المرجع نفسه،ص268 Cf.also Benvenisti.op.cit.p.217 .

([4]) يعقوب الفيتري، ص 34، بور شارد:**وصف**، ص 167.

([5]) البشارى:**احسن**، ص 181، Beyer:Akko.p. 242. Prawer, The Latin,pp 264, 299

من المسلمين قبل قدوم الفرنجة، فلما سيطر الفرنج على المنطقة توسعوا في زراعته، نظرا لمـا تدره هذا الأشجار من أرباح على أصحابها، فانتشرت تلك الأشجار بكثرة حول حيفا [1] وعلـى جبل الكرمل وفي وادي فلاح والسهل الساحلي. وحظيت أشجار الرمان بعناية سـكان فلـسطين واهتمامهم، وأشار بور شارد إلى كثرة توافرها في الأراضي المقدسة، وقد زرع الرمـان فـي قرى حيفا، وكانت أشجار الليمون الحلو من بين الأصناف التي زرعت بكثرة في الإقطاعيـة، و التي صدرت إلى اوروبا، وقال رانسيمان (ان فواكه فلسطين النادرة، امثـال الليمـون الحلـو والرمان كانت تشاهد في بعض الأحوال على موائد الأثرياء في إيطاليا[2]، كما اشـتهرت حيفـا بزراعة أشجار الكرمة (العنب) منذ القدم،بحيث كانت أشجاره تزرع في السهل الساحلي، وعلى سفوح جبل الكرمل لملائمة تربتها ومناخها لهذا النوع من المحاصيل، وعندما استولى الفرنجـة على الأراضي المقدسة، اهتموا بهذا المحصول من أجل استخراج النبيذ، وكان معـدل ازديـاد استهلاكهم من النبيذ يدال على الازدهار أيضا، وكانت المصادر المختلفة من إسلامية ولاتينية قد أشارت إلى ما حققته زراعة أشجار الكرمة من تقدم و ازدهار في معظم انحاء فلسطين [3]

و نمت الأعشاب الطبية في ريف حيفا وجبالها وأوديتها بشكل كبير،ومنهـا البلـسان أو البلسم الذي كان يستخدم في الطقوس الدينية[4]،وبدأ سكان الأراضي المقدسة بزراعتـه لزيـادة انتاجه،وكان محصول البلسم الأكثر رواجا،حيث كان يصدر إلى أوروبا بسبب مكانته واهميتـه لدى الغربيين. وقد اخذت زراعته بالتراجع مع عودة فلسطين إلى الحكم الإسـلامي،نظرا لمـا

([1]) بور شارد:وصف، ص 91، الحاج دانيال الراهب:**الرحلة**، ص 120،

([2]) بور شارد:المصدر نفـسه، ص 171، الحـاج دانيـال الراهـب، ص 12، بتاحيـا الراسـبوتي، ص 15، انظـر رانسيمان:**الحروب**، ج3، ص 601 - 602، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 415، ماير:المرجـع نفـسه، ص 228 AKKo: Und Galilaea.p. 242. Beyer

([3]) الحموي:**معجم**، ج2، ص 519 - 520، البغدادى:**مراصد**، ج2، ص 566، 567، دانيال الراهب:رحلة دنيال الراهب، ص 121، الشارترى:**تاريخ**، ص 218، Richard. Agricultural Conditions.p. 260

([4]) البلسم:شجيرة صغيرة وقصيرة لها أوراق تشبه أوراق الكرمة،ويبلغ طول ثمرها حوالي ثلاث بوصات، وحينما تنضج يتغير لونها إلى أصفر وتقطف في حزيران ثم يصب عليها الزيت وتعرض للشمس،وبعد ذلك يـستخرج منهـا عـصارة يتكـون منهـا البلـسم،أنظر بيركهـات:**رحلـة بيركهـات**،ج2،ص57،أنظـر رانـسيمان:المرجـع نفسه،ج3،ص601، CF.Anonymous.Pilgrims.vol.p.341.

كانت تحتاجه زراعة البلسم من ري مستمر،ونفقات باهظة، وبعد ذلك تـضاءلت وتـم اغفالهـا تماما.

وغطت الغابات والأشجار الحرجية جبال الكرمل ووادي فلاح، وقد تحدث عنها كل مـن دانيال الروسي،وبتاحيا الراسبوتي،و استخدمت أخشابها في صناعة الآلات الحربية من أبـراج ومنجنيقات وغيرها[1] وما أكثر ما كانت المملكة اللاتينية تحتاج لهذا النوع من الأخـشاب،لأنها كانت تعيش في حالة حرب دائمة مع جيرانها المسلمين ؛ مما أدى إلى تراجع مـساحات تلـك الغابات بشكل ملفت للنظر.

وقد اهتم سكان قرى إقطاعية حيفا بتربية الدواجن والطيور حيـث كـانوا يقـدمون الـدجاج والبيض كضرائب إضافية إلى السادة الإقطاعيين[2].

واهتم السكان بتربية النحل الامر الذي انعكس ايجابيا على انتاج كميات كبيرة منـه [3]، وذكـر يعقوب الفيتري ان سكان الريف الحيفاوي وجبل الكرمل كانوا يجمعون كميات كبيرة من عـسل النحل البري، واشتهرت إقطاعية حيفا وما جاورها من مناطق بزراعة قـصب الـسكر بـسبب توافر المياه اللازمة والمناخ المناسب لزراعته، فضلا عن الخبرة الطويلة التي اكتسبها الـسكان من جراء زراعتهم له، وقد أشارت المصادر المختلفة سواء الإسلامية أو اللاتينية إلى زراعته، فذكر ياقوت الحموي أن أكثر ما يزرع في الغور والساحل الفلسطيني قصب الـسكر[4] ومنـه يحمل إلى سائر بلاد الشرق والغرب،وعندما استولى الفرنجة على الأراضي المقدسـة شـاهدوا

([1]) الحاج دانيال:المصدر نفسه،ص120_121_122، بتاحيا الراسبوتي،ص18،براور:عـالم،ص102.كـان الأسـطول المصري يصنع دائما من أخشاب جبال لبنان أو غابات فلـسطين ولكـن ذلـك توقـف بعـد اسـتيلاء الفرنجـة علـى المنطقة.انظر:رانسيمان:المرجع نفسه،ج3،ص604،

([2]) ريتشارد:**تكوين**،ص164،94، البيشاوي:**الممتلكات**،ص423 191

([3]) Richard.Agricultural.p.256ورشارد:**وصف**،ص171،الراسبوتي،ص19،:**رحلـة دانيـال الراهـب**،ص130، الفيتري:تاريخ،ص29_30، البيشاوي،المرجع نفسه،424

([4]) قصب السكر:كان من خيرات فلسطين، وكان إنتاجه يغطي احتياجات المملكة اللاتينية،وكان يصدر منه كميات كبيـرة إلى أوروبا.ولعب ميناء حيفا دور كبير في تصديره. أنظر:البـشاري:المـصدر نفـسه،ص181، الفيتيـري:المـصدر نفسه،ص30_31، الحموي:**معجم**،ج4،ص217، المغربي:**الجغرافيا**،ص152،.Beyer:Akko Und Galilaea.p.241

هذا النبات لأول مرة قرب طرابلس فنال إعجابهم وتعلموا زراعته من المسلمين وتوسعوا فيها،حتى أصبحوا خبراء في زراعته وصناعته،وقد نقلت زراعته إلى إيطاليا عن طريقهم،وقد أشار الرحالة الأجانب في كتاباتهم إلى كيفية زراعته[1].

وتأتي الصناعة بعد الزراعة في تكوين اقتصاد إقطاعية حيفا، و كانت الصناعة تعتمد على ما تنتجه إقطاعيتها وما يجاورها من إقطاعات من محاصيل زراعية ومواد طبيعية كالرمل البلوري لصناعة الزجاج،وتفيد المصادر أن صناعة السكر وتكريره كانت من الصناعات النشطة في إقطاعية حيفا[2]، وصدر قسم كبير من الإنتاج في هذه الحقبة إلى أوروبا،وكذلك صنع السكان أنواعا من العسل المأخوذ من السكر،وهو المادة التي ترشح من القصب أثناء وضعه في سلال القش وعرفت باسم عسل السكر[3]،وكانت معاصر السكر موجودة في اقطاعية حيفا،وكل ما كان يستهلك من السكر في أوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين جاء من الشرق[4]،وتجدر الإشارة إلى ان الملك الفرنجي في بيت المقدس قام بفرض الضرائب على محصول السكر المستخرج من حيفا،والمصدر منها إلى مختلف مدن المملكة وإلى أوروبا،واحتكر صناعة السكر في جميع المدن الفرنجية الأخرى.

ووجدت صناعة عصر الزيتون واستخراج الزيت،وهي من الصناعات الغذائية الهامة نظرا للاهتمام المتزايد بها،وقد أقيم لهذه الغاية الكثير من المعاصر،علما بأن المنطقة قد زرعت

([1]) الحموي:المصدر نفسه،ج1،ص147،،بورشارد:المصدر نفسه،ص168،رانسيمان:المرجع نفسه،ج3،ص602_603، مونروند:المرجع نفسه،ج1،ص148_149، 99 Cf.also:Prawer.The Latin kingdom.369_71.298_99
كان معظم ما يستهلكه أهل أوروبا من السكر في القرنين 13،12يأتي من الشرق الفرنجي،Cahen.op.cit.II.-p.293

([2]) البشاري:**أحسن**،ص180،بورشارد:المصدر نفسه،ص168،رانسيمان:المرجع نفسه،ج3،ص602_603، عاشور:**الحركة**،ج1،ص475،البيشاوي:**الممتلكات**،ص426،

([3]) الفيتري:**تاريخ**،ص29_30 Benvenisti.p.254. Cf.also,Richard.J.Agricultural.p.259.
استخدم الفرنجةالماء من أجل تشغيل طواحين (معاصر) السكر التي كانت تشبه طواحين الدقيق إلى حد كبير،ولكن الاختلاف الوحيد بينهما هو حجر الرحى،. Benvenisti.M.p.254 تعرف المادة التي ترشح من السلال باسم عسل السكر،وله طعم لذيذ ويستعمل في صناعة الكعك،أنظر الدباغ:**بلادنا**،ج 7،ق2،ص 377_378،

([4]) رانسيمان:المرجع نفسه،ج3،ص602_603، البيشاوي:**الممتلكات**،ص440_441، Cahen.op.cit.II.p.293.Cf also Rey.op.cit.pp.248_249.

بأشجار الزيتون بكثرة منذ القدم،وقد امتدح الجاحظ الزيت الشامي عامة،وأعتبر أنـه مـضرب المثل في الصفاء والنظافة،وكان يعرف بالزيت الركابي لأنه كان يحمل على الإبل من الشام[1]، وهي صناعة متطورة إلى درجة كبيرة في مدن فلسطين وقراها قبل استيلاء الفرنجة عليها.

وليس من شك في أن صناعة استخراج زيت الزيتون وصناعة الصابون كانت تقوم أساسـا على ثمار الزيتون، وربما يرجع ارتفاع الضرائب المقررة على محصول الزيتون إلى أهميتـه بالنسبة لهاتين الصناعتين، وأن سادة حيفا والإقطاعيين فيها كانوا يحققون أموالا طائلة من ريف حيفا المزروعة بهذا النوع من الأشجار[2]. كما اشتهرت حيفا في العـصر الفرنجـي بتـصنيع النبيذ، خاصة أن الكروم كانت منتشرة في جميع قرى حيفا وجبل الكرمل، مما زاد من انتـاج حيفا من النبيذ الذي كان في نظر الاوروبيين مقدسا، وكان النبيذ الفلـسطيني يحظـى بـشهرة عالمية، ولذلك وجد اقبالا من قبل التجار الاوروبيين، حيث ذكر ياقوت الحمـوي :ان الـشراب عند سكان فلسطين من الفرنجة كثير(لان انتاج النبيذ في الاراضي المقدسة غزير) [3]، وأشـار الرحالة الالماني بور شارد الى عده مناطق في فلسطين كانت تشتهر بصناعة النبيذ الجيد مثـل بيت لحم وصيدا وجميع المناطق والاراضي والقرى الممتدة على الساحل الفلسطيني، مما يـشير إلى أن إقطاعية حيفا كانت من ضمن المناطق الشهيرة بإنتاج النبيذ الجيد .

وقد توافرت تربية دودة القز حول المدن الساحلية للشام من ضـمنها حيفـا وطـرابلس وبيروت وعكا، ولذلك كان هناك صناعة المنسوجات الحريرية والتى تصنع بدقة عالية من اجل

([1]) Cf.alsoBenvenisti.M.p.253 الصناعة في فلسطين في القرنين الثاني عشر والثالث عـشر للمـيلاد الدراسـات الفلسطينية،ص541، البيشاوي،**نابلس** 236،أنظر.Prawer.The Latin kingdom.p.361 ، البيشاوي:**الممتلكات** 427-428.

([2]) البشاري:المصدر نفسه،180، النقاش:**العلاقات**،ص83، البيشاوي، **الممتلكـات**، ص477، Cf.also,Prawer,J.,The Latin Kingdom, P.361

([3]) الحموي:**معجم**، ج2، ص 519 - 520،

انظر البيشاوي:**الممتلكات**، ص 433- 435 Prawer.The Latin,kindom. 361 - 362.

بعد انتهاء السيطرة الفرنجية على الاراضي المقدسة استمرت تصدير النبيذ الى الغرب الاوروبي، وكان النبيذ من الـسلع الرائجة في اوروبا رانسيمان:**الحروب**، ج3، ص 603، بورشارد:**وصف**، ص 171، برتـرا نـدون:**رحلـة**، ص 318، المقدسي:**احسن**، ص180،

التصدير[1]، ومن ضمنها الحرير الشامي، وإنتاج القماش على اختلاف انواعه، لان القطن كـان يزرع في سهول فلسطين ومنطقة الاغوار، ويصدر الى المصانع في مدن الـساحل الفلـسطيني لتصنيعه، ووجد في حيفا مصانع للمنسوجات لقربها من انتاج المـواد الخـام، وكـان اليهـود يحتكرون صباغة الجلود حيث وجد في بيت المقدس مصنع للصباغة كان اليهود يستأجرونه من ملك بيت المقدس، والراجح أن المدابغ لم تنتج كميات من الجلود إلا ما يسد الحاجات المحليـة للإقطاعية[2]، وبرزت شخصيات يهودية في حيفا احتكرت هذه الصناعة مثل شخصية إبـراهيم بن سعد الصباغ الكبير، وكان يجرى تصنيع الأواني الفخارية في حيفا ثم طليها بألوان مختلفـة وتصديرها بكميات كبيرة، وكذلك كان أبناء حيفا يعملون بإنتاج الصبغ الأرجواني الذي عرفـت به حيفا قبل استيلاء الفرنجة على المنطقة، واستمر إنتاجه بعد رحيلهم عنها، وتركزت صناعته في حيفا وصور، ويستخدم في ألوان الملابس، والواقع أن الصانع الفلـسطيني امتـاز بمهـارة عالية في مجال تخصصه ومما يدال على ذلك، أن يوحنا كونت يافا، قـام فـي عـام 662هـ/ 1263م بزيارة السلطان بيبرس عندما كان معسكرا قرب جبل الطور، وحصل منه على وعد بعقد هدنة بينهما وتبادل الأسرى، غير أن منظمتي الداوية و الاسبتارية رفضتا التخلـي عـن الأسرى المسلمين الذين كانوا بحوزتهم بحجة انهم صناع مهرة وهم يشكلون موردا ماديا لهم، فارتاع الظاهر بيبرس لهذا الاستغلال وقطع المفاوضات، وتحرك نحو الناصرة و نهبها [3].

وقد اهتم ملوك بيت المقدس بأمور التجارة مع جيرانهم من المسلمين، ومنحوا حقـوق التصدير والاستيراد القديمة للتجار، والتي كانت سائدة في الاراضـي المقدسـة قبـل الغـزو

([1]) التطيلي:**رحلة**، ص98 - 99، رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص 603، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 445، حيث احتكر اليهود في حيفا صناعة الصباغة، وبأيدهم أيضا صناعة الزجاج

([2]) رانسيمان:**الحروب**، ج3، ص 603،.Heyd.op. cit. I. p. 179

([3]) العيني:عقد، يشير العيني الى انعقاد هدنه في تلك السنة بين يوحنا كونت يافا ويوحنا سيد بيـروت وبـين الـسلطان بيبرس انظر المقريزي:**السلوك**، ج2، ص218 - 219، رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص 544، 546
Cf. Besant and Palmer. Jerusalem The City.p. 26- 265-. Prawer. **The Latin kingdom p.**377.Cf. also Richard. op. cit. vol.I. p. 73- 74.

الفرنجي[1]، ومن المؤكد ان القرار الذي اصدره بلدوين الثـاني سـنة 597ه/ 1120م، برفـع الضرائب عن تجارة الحبوب وجميع أنواع البقول شجع تجار المسلمين والنصارى على التبادل التجاري بأمان، وكان هدفه من ذلك هو توفير السلع التموينية لسكان بيت المقدس، وبهذا يكـون الملك قد طبق أسلوب التجارة الحرة للتجار المسلمين أو الفرنجة [2]، وأن فكرة الملك بلـدوين الثاني الرامية إلى تشجيع التجارة والسماح للتجار بإحضار بضائعهم دون خـوف قـد حققـت أهدافها، إذ ازداد عدد سكان بيت المقدس، وأصبحت المدينة المركـز التجـاري الـرئيس فـي فلسطين[3]، وقد قام ملوك بيت المقدس والسادة الإقطاعيون بعقد الهدن مع المسلمين، وتـشجيع النشاط التجاري، وحرية التنقل، وكان الفرنج يحصلون على حاجياتهم من دمشق، لذلك اعتبروا أن الحملة الفرنجية الثانية على دمشق تصرف خاطئ من الفرنجة، لأنها أثرت سـلبيا علـى التبادل التجاري بين الطرفين [4]، وربما كان ميناء حيفا من أكثر المدن الساحلية تأثرا بنتائج هذه الحملة، غير أن ذلك التأثير لم يستمر طويلا، إذ ما لبثت التجارة النشطة أن عادت إلى سـالف عهدها بين مختلف مدن المملكة وقراها، وأن تجار اقطاعية حيفا كانوا يأتون إلى الإقطاعـات الفرنجية والمستوطنات الكنسية ويشترون أهم المحاصيل والسلع التي تنتجها هـذه الإقطاعـات، وخاصة الحبوب والنبيذ والخضراوات بكافة أنواعها، وفي نفس الوقت يبيعون مـا لـديهم مـن بضائع ومنتجات مثل الأسلحة والأقمشة إلى سكان هـذه المـستوطنات الكنـسية والإقطاعـات الاخرى، سواء كان هؤلاء من المستوطنين الأوروبيين أو من المـسيحيين الـشرقيين أو مـن المسلمين.

([1]) التطيلي:**الرحلة**، ص 98 - 99، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 445، .Richard.J. op. cit.vol.I. p. 73

([2]) الشارترى:**تاريخ**، ص 165 - 167، الصوري المصدر نفسه، ج1، ص 537،

([3]) بن جبير:**الرحلة**، ص 210، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 445،

([4]) اليسيف:**المملكة**، ص 228 - 229، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 445 - 446،

وكانت تجارة النبيذ رائجة في معظم المدن وإقطاعات المملكة، حيث يوضع فـي براميـل خشبية ويباع بالتجزئة في زجاجات، وقد كان تجار النبيذ على علم بأن سلعهم معروفة باستمرار في الغرب الأوروبي وأن نبيذهم مقدس في اوروبا [1].

واستمرت العلاقات التجارية الجيدة بين الفرنجة والمسلمين على أفضل وجه، وكثيرا مـا تضمنت المعاهدات بينهما وخصوصا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بنـودا لصالح التجار وتوفير الضمانات اللازمة لهم، وتامين خطوط سير القوافل التجارية وغيرهـا[2] وقد أشار ابن جبير إلى ذلك بقوله :(واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بـلاد الفـرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا كذلك[3].

يتضح من حديث ابن جبير أن الحركة التجارية لم تنقطع بين الصليبيين والمسلمين علـى الرغم من استمرار الحروب والمناوشات بين الطرفين، وكان تجار المسلمين يؤدون الـضرائب للفرنجةأثناء عبورهم للبلاد الخاضعة للسيطرة الفرنجية، وكذلك الحال بالنسبة للتجار النـصارى الذين يعبرون البلاد الاسلامية، فإنهم كانوا يؤدون الضرائب علـى تجـارتهم، أمـا المراكـز الجمركية لمملكة بيت المقدس البرية ففي الجنوب كانت* قلعة الداروم عند الحدود المـصرية، وفي شمال المملكة كانت الحدود الجمركية البرية عند الجسر الحديدي بين إنطاكية وحلب، أمـا في الحدود الجنوبية الشرقية فكانت نقطة الجمرك (المكوس) عنـد حـصن المرقـب جنـوب الأردن[4].

([1]) Cf. Rohricht. R. Regesta. Doc. No. 548.p146 Cf.Also Benvenisti. M. p. 378..
انظر البيشاوي :الممتلكات، ص 446،

([2]) من أمثلة هذه المعاهدات التي عقدت بين المنصور سيف الدين قلاوون والفرنجة في عام 683ه/ 1283م، انظر النص الكامل للمعاهدة في اسامة زكي زيد، صيدا، الملحق الخامس، ص 293 - 301، عبد الوهاب:قيسارية، ص 245.

([3]) ابن جبير:الرحلة، ص 260 - 261، البيشاوي:الممتلكات، ص 447، البيشاوي:نابلس، ص 221،

([4]) عاشور:المرجع نفسه، ج1، ص 475، الحويرى:الأوضاع، ص 134، رانسيمان:الحـروب، ج3، ص 602 - 603، البيشاوي:الممتلكات، ص 447، .Heyd.op. cit. I. p. 178,Cf. Also Cahen.op. cit.II. p. 293 امـا عـن نقـاط الجمارك على حدود مملكة بيت المقدس. انظر Cf. Rey.op. cit.pp. 234

وقد حصل أمراء حيفا وسادة مدن الاقطاعية على موارد بالغة الضخامة مـن الـضرائب التي فرضت على البضائع التي اجتازت مناطقهم، وتم تصديرها إلى الغرب الأوروبي، حيـث اشتد الطلب في اوروبا على التوابل والأصباغ، والعطور والحرير والخزف وغيرها[1].

على أية حال كانت التجارة الخارجية والترانزيت من الشرق إلى الغرب تحقق دخلا عظيما لحاكم بيت المقدس وسادة حيفا، ولكنهم لم يستفيدوا كثيرا من ذلك النشاط الاقتصادي المحيط في اقطاعيتهم، حقيقة أنهم فرضوا كثيرا من الضرائب على الصادرات والواردات، وعلى القوافـل المارة بأراضيهم، فضلا عن الاحتكارات التي حاكى فيها ملوك بيت المقدس الـنظم البيزنطيـة ولكن هؤلاء الملوك والسادة دأبوا دائما في توزيع تلك الموارد على الكنيسة والهيئات العسكرية كالداوية والاسبتارية والأديرة [2].

ولا بد لنا من الاشارة إلى أن ميناء حيفا وقراها أسهمت في النشاط التجاري الذي شـهدته المنطقة [3]، وكانت حيفا ومنطقتها تشارك في الاستيراد والتصدير عبر ميناؤها، واسهمت قرى حيفا وقلاعها في التجارة الداخلية من خلال حماية طرق التجارة عبر أراضـي الإقطاعيـة[4]، وفضلا عن ذلك أشارت الوثائق الفرنجية إلى سوق حيفا Funda والمراكز الوثائق الفرنجية إلى سوق حيفا Funda والمراكز التجارية الصليبية الخاصة بالبنادقة الذين استقروا في حيفـا، كمـا وردت اشارات عن النشاط التجاري للجماعات الرهبانية العسكرية في حيفا.

ولم تكن العلاقات التجارية بين حيفا والمناطق الاسلامية المجاورة على نطاق واسع مثـل بقيـة المدن التي خضعت للسيطرة الفرنجية، ولعل ذلك يرجع الى عمق شواطئ حيفا، وعدم وجـود ميناء لحماية السفن من القراصنة في حالة الحرب مما يشير الى عدم تمتع حيفا بالمكانة نفـسها

([1]) رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص605، براور:**عالم**، ص 232 - 233، عاشـور:**الحركـة**، ج1، ص 475 - 476، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 448،

([2]) عاشور:المرجع نفسه، ج1، ص 477، 478،

([3]) Hamilton,B.,The Latin church,p.157.
انظر ايضا:**براور**، عالم ص133، البيشاوي، **الممتلكات**، ص484، رانسيمان:المرجع نفسه، ج3،ص605-606.

([4]) Benvenisiti, M.,The Crusaders,pp.309-311 انظر:عبد الوهاب **قيسارية**، ص252، هامش رقم 9

التي تمتعت بها المدن الساحلية الكبرى، وفي ذلك يقول كل من هايد Heyd وكوندير Conder :ان موانئ مملكة بيت المقدس كانت تستقبل كميات كبيرة من منتجات آسيا، وعلى الرغم انهمـا لم يحددا اسماء تلك الموانئ، الا انه من المرجح ان حيفا كانت من ضمنها، وكان لها نصيب من الصادرات والواردات، والتى كانت تصل إليها مباشرة من موانئ آسيا عن طريق البحر، التـى تفرغ حمولتها في ميناء حيفا، ثم يتم نقل المنتجات عن طريق السفن الى اوروبا او الى المـدن الساحلية الخاضعة للسيطرة الفرنجية(1).

وقد تاثرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اقطاعية حيفا بعدة مؤثرات سلبية خلال فترة الصراع المستمر بين الفرنجة والمسلمين، وتعتبر العوامل الطبيعية مثـل الهـزات الارضـية والسيول الجارفة وفترات الجفاف التي أصابت حيفا خلال الوجود الفرنجي، كذلك إلـى جانـب الآفات الزراعية مثل الجراد والفئران، من المؤثرات السلبية التي عانت منها حيفا وقراها، ونتج عن ذلك مجاعة شديدة اصابت البلاد لمدة اربع سنوات (2)، كذلك تعرضت حيفا وقراها لخسائر مادية كبيرة سنة 566ه/1170م، عندما اجتاحت القوات الاسلامية بقيـادة صـلاح الـدين اللـد والرملة وعسقلان وقارب الوصول الى أرسوف.

ولعل الكارثة التي حلت بالفرنجة بعد معركة حطين تبرز مدى تأثير العامل الخارجي على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في إقطاعية حيفا وغيرها من المدن الصليبية، فعلى سبيل المثـال استولى صلاح الدين على حيفا وقراها وطرد الفرنجة منها ثم قام بتدميرها، كذلك تأثرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية سلبا بالمشاكل التي كانت تظهر بين سادة الإقطاعيـات مـع بعـضهم

---

(1) 144-145,Conder, The Latin Kingdom p.18, Benvenisiti, M.,The Crusaders,Heyd,op.cit.,vol.1,.p.174. انظر أيضا:زكي، صيدا،ص112، عبد الوهاب، قيسارية، ص244.

(2) Prawer.J.,The Latin Kingdom,p.519
البيشاوي، **نابلس**، ص215،81-216، العريني:**الشرق**، ج1، ص352، البيشاوي، **الممتلكات**، ص180-181. ذكر ولـيم الصوري ان اجتماع نابلس كان من اجل التشاور لايجاد وسيلة للاصلاح وكبح جماح مرتكبي الاثام، خاصة بعد النكبـات التي حلت بالفرنجة خلال تواجدهم في الاراضي المقدسة. انظر:الـصوري، **تـاريخ**، ج1،ص563، البيـشاوي **نـابلس** ص81،215-216.

البعض، أو مع ملك بيت المقدس في القدس، وزادت هذه المنازعات بعد معركة حطين عام 583هـ/ 1187م، بين سادة الإقطاعيات والملك الاسمي لمملكة بيت المقدس في عكا، كذلك كان للصراع على السلطة بين ملوك وأمراء بيت المقدس نتائج عكسية على المملكة.

وفقدت حيفا كثيرا من أراضيها وقراها عند القاطع الشرقي للإقطاعية بعد معركة حطين عام 583هـ/ 1187م، وعلى مدى الوجود الفرنجي في إقطاعية حيفا، استمر الإيطاليون وخاصة البنادقة منهم التمتع بنفس الامتيازات التي تمتع بها أولئك الذين شاركوا في غزو البلاد [1] من عام 492هـ/1099م، حتى القضاء عليهم تماما في عام 690هـ/ 1291م، وهو الإعفاء من الضرائب والرسوم الجمركية، وعلى مدى ثمانية أجيال، هذا الوضع المتميز للبنادقة جعل أية منافسة مع الفرنجة المحليين، الذين كانوا يدفعون رسوما جمركية كاملة، أمرا لا يمكن التفكير فيه ببساطة مما كان له أثر سلبي على اقطاعية حيفا، حيث لم يرد من هذه الموانئ القدر الكبير من النقد إلى خزينة المملكة وخزينة الاقطاعية، وعيشهم في مستعمرات خاصة بهم داخل المدن الفرنجية كان له الإثر السلبي على خلق مجتمع فرنجي شرقي واحد متماسك [2] أما من العوامل الإيجابية المؤثرة على الحياة الاقتصادية كانت اوروبا تعتبر نفسها قيمة على سليلتها الشابة مملكة بيت المقدس اللاتينية وعلى مدى قرنين من الزمان (492 - 690 هـ/1099 - 1291م) فكانت تهتم بالمملكة وترسل اليها المهاجرين الجدد باستمرار لتغذيتها بالعنصر البشري التي هي بأشد الحاجة إليه، وتقدم المعونات المالية لخزائن الفرنجة الخاوية دائما، من جراء الأنفاق على المجهود الحربي، واستمرت أوروبا ولاخر أيام الوجود الفرنجي بالشرق تجهز الحملات العسكرية الجديدة وترسلها إلى بلاد الشام، ولكن الحركة الفرنجية كانت حينذاك تسير في طريق نهايتها المحتومة[3].

---

(1) رانسيمان، **الحروب**، ج 3، ص 621.

(2) براور: **عالم**، ص 163 - 165،

(3) براور: المرجع نفسه، ص 138 - 139.

وقد خلقت المملكة اللاتينية بالقدس أزمات اقتصادية خطيرة في البلاد الاسلامية كتلك التي حدثت عام 658ه/1259م، حيث أصيبت بلاد الشام بغلاء شديد وارتفعت أسعار كافة السلع ارتفاعا كبيرا بسبب ما أحدثه الفرنجة من تلاعب في النقود المعروفة بـالنقود اليافية، والتي ذكرت المصادر الاسلامية بأنها كانت كثيرة الغش [1]، كذلك أدت السياسة الفرنجية في تهريب الذهب من مصر و الشام إلى البندقية ومرسيليا وبرشلونة الى حدوث أزمة اقتصادية خطيرة تمثلت في نقص الذهب نقصا ملحوظا من الاسواق الاسلامية.

يتضح مما سبق أن النقد في الشرق الفرنجي كان مصدرا آخر للقوة الاقتصادية في الامارات الفرنجية في الشام، ويدل دلالة واضحة على اتساع المعاملات المالية بين الطرفين، وان هذه المعاملات فرضت نفسها على الاعتبارات الاخرى، وكانت هذه العملة تسمى باليونانية واللاتينية (بيزنت) وبالعربية دينارBesant - Saracenat ، وهي التي كانت تعرف بالدنانير الإسلامية (أو الصورية)، والتي هي ليست الا تقليدا للدنانير الفاطمية [2]. وانتشر تداولها في أنحاء الشرق الأدنى، وكان ينقش عليها كلمات عربية مشفوعة بالتاريخ الهجري زخرفها اسم حاكم البلاد الاسلامية، ومما هو اعجب من هذا وذاك، أنه نقشت عليها آيات قرآنية، وأحيانا كان ينقش عليها رسم صليب صغير الحجم، والحروف الاولى من اسم الأمير اللاتيني في القدس لدلالة على صفتها الحقيقية [3]، وقد يقصد بذلك أن يقبل المسلمون من الأمراء والتجار على تداولها مثلما كان الفرنجة يقبلون على تداول نظيراتها من العملات الاسلامية.

وتطرق ابن جبير للضرائب التى فرضها الفرنجة على سكان البلاد الاصليين، والعلاقة التى كانت قائمة بين الطرفين داخل المملكة اللاتينية، وعلى الرغم أنه لم يزر مدينة حيفا إلا أنه ذكر أن تلك الاجراءات تطبق على كل المدن الخاضعة للفرنجة، وهو ان يقوموا بتقديم نصف

([1]) اليونيني:**ذيل**، ج1، ص 379، رانسيمان:المرجع نفسه، ج1، ص 459، دويكات:**طبرية**، ص 292، 293

([2]) رانسيمان:**الحروب**، ج3، ص 618 - 619، انظر كاهن، ج3، ص 338،

وقد أورد كاهن مناقشة بالغة الأهمية حول هذا الموضوع على أن قيمة الذهب في الدينار الإسلامي في بيت المقدس الفرنجي لا تزيد الا قليلا عن ثلثي ما تحويه الدنانير الفاطمية.:انظر ملحق البيزنت

([3]) قدري قلعجي:**صلاح الدين**، ف 31، ص 613 - 614، رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص 619.

المحصول عند جمعه وضريبة على كل رأس تقدر بدينار وخمسة قراريط، كما كانـت هنـاك ضريبة تحصل على ثمار الأشجار بكافة أنواعها [1]، اما بالنسبة لمـساكن الأهـالي وأمـوالهم فكانت بأيديهم لا يمسها الفرنجة [2]، وكانت العلاقة بين هؤلاء السكان المسلمين وبين الفرنجـة علاقة تبعية وعدائية وخضوع، فالمسلمون كانوا ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من الـتخلص من الفرنجة، أما اليهود فعلى الرغم من أنهم كانت لديهم قوانينهم الخاصة بهم،إلا انهم أجبـروا على دفع ضريبة الرأس مثل المسلمين، وقد فرضت على كل يهودي تعدى الخامسة عشرة مـن عمره [3]، وعلى الرغم من كل ذلك، فلا بد لنا من أن نشير إلى ما كان يعانيه الفلاح المسلم في الاراضي المقدسة في ظل السيطرة الصليبية من وطأة الأعباء المالية الملقاة على عاتقه، فقد كان ملزما بسداد عدة ضرائب إلى السيد الاقطاعي:- أولها الضرائب العينية التي كانت تؤخذ علـى الحنطة وتتراوح ما بين ثلث أو ربع المحصول وأطلقوا عليها (Terrahe) أو(Carragium))، وهى مشتقة من اللفظة العربية (خراج) وثانيها التزام الفلاح بسداد ضرائب عينية مماثلة علـى مزارع الكروم وأشجار الزيتون والفاكهة، وتتفاوت الضريبة ما بين ربع المحصول ونصفه[4].

أما رجال الدين في الإقطاعات الكنسية فقد فرضـوا علـى أشـجار الكرمـة والزيتـون المزروعة حديثا خمس ما تدره هذه الأشجار من ثمار، بينما فرضوا على الأشجار المزروعـة منذ فترة طويلة نصف ما تدره هذه الأشجار، كذلك اختلفت نسبة الضرائب التي فرضها رجـال الدين اللاتين على الاراضي الزراعية من منطقة لأخرى، بالاضافة الى ما سبق فقـد فرضـوا ثلاثة أنواع من الضرائب، كانت تحصل من المزارعين المسلمين في لاقطاعات الكنسية، الاولى ضريبة العشر والثانية ضريبة المزروعات، والثالثة ضريبة إضافية تدفع ثلاث مرات في السنة،

---

(1) ابن جبير:**الرحلة**، ص 210 - 211، عبد الوهاب :**قيسارية**، ص 245.

(2) توفيق:**مملكة**، ص 106. زيد:**صيدا**، ص105، هامش رقم (1)

(3) ابن الاثير:**الكامل**، ج10، ص 383، عبد الوهاب :**قيسارية**، ص 245، البيـشاوي:**الممتلكـات الكنـسية**، ص 372 Benvenisti Meron.The Crusaders op.cit.p.18 Cf. Also Richard.op. cit.vol. I. p. 135. Conder.op. cit. p. 248.،

(4) ابن جبير:**الرحلة**، ص 284، الشارترى:تاريخ، ص 189- 190، الشاعر:**احوال**، ص 15 -16، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 372- 373، توفيق:**مملكة** ص 106

وخاصة خلال الأعياد الدينية المسيحية [1]، كما كان الفلاح ملزما بتقديم الهدايا الجبرية ثـلاث مرات في السنة إلى السيد الاقطاعي. واشتملت تلك الهدايا على طائر مـن الطيـور وعـشره بيضات، ونصف رطل جبن، وأثنى عشر بيزنط على كل حمل خشب [2]، بالإضافة إلى أعبـاء أخرى، منها العمل بالسخرة في أراضي السيد الاقطاعي، ونقل الحاصلات الزراعية من حبوب وبقول إلى الأجران أو أماكن درس الحنطة والحرث والـزرع والحـصاد فـي ارض الـسيد الإقطاعي، وإلزامه بدفع ضريبة على النحل وعلى العسل وعلى الحيوانات الداجنة التي يقتنيهـا الفلاح الفلسطيني.وهناك ضرائب مقابـل الـسماح للفـلاح برعـى الماشـية فـي أراضـي المراعيوضرائب مقابل جمع الأخشاب لأغراض الوقود وبنـاء المـساكن واسـتخدامه فـروع الأشجار كأعمدة في مزارع الكروم، كما يتمتع السيد الاقطاعي بحقـوق الاحتكـار وتحـصيل ضرائب من الفلاحين مقابل استخدامهم لمطحنة القرية أو للمخابز أو للحمامات [3]ولعل تفـاوت نسبة الضرائب التي فرضها رجال الدين اللاتين والسادة الاقطاعيون يرجع إلى عدة أمور منهـا خصوبة الأرض وقدرتها الإنتاجية، فإذا كانت الأرض خصبة ونسبة المحاصيل التـي تنتجهـا عالية، فمن المحتمل أن يلجأ السيد الاقطاعي رفع مقدار الضريبة المقررة عليها، ومن الممكـن أيضا أن يلجأ سادة الإقطاعيات ورجال الدين الى تخفيض نـسبة الـضرائب المقـررة علـى المحاصيل اذا كانت الارض غير منتجة، كما كان الفلاح مجبرا على تحمل أعبـاء ضـريبية أخرى مثل ما حدث سنة 579هـ/ 1183م، حينما أصدرت المملكة قانونا يـنص علـى فـرض ضرائب جديدة على كل سكان المملكة للدفاع عنها أمام الاخطار التى ظهرت من جراء صـعود نجم صلاح الدين [4]، ونص ذلك القانون على إلزام كل فرد في المملكة بدفع الضريبة الجديـدة

(1) البيشاوي:**الممتلكات**، ص 430 - 456،
Cf. Genevieve.B.B. Actes. Nos. 123 -126.pp.249- 250 -253. de Roziere Docs. Nois. 135.p. 252. Cf. Also. Migne. tomus. 135 Docs. Nos. 135 - 136. Cols. 1125 - 1127

(2) رايلي:**الاسبتارية**، ص 23، طرخان:**النظم**، ص 47 - 48، Cf. Strehik:Tabula Ordinis no. 122-91-94.

(3) Cf. Also Muller.op. cit. p.11. Latinkingdom.p. 315.

(4) عبد الوهاب:**قيسارية**، ص 245، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 239298 .Conder.op. cit..p

بصرف النظر عن لغته أو عشيرته أو ديانته أو جنسه [1]ولما كان المسلمون يـشكلون الغالبيـة العظمى من السكان، فقد كان معنى ذلك إضافة أعباء مالية جديدة عليهم فوق ما تكبـدوه مـن أعباء وان يقوموا بتأدية هذه الضريبة أكثر من غيرهم، لذلك عينت الحكومـة أربعـة رجـال موثوق بهم في كل ناحية أو مدينة ليقوموا بتحديد قيمة ممتلكات كل فرد في المملكة ودخلـه، و فرضت تلك اللجنة ضريبة قدرها واحد في المائة على ممتلكات الفرد الواحد اذا زادت قيمتهـا عن مائة بيزنت[2]، ولما كانت ممتلكات الفرد المسلم أقل من هذا المبلغ بصفة عامة فقد توجـب عليه أن يدفع بيزنت واحد عن السكن الواحد، وفي حاله عدم الاستطاعة يدفع نـصف بيزنـت، وان لم يستطع فعلية أن يدفع ربع بيزنت، وكان السادة الإقطاعيون ملزمين بسداد تلك الـضريبة للدولة نيابة عن الفلاحين مقدما، وهم بدورهم يقومون بتوزيع المبالغ على السكان وفقا لمقـدرة كل فرد[3]. وكانت الأرض الزراعية ومن يعمل بها من الفلاحين إضافة إلى قطعات الماشية من أملاك السيد الاقطاعي، وكان نوع أخر من الفلاحين المسلمين يعملون بلا أرض مقابل حصولهم على جزء محدود من محصول الأرض[4].

أما بالنسبة لاوضاع المسلمين المقيمين في الإقطاعيات الكنسية فلم تكن افضل من إخـوانهم الذين كانوا يعيشون في الإقطاعيات الدنيوية، فقد سلبت أراضـيهم وأصـبحوا يعملـون بهـا كمستأجرين، يؤدون الضرائب على المحاصيل والثمار التي تنتجها أراضيهم التي وضع الفرنجة أيديهم عليها بالقوة، دون أن يقيموا أي اعتبار لأصحابها الأصليين، بل على العكس من ذلك، قام رجال الدين اللاتين بتوطين عائلات أوروبية في القرى العربية وفي نفس الوقت كـان رجـال الدين يقومون بتهجير السكان المسلمين من قراهم إلى قرى عربية أخرى مثـل تهجيـر أهـل كفرمالك المسلمين إلى بيت فوريك قرب نابلس، وفي هذه الحالة كان أصحاب الأراضي يفقدون كل ما يملكون من عقارات مثل المنازل والطواحين والمحاريث والمخابز ومعاصر الزيتون وما

([1]) سميث:**الاسبتارية**، ص 23 - 24، الشاعر:احوال، ص 16 - 17، نعيرات:**بيسان**، ص 234 - 235،

([2]) البيزنت:يعادل دينار اسلامي، انظر ملحق البيزنت

([3]) الصورى:**تاريخ**، ج2، ص 1054 - 1057،

([4]) البيشاوي:**نابلس**، ص 214،217 .Cf. Benvenisti.op. cot.M. p.

شابه ذلك من عقارات [1] وهكذا كان الفلاحون المسلمون معرضون لمختلـف أنـواع التعـذيب إضافة إلى القتل، وقد أمدنا أسامة بن منقذ بمثال يوضح قوة الأحكام الفرنجيـة علـى القـرى الاسلامية، وقد أشار أسامة إلى أن أحد فلاحي القرى الفلـسطينية فقـد حياتـه نتيجـة أحكـام الصليبيين الجائرة، وذلك لانهم اتهموه بأنه ارشد اللصوص إلى إحدى الضياع الفرنجية لسرقتها [2] أما المستوطنون الفرنج فقد أدوا بعض الضرائب مثل ضريبة العشر التى كانت تترتب على محاصيلهم فيما عدا الزيتون، كما توجب عليهم دفع عائدات معينة كانت مألوفة في تلك الفترة [3] ولكن تلك الضرائب لم تكن لتشكل أي عبء مالي على المستوطن الفرنجي قياسا الى ما عانـاه الفلاح المسلم، ونلفت نظر الباحث ان العلاقات العدائية بين الفرنجة المحتلـين والمـسلمين لـم تقتصر على النواحي السياسية والعسكرية، بل تعدتها الى النواحي الاقتصادية، بحيث اتبع الفرنج سياسة ترمى إلى تخريب اقتصاد الدول الإسلامية المحيطة بها وزعزعته، ومن الأمثلة على ذلك القيام بشن الغارات الخاطفة لا من اجل التوسع فقط، بل من أجل الـسلب والنهـب والتـدمير لاضعاف شوكة المسلمين وتخريب اقتصادهم[4].

3.5 المنشآت العمرانية:

اهتم الفرنجة بتأسيس القلاع، والحصون، والأبراج، والأسوار، وجميع مـا يحقـق لهـم الدفاع عن أنفسهم ويشعرهم بالأمان. أما بالنسبة لبناء القصور، والمنازل،والكنـائس، والأديـرة فكانت مؤجلة حتى يحكموا سيطرتهم علـى الـبلاد. وشـرع الفرنجـة بإصـلاح أسـوارها وتحصيناتها[5]. ولم يتطلب ذلك منهم جهودا مضنية لأن الأصلاح انصب على تـرميم اجـزاءا

([1]) البيشاوي:**الممتلكات**، ص 372 - 373،

([2]) اسامة بن منقذ:**كتاب الاعتبار**، ص 138، البيشاوي:**نابلس**، ص 215

([3]) سميث:الاسبتارية، ص 434، دويكات:طبرية، ص 292،

([4]) رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص 617، Rey. Les Golonies Frangues. pp.105- 108.

([5]) بورشارد :**وصف**، ص 47، دانيال الراهب:رحلة دنيال، ص 112، رانسيمان:المرجـع نفـسه، ج3، ص124،أنظـر ايضا:سميل:**الحروب**، ص 211.

متفرقة من الأسوار والتحصينات ؛لان حيفا كانت مدينة قوية التحصين في العـصر الـسلجوقي والفاطمي. ويوجد فـي اقطاعيـة حيفا عدة قلاع وحصون تم ترميمها في بداية العصر الفرنجي، حيث قام الأمير تانكرد في بداية تبعية حيفا لإمارة الجليل، لمنح إحدى حصون حيفا لدير القديسة مريم فـي وادي يهـو شـفاط، وجرى ترميمه وتطويره والأشراف عليه من قبل رجال الدين اللاتين [1] كما يوجد في اقطاعية حيفا كثير من الحصون الصغيرة في بعض القرى والضياع مثل :كفر لام، وحصن البـرج، و قرية ام خالد المحصنة جيدا والواقعة جنوب حيفا.

اما الخطوة الثانية للفرنجة فكانت تشيد العديد من القلاع والأسوار والدفاعات علـى طـول الساحل بين قيسارية جنوبا وحيفا شمالا وعند السفوح الجنوبية الغربية لجبل الكرمل، عند مصب وادي فلاح حيث تم إنشاء قلعة دوستري (Doustry) وقام فرسان الداوية في بدايـة الاحـتلال الفرنجي ببناء قلعة المقاطعة أو(قلعة الضاحية) وهي تتحكم في إحدى أودية جبل الكرمل شمال حيفا، ويمتد من البحر إلى شرق جبل الكرمل، وغالبا ما كان ممرا وملاذا يحتمي به المقاومون المسلمون، عندما ينزلون من البحر ويهاجمون مراكز تجمعات الفرنجة على جبل الكرمـل [2]، وقد أقام الفرنجة بجهود واسعة لحماية المدن وسكانها الفرنجة سلسلة من الدفاعات حـول حيفـا والمنطقة الريفية المحيطة بها، تتضمن إقامة العديد من القلاع والحصون الاخـرى، لتعـويض نواقص الطبيعة بواسطة ما يقوم به الإنسان من إنشاءات وحصون، لتشجيع جذب المـستوطنين

أشار أحد الصليبيين الذين رافقوا الحملة الفرنجية الاولى إلى أن مدينة حيفا ضايقتهم، إذ كانت معقلا وفخرا لسكانها مـن ناحية أخرى، ولذلك قرر الفرنجة السيطرة على حيفا قبل غيرها من المدن، فإذا تيسر لهم السيطرة عليهـا، فـإن ذلـك سيسهل عليهم السيطرة على المدن الأخرى .

Cf. Albert d Aix.op. cit.pp. 522- 523 -549-553. Fulcher of Chartres.p. 142. Prawer.J. The Jews in the Latin Kingdom of Jerusalem.pp. 22- 24. الفيتري:تاريخ ص 56 - 57

([1]) Rohricht. Regest, Doc. No. 18. pp. 18-19. البيشاوي:**الممتلكات**، ص 190،

([2]) ماير:المرجع نفسه، ص 355 - 356.

الجدد،وللسيطرة على المنطقة المحلية، وقد تم استخدام هذه القلاع والحصون كمراكـز إداريـة آمنة للبلاد المحيطة بها [1].

وكانت قلعة حيفا مقراً لإقامة السيد الإقطاعي، وقاعدة يمارس من خلالهـا سـيطرته علـى الإقطاعية، ولما كان عدد الفرنج الذين مكثوا في إقطاعية حيفا قليلا بسبب عودة قسم كبير ممن اشترك في الحملة الأولى إلى الغرب، فقد ترتب على ذلك البحث عن وسائل أخـرى لحمايـة أنفسهم في وسط إسلامي معادٍ [2] وفي الوقت نفسه التوسع والسيطرة علـى بـاقي فلـسطين والمناطق المحيطة بها، ولهذا شيد الفرنج العديد من القلاع والحصون المنيعة التي مـا زالـت آثارها باقية في حيفا والمناطق المحيطة بها حتى هذه الأيام [3]

ويبدو أن العمارة وفن إنشاء التحصينات العسكرية الفرنجية في منطقـة الـشرق العربـي الإسلامي قد تأثرت في شكلها وتصميمها بما كان سائدا في الغرب الأوروبي، الذي اعتمد على الفن المعماري القوطي، ولقد كان قيام الفرنجة بتشييد تحصينات عسكرية وقلاع في المملكة التي يحاصرها الأعداء المحليين من كل جانب أمرا مهما، ولا شك أن الفرنجة كانوا علـى اسـتعداد للتعلم من البيزنطيين والمسلمين على حد سواء في مجال فنون العمارة العـسكرية [4]، وكانـت الأبراج والأسوار والحصون في إقطاعية حيفا وباقي المدن الساحلية تبنى من حجـارة كبيـرة مرصوصة بطريقة هندسية بديعة، ويتوسط كل حجرين متجاورين قطع خشبية تـربط بينهمـا، ويذكر ريRey [5] أن هذه الطريقة هي المفضلة في المباني البحرية وقـت ذاك، لان اسـتخدام القطع الحديدية بدلا منها يجعلها تتأثر بالرطوبة وتتعرض للصدأ، مما يؤثر على البنـاء بـصفة

([1]) سميل:المرجع نفسه، ص211،58 - 212، رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص 624، براور:**الاسـتيطان**، ص 353، ماير:المرجع نفسه، ص 227.

([2]) ريتشارد:**تكوين**، ص 158، انظر جوزيف:**سبع**، ص 116،

([3]) سميل:المرجع نفسه، ص 55 - 56، براور:**عـالم**، ص 120، رانـسيمان:المرجـع نفـسه، ج3، ص 636، Cf. .Enlart.op. cit.II. pp. 378- 379

([4])

([5]) سميل:المرجع نفسه، ص 58 و 209، رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص 628،.

(4) Rey.op. cit.p. 157.

عامة [1]، وتحصينات حيفا كان لها ثلاث وحدات دفاع رئيسة هي :الدفاعات الخارجية المتمثلة في الأسوار المحيطة بالمدينة، ثم الأبراج والحصن المركزي، فضلا عن الخندق المقـام أمـام الاسوار، كما اقيم جرف مقابل الخندق، ويوجد خارج أسوار حيفا من الجهة الشرقية والجنوبيـة أبراج طول البرج الواحد منها سبعة وعشرون مترا، وعرضه إحدى وعـشرين متـرا، تتـسم بالطابع الفرنجي الفرنسي، ويوجد به خزانات مياه تقع على ارتفاع ثمانية أمتـار فـوق سـطح البحر، ويوجد به أيضا مخبأ كبير للجنود يمكن الوصول إليه عن طريق ممر، بالإضـافة إلـى ثلاثة أبراج ضخمة بالقرب من بوابات المدينة الرئيسه، ويبلغ عرض هذا الخنـدق 45 قـدما، وعمقه يتراوح 24 - 36 قدما، ومن قاع الخندق تبرز الحوائط الخارجية وقواعدها ألواح مائلة مصقولة ثقيلة بالقدر الذي يمنع أي محاولة لحفر نفق فيه وتدمير السور وعلـى هـذه القاعـدة الهرمية ارتفعت أسوار حيفا التي وصلت إلى ارتفاع خمسين قدما، وتبرز مـن هـذه الأسـوار شرفات للدفاع، بحيث تشرف على كل المنطقة المحيطة بالمدينة [2].

وقد أحاطت الأسوار حيفا من جميع الجهات، وللمدينة ثلاث بوابات رئيسة،تقع الأولـى فـي السور الجنوبي، والثانية في وسط السور الشرقي، أما البوابة الثالثة فتقع بجانب الزاوية الجنوبية الغربية من السور على شاطئ البحر [3]، ويوجد على كل بوابة قنطرة تمتد على الخندق أمـام الأسوار تؤدي إلى البوابة، وكان الجسر كله او جزء منه يشد من الخشب تدعمه أقواس قائمـة في منتصف الخندق، وكان هذا يساعد المدافعين على حرق الجسر في حالة تعرضـهم لهجـوم قوي، وبذلك يتم عزل حيفا عن المنطقة المحيطة بها، [4] وللبوابة ذاتها جناحان خشبيان يدخلان في فراغ بالحوائط وخلف البوابة الخشبية المقواه بالمعادن، كان هناك حاجز حديدي يتم تـشغليه من الطابق العلوي بواسطة رافعة يدوية وكثيرا ما كانت البوابة على شـكل حـرف(L)، لكـي

([1]) زيد:**صيدا**، ص215، سالم:**دراسات**، ص 145،

([2]) سميل:المرجع نفسه، ص 211 - 212 - 213، براور:**عالم**، ص 201 - 202، رانسيمان:المرجع نفـسه، ج3، ص 624 - 625.

([3]) سميل:المرجع نفسه، ص 212، براور:المرجع نفـسه، ص 202، Conder:The Survey. vol. II. P. 137. Cf. also Benvenisti.op. cit.p. 143.

([4]) انظر براور:المرجع نفسه، ص 202 - 203، Benvenisti.op. cit.pp. 134- 135..

تحول دون الاقتحام المباشر في حالة نجاح الهجوم الذي تتعرض له المدينة، وتحمي البوابة من الداخل شرفة عليا يستطيع المدافعون أن يصبوا منها وابلا من سهامهم على الأعداء المهـاجمين [1] وتغيرت الأمور والظروف بعد أحداث الحملـة الفرنجيـة الثالثـة 587هـ/ 1191م، حيـث انحسرت المملكة الفرنجية على امتداد شريط ساحلي ضيق وأدرك صاحب عكا والملك الاسمي لبيت المقدس (جان دي بريين) مدى الخطورة التي أصبحت تهدد الإقطاعيات الفرنجية الواقعـة شمال حيفا فقام بترميم اسوارها من جديد عام 614هـ/ 1218م، وخاصة من الجنوب اما شـمال المدينة فكان محمياً بسفوح جبل الكرمل، وبذلك شكلت [2] تحصينات حيفا وحده دفاعية مـستقلة يمكن اللجوء إليها عند تعرض المدينة لأي هجوم، وعلى نتوء صخري بـارز داخـل البحـر المتوسط جنوب حيفا على الحد الفاصل بين اقطاعية حيفا وقيسارية استطاع فرسان الداوية عام 614هـ/1217م تشييد قلعة وحصن من اعظم القلاع التي شيدها الفرنجة فـي منطقـة الـشرق الإسلامي وأهمها، وعرفت باسم قلعة الحجاج (قلعة عتليت) تـؤمن حمايـة لحيفـا وقيـسارية والمنطقة المحيطة بها، وهي تمثل نمطا محددا من العمارة والبناء العسكري في تاريخ الحملات الصليبية تحميها من ناحية الشمال والجنوب منحدرات صخرية، أما من جهة الشرق فقد قـام الفرنجة ببناء برجين ارتفاع الواحد منها مائة قدم، وتم حفر سردابين للهروب إلى البحر، وأقـيم برج قوي لحمايتها[3].

ومن أسباب بناء هذه القلعة هو مواجهة القلعة الحصينة التي شيدها المسلمون فـوق جبـل الطور لصد أي هجوم أو غارة على حيفا أو عكا، وأن تكون قاعدة إنزال وانطلاق عند قدوم أية حملة فرنجية جديدة بهدف استرداد بيت المقدس، والحقيقة أن هذا الموقع يمثل حلقة ضعيفة فـي

---

(1) Etan Ayalon, **The New Encyclopedia** vol. I, P. 74

(2) سميل:الحروب، ص 237، عبد الوهاب:**قيسارية**، ص 175، 176، براور:عـالم، ص202 Cf. Benvenisti.op. cit. pp. 143- 144.أشار محي الدين بن عبد الظاهر إلى تحصينات قيسارية وحيفا. انظر:**الروض**، ص 230 - 231،

(3) زودنا المؤرخ الفرنجي اوليفر بادنبورن، بالمزيد من التفاصيل عن عملية بناء قلعة الحجاج، وما عثر عليه الفرنجـة من عملات ذهبية، واسوار قديمة 0أثناء عملية البناء

Cf. **Oliver of Padenborn, The Capture of Damiette**,pp. 18-19, Cf also:Richaed.op. cit. vol.I. p. 220.

الدفاعات الفرنجية بين حيفا وقيسارية [1]، وفعلا تم اغلاق هذه الثغرة ببناء قلعة عتليت، وهناك سبب آخر سبب آخر لتخاص فرسان الداوية من قذارة عكا، وبعد أن تم فك أسر المـلـك لـويس التاسع من دمياط توجه إلى عكا ومكث بالساحل الفلسطيني أربعة سنوات كاملة (648- 652 ﻫ/ 1251- 1254م) إذ قام ببناء قلعة جديدة وبرجين وحفر خنادق عميقة حول أسوار حيفا، ممـا اثار دهشة المسلمين لإنفاقة أموالا طائلة على هذه الترميمات [2]، ولـم يكـد الغـزاة الفرنجـة يطمئنون في مستقرهم حتى جعلوا أول اهتمامهم موجها إلى إصلاح الأماكن المقدسة، ثم تزويد مدنهم الرئيسة بما يناسبها من الكنائس والأديرة وترميم وتجديد ما هو موجود منها فـي جميـع المدن التى تم الاستيلاء عليها، ففي بداية تكوين امارة الجليل 493ﻫ/ 1100م، منح الامير تانكرد حصن في مدينة حيفا لدير القديسة مريم في وادي يهو شفاط في بيت المقدس، وقام رجال الدين بإنشاء كنيسة كبيرة ذات نظام معماري قوطي جميل ملتزما بالتقاليد الفرنسية، وقاموا بترميم هذه الأماكن وتطويرها وشغلها بالرهبان ورجال الدين والاستفادة منها [3]، وكانت الكنائس التى تبنى في المملكة اللاتينية تتخذ الشكل المستطيل، ويقع في طرفها الشرقي محراب معقود يدخل أحيانا في الجدار الخارجي،أما كنائس الداوية في عتليت فاتخذت شكلا مـستديرا، وقـد امتـاز بنـاء الكنائس بالصلابة والمتانة إذ كان عقدا واحدا مدببا، تقاطع فوقة ذراعا صليب يسند اليهما سقف مسطح مشيد من الحجارة، هذا النوع من الكنائس جرى تشيده في حيفا وباقى مـدن الإقطاعيـة [4]أما الكنائس التى شيدت في المدن الكبيرة مثل نابلس وعكا والتى تزيد ضخامة، فإنها كانـت مستطيلة الشكل ذات أجنحة جانبية على امتداد طول البناء، ويفصلها عن صحن الكنيسة أعمـدة وساريات حجرية، وبالكنيسة عادة ثلاث محاريب تمتاز عن خارجها في كثافة الجدار، ولم تكن

([1]) Benvenisiti.op. cit.pp. 143- 176 سميل:المرجع نفسه، ص 219،
عبد الوهاب:**قيسارية**، ص 178، رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص631،

([2]) Stevenson.op. cit.p. 331. Cf. Archer.op. cit. p. 410، جوانفيل:**مذكرات جوانفيل**، ص 265، زيد:**صـيدا**، ص 231، حتى:**تاريخ العرب**، ص656، نسيم:**العدوان**، ص 221،

([3]) البيشاوي:**الممتلكات**، ص 190 - 191، رانسيمان المرجع نفسه، ج3 ص 640،
Delaord.H.F. op. cit.Doc.no.18. pp. 29-32. Rohricht. Regest Doc.No. 18. pp. 18-19.

([4]) Enlart.op. cit.II. pp. 207-249 رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص 136 - 140،

كنيسة الداوية في قلعة عتليت مستديرة، انما كانت ذات اثني عشر ضلعا وتنتمـي إلـى القـرن الثالث عشر الميلادي[1]، وشيدت الكنائس الحديثة في معظم قرى إقطاعية حيفا ومـدنها مثـل الكنيسة التى شيدت في قرية حنّهAnne) والكنيسة المستطيلة الشكل التي أسست في قرية كفـر ناحوم الواقعة في حدود اقطاعية حيفا[2].

وانتشرت الأديرة والكنائس بشكل ملحوظ على جبل الكرمل الذي حظي باهتمام المسيحيين على اختلاف طوائفهم، و رغب جمع غفير من الرهبان و الزهاد في الإقامـة و الـسكن فيه، حتى اشتهر باسم جبل الحجاج أثناء فترة الغزو الفرنجي للأرض المقدسة، وقد بني على جبل الكرمل دير فائق الجمال، ذو فن معماري قوطي على شرف القديسة مـريم، وقامـت عليه جماعة الرهبان الكرمليين[3]، مما يرجح أن رجال الدين اللاتين توسعوا في البناء والعمارة في اقطاعية حيفا وجبل الكرمل لاستيعاب الأعداد الكبيرة من هؤلاء الحجاج والرهبان،

ومهما يكن من أمر، فقد استمرت المنح والإقطاعات تنهال على المؤسسات الكنـسية اللاتينية في منطقة حيفا وأظهر السادة الإقطاعيون سخاء كبيرا نحو هذه المؤسسات[4].

وقد عاش سكان حيفا في بيوت مبنية من الحجر، ويتألف بعضها من طابق واحد، وبعـضها من طابقين أو اكثر، ويتوسط المنزل ساحة سماوية تشمل على بئر ماء وبعض الأشجار ولهـذه

([1]) Enlart.op. cit.II. pp. 15- 23 رانسيمان:المرجع نفسه، ج3، ص 648 -712،

([2]) كفر ناحوم:إحدى القرى الفلسطينية القديمة، وزارها السيد المسيح أكثر من مرة، ودعا عليها وهي تقع في مقاطعـة حيفا على مصب نهر كيشون (نهر المقطع)الذي يمر اسفل السفح الشمالي لجبل الكرمل وعلى بعد 4 فراسخ (اثني عـشر ميلاً) شمال حيفا، انظر بنيـامين التطيلـي:**رحلـة بنيـامين**، ص93 - 94، البيـشاوي:**الممتلكـات**، ص190 - 191، خمار:**موسوعة**، ص 97،

Cf. Ludolph. von. Suchem.S. pp. 63-64.

([3]) الرهبان الكرمليين:هي جماعة رهبانية نسبت إلى جبل الكرمل، وعرفت بهذا الاسم وقد كثر عددها في منطقـة حيفـا وجبل الكرمل، وفروا إلى اوروبا بعد عام 690ه/ 1291م، وانتشروا في المدن الاوروبية، الدباغ:**بلادنـا**، ج7، ق2، ص 471 - 472، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 190، هامش 3،

Cf. Ludolph. von. Sushem.pp. 63- 64.

([4]) بورشارد :**وصف**، ص 38 - 39، الحاج دانيال:**الرحلة**، ص 87- 88 - 105

Rohricht.R. op. cit. Doc. No. 80.pp. 18- 19. William of Tyre. op. cit.vol. 1. pp. 535- 536.

البيشاوي:**الممتلكات**، ص 193 - 194،

البيوت نوافذ مطلة على الشارع [1]، يمكن من خلالها النظر الى الخارج، ووجد إلى جانب ذلك في القرى والريف الحيفاوي بيوت مبنية من البوص (القصب) الذي ينمو علـى ضـفاف نهـر المقطع شمال الاقطاعية، وقرب الينابيع والمستنقعات في شرق حيفا وفي وادي فـلاح جنـوب شرق الاقطاعية، وغالبا ما كانت الطبقة الفقيرة تستخدمه في بناء منازلهـا وإقامـة الجـدران والأسوار[2]

ومن المنشآت العامة التي ازدهرت وتطورت في العصر الفرنجي السوق وكان يقع في وسط مدينة حيفا، موازيا لشاطئ البحر وبه كثير من وكالات التجارو والسفر وخاصة تجار الجمالـة في أحياء البنادقة ذات الاستقلال الذاتي عن مملكة بيت المقدس.

4.5 النظام القضائي

قام النظام القضائي في مملكة بيت المقدس على أساس النظام الاقطـاعي الـذي يعرفـه الغرب، وان كان قد تم تعديله لمواجهة الظروف المحلية والتحديات الخاصة، وانقسمت المملكـة اللاتينية إلى عدد من اقطاعيات الأمراء والضياع التي تدين بالولاء للحكومة المركزية في بيـت المقدس، ومن ضمنها الإقطاعيات والمدن الساحلية مثل إقطاعية حيفا، ونلاحظ أن الإقطاعيـات الساحلية تعتبر صغيرة بالقياس على المستوى الأوروبي، وكانت مدينة حيفا هي المركز المعتاد للإقطاعية، ويسكن السيد الاقطاعي خلال القرن الثاني عشر والثلاث عشر الميلادي فـي قلعـة المدينة أو بالقرب منها حيث يقيم ايضا الجهاز الحاكم العسكري والإداري للإقطاعية [3]بالإضافة إلى ذلك نجد إقطاعية حيفا منظمة على نسق المملكة، فقد كانت محكمة الملك(Curia Regili) أو المحكمة العليا (The High Court)كما أطلق عليها الفرنجة،هي النظام الرئيس الذي قامت

---

(1) خسرو:**سفر**، ص 48، انظر:غوانمة:**نيابة**، ص 128 - 129- 238،

(2) الفيتري:**تاريخ**، ص 33 - 39،

(3) براور:المرجع نفسه، ص 13 - 133، عاشور:**الحركة**، ج1، ص 466

عليه الحكومة الملكية فهنا كان الملك يجتمع مع كبار الإقطاعيين [1]، وكانت المحكمـة العليـا الملكية شأنها شأن أية محكمة أخرى في العالم المسيحي فهي محكمة قانونية فـي المحـل الأول مهمتها إرساء العدالة بين اتباع التاج [2] فضلا عن الفصل فيما ينشأ بين الأمراء من خلافـات، وفوق هذا كان للمحكمة رأي مسموع في توجيه السياسية العامة للمملكة، رغم أن هذه المحكمـة كانت في البداية هي المجلس الأعلى للحكم، مع كونها مجلـسا استـشاريا أصـلا، و تحولـت بالتدريج لتصبح العامل السياسي الحاسم في المملكة [3] على الرغم من أن الملك كان يستطيع أن يختار موضوع المناقشة، لذلك فأن أمور السياسية الخارجية، واعلان الحرب والسلام، وإصدار أوامر التعبئة وفرض الضرائب الاستثنائية (غير الاقطاعية) أمور خاضعة لمداولـة المحكمـة العليا، التي كانت في اصلها هيئة قضائية و لم تلبث. أن اتسعت اختصاصاتها، فأصبحت هيئـة تشريعية لا بد من موافقتها على أي قانون أو تشريع جديد في المحكمة [4]. وفـوق هـذا كـان للمحكمة رأي مسموع في توجيه السياسة العامة للمملكة [5]. ويوجد في حيفا محكمة للبرجوازية Court Of the Burgessesوكانت تعقد جلساتها برئاسة فيكونت حيفا، وهيئة محلفين مؤلفـة من أثني عشر شخصا يختارهم السيد الاقطاعي من بين اتباعه اللاتين [6]، وقد أشـار كتـاب

([1]) كان ملك بيت المقدس يتراس جلسات المحكمة العليا، وفي حاله غيابه نوب عنه الشخصيات في المملكة (الـصنجلي) وكان يساعد الملـك مجموعـة مـن القـضاة يـتم اختيـارهم مـن الفرسـان الـذين يـدينون بـالولاء الاقطـاعي للملك،انظر:رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 480 - 481، براور:المرجع نفسه، ص 131،

Cf. Conder.p.172. **Archer and Kingsford.**p. 125 .

([2]) من الناحية القانونية، كان فرسان البيت الملكي والاتباع في الامارات والإقطاعيات الملكية، هم كبار الاقطاعيين، انظر براور:المرجع نفسه، ص 132 - 133،

([3]) براور:المرجع نفسه، ص 31، رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 481 - 482، البيشاوي:**نابلس**، ص 199

([4]) كانت المحكمة العليا في الأصل، محكمة قانونية، ولها سلطان قضائي على كبار السادة الاقطاعيين، وجرى استشارتها في المسائل الكبرى المرتبطة بسياسة المملكة، وبناء على ذلك أصبحت المحكمة العليا ذات اختصاص سياسـي وقـضائي معا. انظر رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 481 - 483، Cf.Archer and Kingsford.p. 125

ولم يكن للمحكمة العليا مقر ثابت، بل كانت تعقد في أي مدينة من مدن المملكة حسب الظروف المحيطة بها، كلما اقتضت الأوضاع إلى عقدها، وكان عضو جلساتها، الملك الفرنجي، والبطريرك، وكبار السادة الاقطاعيين، وممثلين عن الهيئـات الدينية المحاربة، وممثلين الباليات التجارية، ورؤساء الاساقفة، والاساقفة، ونواب الملك في المدن الملكية.

([5]) راور:المرجع نفسه، ص 131 - 132، رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 481 - 482،

([6]) رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 483 - 484، براور:المرجع نفسه، ص 136، انظر ريشارد:**تكـوين**، ص 153، Cf. Jeand. Ibeli.op. cit. vol.1. p. 419.وقد اشار ريتشارد (Richard) الى ان الملك او الـسيد المحلـى يختـار

قوانين بيت المقدس إلى وجود المحكمة البرجوازية في مدينة حيفا التي كانـت تعقـد جلـساتها بانتظام أيام الاثنين و الأربعاء والجمعة من كل أسبوع، فيما عدا أيام المواسم والأعياد الدينيـة، وتنظر في القضايا التي لم يكن النبلاء طرفا فيها، وتبحث في جميع القضايا المتعلقة بـالنواحي المدنية وكل ما يجري بين أهل مدن الاقطاعية من المعاملات والعهود، كقضايا التعـدي علـى الاراضي، وتقوم بالفصل في جميع القضايا المتعلقة بأفراد الطبقـة البرجوازيـة فـضلا عـن معالجتها لشؤون العبيد [1]كذلك فأنها تفصل في قضايا الفرسان، إذا اختـاروا المثـول أمامهـا، وللمحكمة البرجوازية ما للمحكمة العليا من قوانين، وهي عبارة عن مجموعة عـادات وتقاليـد مرعية لم يجر تدوينها [2]، وقد تحدث أسامة بن منقذ في مذكراته عن بعض طرق الإدانة فـي تلك المحاكم :مثل سمل العيون والمبارزة وإغراق المتهم في الماء [3]، وقد أوجد الفرنجة محكمة للسوق Court of the Market وهي محكمة السوق المنفصلة حيث يوجد أخلاط مـن النـاس تثور بينهم الخلافات [4]، ويقال أن محكمة السوق هي نفس محكمة المدينة، والأرجح أنها كانت إحدى محاكم المدينة الفرعية، وتحكم في المنازعات الصغيرة التي كانت تنشب في السوق، حيث كان المدعوون والمتهمون من جماعات مختلفة، وتنعقد تحت رئاسة فيكونت المدينة، الذي كانت مهمته المحافظة على الأوضاع العامة في الأسواق، وكان يساعده في إتمام تلك المهمة المحتسب أو رئيس الشرطة في المدينة، وليس من شك في أن محكمة السوق كانت تقوم بخدمة قطاع كبير من السكان في اقطاعية حيفا ويوجد في قرى اقطاعية حيفا كثير من المحاكم الوطنيـة، حيـث أبقى الفرنجة على تلك المحاكم في قرى الاقطاعية، لان التوسع في إنشاء محاكم جديدة اقتـصر

المحلفيين البرجوازية، غير ان العادة جرت ان يقوم فيسكونت المدينة باختيارهم. Cf Richard. The Latin Kingdom .of Jerusalem. vol. p. 127

([1]) رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 483، اليوسف:**العلاقات**، ص88، البيشاوي:**نابلس**، ص 200، مصطفى:**فلـسطين**، ص 440.

([2]) باركر:**الحروب**، ص 59 - 61، البيشاوي:**نابلس**، ص200، Cf. Benvenist. M. pp. 20 - 28.

([3]) أسامة بن منقد:**الاعتبار**، ص 138 - 140، دويكات، **طبرية**، ص 127،

([4]) براور:**عالم**، ص 137، البيشاوي:**نابلس**، ص 200،

.Cf. **Benvenisti**. M. pp. 20 - 28

على المدن [1]، وكانت محكمة القرية تنعقد تحت رئاسة أكبر شخصية في القرية والذي أطلق عليه الرئيس Rayis يساعده اثنا عشر محلفا من سكان القرية، وتعتمد محاكم القرى في أحكامها على العرف والتقاليد المرعية، إذ سمح الصليبيون لأهالي القرى بالتقاضي أمام محاكمهم الخاصة [2]، وتجدر الاشارة إلى أن محكمة المدينة كانت مسؤولة عن قضايا سكان القرى الكبيرة، نظرا لوجود الأسواق والفنادق في تلك القرى الكبيرة، بمعنى أن محكمة المدينة كانت تعقد في المناطق التي توجد بها الأسواق والفنادق وحركة تجارية نشطة، كذلك وجدت هناك المحاكم الكنسية والتي كانت تختص بمجالات محددة و خصوصية، إذ كان اختصاصها يتضمن رجال الدين، وقد توسعت حقوق المحاكم الكنسية إلى أبعد الحدود وأصبحت تطالب بحق الحكم في جميع الروابط بين الرجل وزوجته، وتعاملت أيضا بجميع الحالات الشرعية وغير الشرعية [3]، وفي حالات النزاع بين رجال الدين وعامة الناس، وكان فيكونت المدينة أو الإقطاعية وأعضاء هيئة المحكمة في البرجوازية مضطريين لحضور جلساتها ليشهدوا الحكم، وكان للأساقفة سلطان قضائي على الأطباء، إذ لم يسمح للأطباء الجدد بممارسة مهنة الطب حتى يختبر الطبيب من قبل لجنة من احسن أطباء البلد وبوجود الأسقف أو من ينوب عنه من رجال الدين وبعد أجراء الاختبار يقوم الأسقف بمنح الطبيب رسائل تفوضه بممارسة تلك المهنة، وكان كثير من الرعايا يفضلون اللجوء الى هذه المحاكم لشعورهم بنزاهة المحاكم الكنسية[4]، بالإضافة إلى هذه المحاكم في المدن الفرنجية، إلا أنه وجد نوع آخر من المحاكم في حيفا وباقي المدن الفرنجية البحرية ما يسمى ب (محكمة السلسلة) أو المحكمة البحرية، وهي

([1]) براور: **عالم**، ص 137، البيشاوي، **نابلس**، ص200، **الممتلكات**، ص 172.383 Cf. Conder.p. .

([2]) البيشاوي:**نابلس**، ص200، .Cf. Conder.p. 172 - 173

Cf. Also. **Richard**. J. vol. I. p. 138- 139. **Benvenisti**. M. pp. 20 وكانت علاقة اهل القرى بالسيد الاقطاعي تتم عن طريق رؤساء القرى. انظر، البيشاوي:**الممتلكات**، ص 385،

([3]) باركر:المرجع نفسه، ص 65، رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 499، البيشاوي:**نابلس**، ص 201،

.Cf. La **Monte**. pp. 215 - 216,**Richard**.J. vol.1. p. 107

([4]) كانت المحاكم الكنسية تنظر في كثير من القضايا لعل أهمها قضايا النزاع الرجل وزوجته، والزنا واللواط، والهراطقة، كما كانت تعاقب السحرة والمشعوذين، انظر، ارنست باكر:المرجع نفسه، ص 65، رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 499، Cf. Monte.pp. 215 - 216.

ملتزمة بالسير على نهج قوانين المحكمة العليا، و لها رئيس و معاونون، وهي هيئة قانونية تخصصت في القضايا البحرية والشركات التجارية، وهذه تتطلب معرفة متخصصة من قادة السفن والتجار، وبعد أن توضح المحكمة القضية تبلغ نتائجها إلى محكمة المدينة في حيفا للحكم والتنفيذ [1]، كما وجدت في حيفا محكمة الفندق أو محكمة التجارة أو محكمة الملاحة، وهي تتألف من أربعة من أهل البلاد الأصليين، واثنين من الفرنج، وكانت تنظر بالقضايا التجارية المتعلقة بالأوروبيين كما وجدت في حيفا محكمة أخرى مستقلة عن كل ما ذكر من محاكم تختص بالبنادقة وباقي جاليات المدن الإيطالية الاخرى[2]، وهي محاكم ذات طابع تجاري تقع تحت إدارة قناصلهم، وكان من حقها النظر في جميع القضايا العادية، عدا ما كان منها يتعلق بجريمة القتل أو السرقة والاحتيال، ولما كانت هذه المحاكم تدخل في دائرة الإعفاءات من الرسوم والواجبات المالية فكان ذلك مضرا بمصلحة الإقطاعية والمملكة.

(1) محكمة السلسلة اشتقت هذه التسمية من المدن الساحلية مثل حيفا حيث يتم إغلاق الميناء ليلا بسلسلة ممتدة بين برجين لتمنع دخول المراكب الأجنبية أو تعرض الميناء للسرقة ليلا وخاصة تغلق في حالة الحرب أمام سفن الأعداء، واذا أرخيت هذه السلاسل تمكنت السفن من الدخول والخروج، انظر رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 501 - 502، براور:المرجع نفسه، ص 137، زيد:**صيدا**، 1981، ص 111، باركر:المرجع نفسه، ص 78 - 79، عاشور:**الحركة**، ج1، ص 469.

(2) عاشور:**الحركة**، ج1، ص 469، باركر:المرجع نفسه، ص 78 - 79، رانسيمان:المرجع نفسه، ج2، ص 503 - 504

الخاتمة

اتضح لنا من خلال دراسة إقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي أن مدينة حيفا كانت من المناطق التي طمع الفرنجة في السيطرة عليها؛ لتكون منفذاً بحرياً لإمارة الجليل الفرنجية التي أسسها الامير النورماندي تانكرد. و قد جهز لها الفرنجة قوات بحرية وبرية من أجل الاستحواذ عليها، واستعانوا باسطول بندقي - يحمل مجموعة من الحجاج الذين حضروا لزيارة الأرض المقدسة-، لتحقيق أهدافهم،والمساعدة في حصار المدينة من ناحية البحر.

وبينت الدراسة أن أهالي مدينة حيفا بذلوا كل ما يستطيعون فعله من أجل الدفاع عن مدينتهم ضد الغزاة، لدرجة أن المسلمين من سكان حيفا قاموا بتسليح اليهود الذين كانوا يقيمون في المدينة خوفاً أن يحل بالطرفين ما حل باخوانهم في بيت المقدس، غير أن التجهيزات الدفاعية التي اتخذها سكان المدينة، لم تقف حائلاً أمام حصار وهجوم الفرنجة، فبعد حصار استمر نحو شهر، تمكن الفرنجة من الاستيلاء على المدينة وقتلوا معظم سكانها، ومن نجا منهم انتقل إلى مناطق أخرى داخل فلسطين.

وقد أشارت الدراسة إلى أن أكثر من نبيل فرنجي كان يحاول بسط سيطرته على حيفا، وكيف أن الأطماع الشخصية سيطرت على الوضع أثناء حصار الفرنجة للمدينة، وقد اتضح ذلك عندما امتنع الأمير تانكرد عن المشاركة في الحصار إثر سماعه أن الأمير جودفري البويوني وعد بمنح المدينة إلى جالديمار كارنبيل، وكيف بادر للعودة عندما أقنعه البطريرك دايمبرت البيزي أن المدينة ستكون من نصيبه في حالة الاستيلاء عليها.

وكانت حيفا تشكل إحدى الإقطاعيات التي تشكلت داخل حدود مملكة بيت المقدس اللاتينية، وكان على سيدها الإقطاعي أن يقدم مجموعة من الخدمات العسكرية، وقد زودتنا المصادر والوثائق الفرنجية المعاصرة بعدد الفرسان والسرجندية التي كانت تقدمها الإقطاعية إلى ملك بيت المقدس اللاتيني. وقد اتضح أن إقطاعية حيفا لم تكن تقدم عدداً كبيرا من الفرسان

والمشاة على الرغم من وجود ميناء يسهم في ثرائها، وربما يرجع ذلك إلى صغر حجم الإقطاعية.

وأوضحت الدراسة أن سيدا إقطاعية حيفا كانا عضوان في المحكمة العليا (محكمة الملك) أسوة بباقي سادة الإقطاعيات الفرنجية الأخرى، وفضلاً عن ذلك، كان سيد حيفا يسهم في الحملات التي يقوم بها الملك ضد المسلمين، كما كان يشارك في الدفاع عن حدود المملكة ضد الهجمات التي تتعرض لها المملكة.

وأظهرت الدراسة أيضاً أن سيد إقطاعية حيفا كان يقدم المنح والهبات إلى الكنائس والأديرة، وقد أشارت بعض الوثائق إلى قيام تانكرد وفيفيان سيدا إقطاعية حيفا بتقديم الأراضي والمنازل إلى دير القديسة مريم في وادي يهوشفاط و كنيسة القيامة في بيت المقدس.

وأشارت الدراسة أيضاً إلى استرداد المسلمين لمدينة حيفا والمناطق المحيطة بها عقب معركة حطين، وكيف أن هذه المنطقة وغيرها من المناطق والبلاد الإسلامية أصبحت خالية من الفرنجة، وبعد مضي أربع سنوات على استردادها، عادت حيفا مرة أخرى للسيادة الفرنجية عقب قدوم الحملة الفرنجية الثالثة وتوقيع هدنة الرملة بين صلاح الدين الأيوبي وريشارد قلب الأسد عام 588ه/1192م.

وقد حظيت مدينة حيفا والمناطق المحيطة بها باهتمام ملوك بيت المقدس وسادتها الإقطاعيين الذين عملوا دوما على تحصين الإقطاعية بالقلاع والحصون، فعلى سبيل المثال أقاموا على أطراف الإقطاعية قلعة عتليت وغيرها من القلاع و الحصون الأخرى، هذا إلى جانب زيادة تحصينات المدينة نفسها، والعمل دائما على زيادة تحصين أبراجها وأسوارها والقيام بترميمها باستمرار.

وأظهرت الدراسة أن المسلمين حاولوا كثيراً استعادة حيفا وغيرها من المناطق التي سيطر عليها الفرنجة، حتى تكللت جهودهم بالنجاح على يد الأشرف صلاح الدين خليل بن المنصور قلاوون الذي تمكن من استرداد حيفا والمناطق المحيطة بها عام 690هـ/ 1291م.

ولعل من أبرز النتائج التي توصلت إليها حالة الضعف التي ألمت بالعالم الإسلامي قبيل الغزوة الفرنجية أدت إلى سيطرة الغزاة على المنطقة، وعندما تحققت الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي، تمكن المسلمون من استعادة أرضهم وطرد الغزاة منها. وإذا قلنا بنظرية تماثل أحداث التاريخ، فإن ما تعرضت له المنطقة في العصور الوسطى يتكرر مرة أخرى في العصر الحديث، وعلينا أن نتخذ من أحداث الماضي عبرة لرسم طريق المستقبل.

المراجع والمصادر

المصـادر العربيـة:

ابن الأثير أبو الحسن بن أبي الكرم الملقب عز الدين بـن الأثيـر: (ت 630هـ - 1232م) **التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل،** تحقيق عبد القادر أحمـد طليمـات، "دار الكتب الحديثة"، (د.ط) القاهرة 1963م.

الكامل في التاريخ، جـ12، بيروت 1966م.

ابن أعثم الكوفي محمد بن أحمد (ت314هـ/926م) **كتاب الفتوح،** 8جـ، حيدر آباد الـدكن، الهند1968-1975م.

ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف: (ت 874هـ/1269م). **المنهـل الـصافي والمستوفي بعد الوافي،** تحقيق احمد يوسف نجاتي، القاهرة 1956م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ12، الهيئة المصرية العامة، القـاهرة 1963م.

ابن جبير أبو الحسن محمد بن احمد الأندلسي: (ت 614هـ/1217م) رحلة ابن جبير، بيروت 1964م.

ابن الجوزي عبد الرحمن بن محمد: (ت 597هـ/1201م) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمـم،** جـ10، ط1، حيدر آباد الدكن، الهند1939م.

ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم: (ت 681هـ/1282م) **وفيـات الأعيـان وأنباء أبناء الزمان،** جـ8، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968 -1972م.

ابن خياط أبو عمر بن أبي هبيره: (ت242هـ/856م). ت**اريخ خليفة بن خياط،** تحقيق أكرم ضياء العمري، ط1، القاهرة 1967م.

ابن شاهنشاه الايوبي محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي: (ت 617هـ/1220م) **مضمار الحقائق وسر الخلائق،** تحقيق حسن حبشي، القاهرة 1968م.

ابن الشحنة أبو الفضل محمد بن الشحنة: (ت 615هـ/1412م) **تاريخ مملكة حلب،** تحقيـق إلياس سركيس، بيروت 1909م.

ابن شداد عز الدين عبد ا محمد بن إبراهيم الحلبي بن شداد: (ت 684هـ/1285م) **الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق سامي الدهان، جـ2، دمشق 1962م.

ابن شداد بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع: (ت 632 هـ /1234م) **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، دار الفكر للطباعة والنشر، (ب، ت).

ابن ظافر جمال الدين علي بن ظافر: (ت613هـ /1216م) **أخبار الدول المنقطعة**، تحقيق اندريه فريه، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1972م.

ابن عبد الحق البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: (ت793هـ/1338م) **مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع**، جـ3، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، 1954م.

ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد ا بن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق محمد صبيح، دار التعاون، القاهرة 1974م.

ابن عبد الظاهر محي الدين بن عبد الظاهر: (ت 692هـ/1293م): **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق مراد كامل، القاهرة، 1969م.

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط1، الرياض 1976م.

ابن العبري غريغوريوس الملطي بن العبري: (ت 685 هـ/1286م) **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق الاب انطوان صالحاني اليسوعي، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (ب.ت).

ابن العديم كمال الدين عمر بن احمد بن هبة ا بن العديم: (ت 660هـ/1262م) **بغية الطلب في تاريخ حلب**، جـ3، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر بيروت، (ب. ت).

زبده الحلب في تاريخ حلب، جـ3، تحقيق سامي الدهان، دمشق 1968.

ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة ا أبو القاسم بن عساكر: (ت 571هـ/1175م) **تهذيب تاريخ دمشق**، جـ8، دار أحياء التراث العربي، بيروت 1987م.

ابن العميد جرجس بن العميد أبى اليأس أبى المكارم النصراني: (ت 672هـ/ 1273م) **أخبار الأيوبيين**، مجلة المعهد بدمشق، جـ7، تحقيق كلود كاهن، دمشق 1958م.

ابن الفرات ناصر الدين محمد عبد الرحيم بن الفرات: (807هـ/1404م) **تاريخ ابن الفـرات، المعروف باسم الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك**، جـ4-5، تحقيق حسن الشماع، البصرة 1970.

ابن فضل العمري شهاب الدين احمد بن يحيى بن فـضل العمـري: (ت749 هـ ـ/1349م) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، دراسة وتحقيق دوروتيـا كرافولـسكي، ط1، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت 1986م.

ابن قاضي شهبه بدر الدين بن قاضي شهبه: (ت 774هـ/1273م) **الكواكب الدرية في السيرة النورية**، بيروت 1971م.

ابن قتيبة أبو محمد عبد ا بن مسلم بن قتيبة: (ت 276هـ /889 م) **المعـارف**، ت ثـروت عكاشة، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت 1986.

ابن القلانسي أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي القلانسي: (ت 555هـ/1160م) **ذيـل تـاريخ دمشق**، امدروز، بيروت، "الأباء اليسوعيين" 1908م.

ابن كثير عماد الدين أبو الفداء بن عمر بن كثير: (ت 774- 1273م) **البداية والنهايـة فـي التاريخ**، جـ14، في 7 مجلدات، بيروت 1966م.

ابن ايبك أبو بكر بن عبد ا بن ايبك الدواداري (ت 732هـ/1331م) **كنـز الـدرر وجـامع الغرر.**

الدرة المضيئة في إخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صـلاح الـدين المنجـد، القـاهرة، 1961م.

الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب، جـ6، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، 1972م.

أبو الفداء إسماعيل بن عماد أبو الفداء صاحب حماة (ت 732هـ/1331م). **تقـويم البلـدان**، تحقيق بارينو والبارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، (ب. ت).

المختصر في أخبار البشر، 4جـ، في مجلدين، المطبعة الحسينية، القاهرة، (ب.ت).

أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1267م) **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،** جـ2، بيروت (ب.ت).

تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، نشر عزت العطار الحسيني، ط2، بيروت 1974.

الإدريسي أبو عبدا محمد بن محمد بن عبدا الادريسي (ت 560هـ/1164م) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،** جـ2، "عالم الكتب"، ط1، بيروت 1989م .

الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، **المسالك والممالك،** تحقيق محمد جابر عبد العالي، القاهرة 1961م.

الأصفهاني عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت 597 هـ/1201م) **الفتح القسي في الفتح القدسي،** تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة 1965م.

البرق الشامي، جـ3، تحقيق مصطفى الحياري، "مؤسسة عبد الحميد شومان"، ط1، عمان 1986م.

البلاذري أبو الحسن بن يحيى بن جابر: (ت 279هـ/892 م) **فتوح البلدان،** تحقيق رضوان محمد رضوان، "دار الكتب العلمية"، (د.ط)، بيروت، 1978م.

البنداري الفتح بن علي بن محمد (ت 622هـ/1225م) **سنا البرق الشامي،** تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة 1979م.

تاريخ دولة آل سلجوق، دار الأوقاف الجديدة، ط2، بيروت، 1978م.

التنوخي أبو عبدا محمد بن علي بن نزار (ت556هـ/1161م) **تاريخ العظيمي،** تحقيق كلود كاهن. Cf. Journal Asiatique 1938, pp.335-448 .

الحموي أبو عبد ا ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) **معجـم البلـدان،** 5جـ ـ، دار صادر، بيروت 1984م.

معجم الأدباء، 20ج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1993م.

المشترك وضعا والمفترق صقعا، جوتنجن، 1846م.

الذهبي أبو عبد ا شمس الدين محمد. أحمد بن عثمان (ت748هـ/1348م) **دول الإسـلام،** 2جـ ـ، مج1، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، القاهرة 1974م.

سير أعلام النبلاء، 15جـ ـ، تحقيق بشار عواد، ومحـي الـدين هـلال، مؤسـسة الرسالة، ط1، بيروت 1984.

العبر في خبر من غبر، جـ3، تحقيق فؤاد سيد، الكويت 1916م، جـ4، تحقيـق صلاح الدين المنجد، الكويت 1963م .

الحنبلي أحمد بن إبراهيم الحنبلي: (عاش في القرن السابع الهجري/الثالث عـشر المـيلادي) **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب،** تحقيق ناظم رشيد، بغداد 1979م.

سبط بن الجوزي أبو المظفر يوسف بن محمد: (ت654هـ/1256م)، **مرآة في تاريخ الأع**يان، جـ8، ق2، حيدر آباد الدكن، الهند 1951-1952م.

شيخ الربوة شمس الدين آبي عبد ا محمد بن أبي طالب: (ت 727هـ/1326م) **نخبة الـدهر في عجائب البر والبحر،** (د. ط) بطرسبورغ 1865م .

الطبري أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: (ت 310 هـ/922م) **تاريخ الرسـل والملـوك،** 11جـ ـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

العليمي عبد الرحمن بن مجير الدين أبو اليمن العليمي: (ت 927هـ/1521م) **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،** 2ج، في مجلد، مكتبة المحتسب، عمان 1973م.

لعيني بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد بم موسى العيني: (ت 855هـ ـ/1251م) **عقـد الجمان في تاريخ أهل الزمان،** (عصر السلاطين) تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة 1987م.

القلقشندي احمد بن علي بن احمد عبد ا القلقشندي: (ت 821هـ/1418م) **صبح الأعشى في صناعة الانشا،** 14جـ، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (ب. ت).

ناصر خسرو: **سفر نامة،** ترجمة يحيى الخشاب، ط2، بيروت، 1970م.

اليافعي أبو محمد عبدا بن أسعد بن علي بن سليم: (ت 768هـ/1366م). **مـرآة الجنـان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،** جـ4، بيروت 1974م.

المصادر التاريخية والجغرافية:

Albert d' Aix Historiea Hierosolymitana. **Ed.R.H. C.H - Occ**. tome IV, Paris 1879 (pp 265-713)

Ambroise Ambroise. **The Crusade of Richard Lion Heart**, Tr. form the old French by Mr. J. Hubert. New york 1941

Anonymus. **Gesta Francorum Iherusalem**. Ed. R. H. C.H.Occ. Tome III. Paris. 1866.

Burchard of Mount Sion **A Description of the Holy Land**. A.D.1280 Tr.from the original latin by Aubrey stewart london, 1896, in, p. p. T.s. vol. X11.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي بعنوان: **بورشارد من دير جبـل صـهيون، وصف الأرض المقدسة،** دار الشروق، ط1، عمان 1995م.

Daniel, Russina Abbot: **The Pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy Land,** trans. by C. W. Wilson in.p.p. T. s. vol. 1V. london 1888.

اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي بعنوان: **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الأراضي المقدسة،** ط2، دار الشروق، عمان 2003م.

Eracles: L' Estoire d' **Eracles Empereur ed conguest** la Terre d' oute mer. Ed. R. H. C. Occ, tome 11. paris 1859. (pp. 1- 1481)

Ernoul: **Le Chronique d'Ernoul et de bernard Le Tresirier**. ed. Mas Latrie. paris 1871.

Fetllus Fetllus. **Description of Jerusalem and the Holy Land in.P.P.T.S.** Vol. V. London 1892.

Fulcher of Chartres: **A History of the Expedition to Jerusalem**.Tr by Frances Rita, Ryan. (Sistters of St Joseoh).. Edited With an introduction by Harold's Fink) Konuville. U. S. A. 1969.

قام الدكتور زياد العسلي بترجمة كتاب فوشية الشارتري تحت عنوان"**تاريخ الحملة إلى القدس**"، دار الشروق، ط1، عمان 1990م.

Genevieve. B.B. **Le Cartulaire du Cahptire des Saint**. Scpulcre de Jerusalem. Paris. 1948.

Jacques d 'lbelin, **Le Livre d'e Jacques d'lbelin, in Assises de Jerusalem**, tome 1, Parise 1881 (pp 451-468).

Jean d' Ibelin. **Le Livrer de Jean d Iblin in Assises de Jerusalem**, tome I, Paris 1881,(pp.7-321).

Jacques de Vitry; **The History of Jerusalem**. Tr. from the Original Latin by Aubrey Sewart. Ed.P.P.T. S. vol. XI.London 1895.

اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي بعنوان: **يعقوب الفيتري،** تاريخ بيت المقـدس، ترجمة سعيد البيشاوي"دار الشروق"، ط1، عمان 1998.

John of Wurzburg: Description of the Holy Land by Johnm of Wurzburg. A. D. 1160 - 1170. trans. by. C. W. Wilson. in. p.p. T. s. vol. v. London 1890.

ترجم هذه الكتاب إلى اللغة العربية/يوحنا فورز بورغ: **وصف الاراضي المقدسة في فلـسطين،** ط1، دار الشروق، عمان 1997.

Jean de Joinville: **Chronicles of the Crusades**. Tr. by.R. B. Shaw. London 1980.

Les Lignages: **Les Lignages d'oure -mer in Assises d' Jerusalem**, tome 2, paris pp. 3-226.

Ludolph von Suchem'S: **Descriptin of the holy land**, Trans. from the original latin by Aubery Stewart, london, 1895, Cf. palestine, Pilgrims, Text Society. vol X11(pp 1-142).

Matthew Paris: **English History from the Year 1235- 1273. Tr**. From thr Latin by.J. Agiles, 2. vols. London. 1852- 1853.

Monitum in Balduini III: **Historia Nicenae vel Antiochenae** Prologum. Ed. R. H. C. H. Occ.tome IV. paris 1879. pp. 4- 11.

Raimond d 'Agiles: **Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem**. Ed. R. R. H. C H. Occ. tome 111. paris 1866. (pp. 231 - 304)

قام الدكتور حسين عطية بترجمة كتاب ريموند داجيل تحت عنوان: **تاريخ الفرنجة غزاة بيـت المقدس،** ط1، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990م

Raoul de Caen: **Gesta Tancridi in Expeditione Hierosolymmitana**. Ed. R. H. CH.- Occ. tome 111. paris1866 (pp. 587- 716)

Robert Le Moine: **Historia Iherosolimitana**. Ed. R. H. C. Occ. tome 111. paris 1866 (pp. 717 - 882).

Rohricht: **Annales de Terre Sainte**. A. O.L.II. /420-460.

Regesta: **Regni Hierosolymitani Innsbruk**. 1893.

Roger of Wendover: **Flowers of History**. 2 vols. dtrans by. J. A. Giles London 1848.

Theoderich 's: **Descrtpion of the Holy Land**. Tr. from the Original latin by Aubrey Stewart. London 1897. Cf. Palestin pilgims Text Society vol.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي بعنوان: **وصـف أمـاكن المقدسـة فـي فلسطين،** للرحالة الألماني ثيودريش، ترجمة سعيد البيشاوي ورياض شاهين، دار الـشروق، ط1، عمان 2003م .

Translatio: **Translatio Sacti Nicolia in ventiam**. Ed. R. H. C- H Occ. tome. v. paris 1869

Tudebodus. p: **istoria de Hierosolymitano itinere**. Ed. R. H. C-H. Occ. tome 111. paris 1866,(pp.3-117) (pp. 3 - 117).

وقد اعتدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي بعنوان: **تاريخ الرحلة إلى بيـت المقـدس،** ترجمة حسين عطية، ط1، دار المعرفة الجامعية 1999م، الاسكندرية.

Wiegler. paul: **The Infidal Emperor and his struggle the Pope**. London. 1930.

William of Tyre: **A History of Deeds Done Beyoned the Sea**. Tr. by Babcock and Krey, 2vols. New York 1943.

المصادر الأجنبـــية المعــربة

برتراندون دي لابروكيير: **رحلة برتراندون دي لابروكيير إلى فلـسطين ولبنـان وسـورية،** ترجمة محمود زايد، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، جـ3، 1963م.

بطرس توديبود: **تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس،** ترجمة وتعليق حسين محمـد عطيـة، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1998م

بنيامين بن يونة التطيلي: **رحلة بنيامي بن يونة التطيلي،** ط1، ترجمة عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد 1945.

بور شارد من دير جبل صهيون: **وصف الأرض المقدسة،** ترجمـة سـعيد البيـشاوي، "دار الشروق"، ط1، عمان 1995م.

بيركهارت: **رحلات بيركهارت في سورية الجنوبية،** ترجمة أنور عرفـات، وزارة الثقافـة والإعلام الأردنية، (د.ت).

الرحالة الألماني ثيودريش: **وصف الأماكن المقدسة في فلسطين،** ترجمة وتحقيـق ودراسـة سعيد البيشاوي ورياض شاهين، "دار الشروق"، ط1، عمان 2003م.

جوانفيل، جاي دي: **مذكرات جوا نفيـل** (القديس لويس: حياته وحملاته على مـصر والـشام) ترجمة حسن حبشي، ط1، دار المعارف، مصر 1986م.

دانيال الراهب: **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الـديار المقدسـة (1106- 1107م)** ترجمة سعيد البيشاوي، وداود أبو هدبة، "دار الشروق"، ط1، عمان، 2003 م.

ريموند داجيل: **تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس،** ترجمة حسين محمد عطية، دار المعرفـة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1990 م

مجهول: **إعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،** ترجمة حسن حبـشي، دار الفكـر العربـي، القاهرة 1958

مجهول: **الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية،** وقع ضمن كتاب الحروب الـصليبية، ترجمـة سهيل زكار، دار"حسان للطباعة والنشر"، ط1، دمشق 1984 م

سايولف: **وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة 1102- 1103 م،** ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، دار الشروق، ط1، عمان 1997م.

مجهول: **تتمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطا إلى روثلان،** ترجمة إسامة زكي زيد، مركز الدلتا للطباعة، القاهرة 1989م.

فوشية الشارتري: **تاريخ الحملة إلى القدس،** 1095- 1127م، ترجمة زياد جميل العسلي، دار الشروق، ط1، عمان 1990 م

وليم الصوري: **تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار،** ترجمة سهيل زكار، جـ2، "دار الفكر"، دمشق 1990م

يعقوب الفيتري: **تاريخ بيت المقدس** - ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، "دار الشروق"، ط1، عمان، 1998م

يوحنا فورزبورغ: **وصف الأراضي المقدسة في فلسطين،** ترجمة وتعليق، سعيد البيشاوي، "دار الشروق"، ط1، عمان 1997م.

مجهول:**الحرب الصليبية الثالثة** (صلاح الدين وريتشارد) جـ2، ترجمة وتعليق حسن حبشي"الهيئة العامة للكتاب"، (د، ط) القاهرة 2000م.

المراجع العربية:

إبراهيم خميس إبراهيم سلامة: **دراسات في تاريخ الحروب الصليبية،** دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2002م .

إبراهيم الشريف: **نهر الأردن ومشاريع الري،** ب.ط، ب، ت، بغداد 1963.

إبراهيم طرخان: **النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى،** القاهرة 1968م.

احمد حسن: **التقانة في فلسطين في القرنين الثاني عشر للميلاد،** وقع ضمن كتاب الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت 1994م.

أديب الخطيب: **جغرافية فلسطين،** دار الأرقم، (ب.ط)، رام ا ، (ب.ت).

أسامة زكي زيد: **يدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،"د.ط"الاسكندرية 1981م.

أمين سلامة: **التاريخ الروماني**، ط1، القاهرة 2000م .

انستانس الكرملي: **النقود العربية وعلم النميات**، القاهرة 1939م.

بسام العسلي**: فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية**، 4م، "دار الفكر"، بيروت 1988 م.

جمال فوزي محمد عمار**: التاريخ والمؤرخون في عصر الحروب الصليبية 521-660هـ**، دار القاهرة، القاهرة 2001م.

جمال محمد الزنكي: **موضوعية المؤرخ وليم الصوري في ميزان النقد التاريخي**، المجلة العربية للعلوم الانسانية، عدد35، مجالس النشر العلمي، جامعة الكويت، شتاء 2004م.

جوزيف نسيم يوسف: **العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى**، ط1، الاسكندرية 1963م.

العدوان الصليبي على مصر، وهزيمة القديس لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، ط1، الاسكندرية1969م.

تاريخ الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1984م.

حامد زيان: **الإمبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة**،"دار الثقافة"، القاهرة 1977م.

العلماء بين الحرب والسياسية في العصر الأيوبي (أسرة شيخ الشيوخ) مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة 1978.

حسن اغبارية: حيفا، **التاريخ والذاكرة "جمعية التطور الاجتماعي"** ط1، حيفا 2001م.

حسن عبد الوهاب: **تاريخ قيسارية الشام في العصرالاسلامي**، "دار المعرفة الجامعية"، الإسكندرية 1989م.

خليل طوطح: **جغرافية فلسطين**، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1923م.

درويش النخيلي: **فتح الفاطميين للشام في مرحلته الأولى**، "منشأة المعارف"، ط1، الإسكندرية 1979م.

رفيق التميمي: **تاريخ الحروب الصليبية**، ط1، القدس 1945م.

زكي النقاش: **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية**، بيروت 1958م.

زياد العسلي: **الدراسات الصهيونية للحركة الصليبية**، وقع ضمن كتاب ندوة يوم القدس الثانية، عمان 1991م.

سامي الأحمد: **تاريخ فلسطين القديم**، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد 1979م.

سعدون عباس نصر الله: **رحيل الصليبيين عن الشرق والعصور الوسطى**، "دار النهضة العربية"، ب.ط، بيروت 1995م.

السيد الباز العريني: **الدولة البيزنطية 323هـ/1081م**،"دار النهضة العربية"، ط1بيروت 1982م.

مؤرخو الحروب الصليبية، (د.ط)، القاهرة 1962م.

السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ الدولة العربية**، دار النهضة، بيروت 1986م.

دراسات في تاريخ صيدا في العصر الإسلامي، بيروت 1967م.

سعيد عبدالله البيشاوي: **حيفا في بداية الغزو الفرنجي الصليبي 1100_1101م/493_494هـ**، مقالة في مجلة مجمع اللغة العربية، عدد2، القدس2000م.

نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية، د، ط1، عمان 1991 م.

الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1990م.

سعيد عبدالله عاشور: **أوروبا العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، القاهرة 1985 م.

الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ط3،"مكتبة الأنجلو مصرية"، القاهرة 1987م.

قبرص والحروب الصليبية، القاهرة 1957م.

الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، "دار النهضة العربية"، القاهرة، (د. ت).

الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية ضمن كتاب بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته عالم الكتب، ط1، القاهرة 1987 م.

تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت 1976م.

سهيل زكار: **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، ط2، دمشق 1975م.

سيدة إسماعيل كاشف: **دراسات في النقود الإسلامية**، مقالة في المجلة المصرية، مجلد12، القاهرة 1964م.

شاكر مصطفى: **فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي**، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، بيروت 1990م.

شكري عراف: **جندا فلسطين والأردن في الأب الجغرافي الإسلامي**، مطبعة الشرق العربية، القدس، (د. ت).

صلاح الدين نوار: **العدوان الصليبي على العالم الإسلامي**، "دار الدعوة"، الإسكندرية، 1993م.

طه الطراونه: **مملكة صفد في عهد المماليك**، "دار الأفاق الجديدة"، ط1، بيروت 1982م.

عبد الحفيظ محمد : **نهر الأردن الخالد**، "دار أخبار الأسبوع"، ط1، القدس 1964.

عادل شحاته: **العلاقات السياسية بين الإمبراطور الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي**، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة 1989م.

عبد العزيز الدوري: **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، "دار الطلعية للطباعة والنشر"، ط5، بيروت 1987م.

عبد النعيم حسنين: **سلاجقة إيران والعراق**، ط1، القاهرة 1970م.

عبد المنعم ماجد: **العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، "عالم الكتـب"، بيـروت 1966م .

عمر توفيق كمال: **مملكة بيت المقدس الصليبية**،"مطبعة رويال"، الإسكندرية 1958م.

المؤرخ وليم الصوري، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الإسكندرية 1967م، مجلـد 21، ص181-200.

عيد حجاج: **كل مكان واثر في فلسطين**، مركز الدراسات العبرية، الجامعة الأردنيـة، ط1، عمان 1990م.

عمر عبد السلام التدمري: **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العـصور**، مطـابع دار البلاد طرابلس 1978م.

علي محمد احمد السيد: **الخليل والحرم الابراهيمي في عصر الحـروب الـصليبية**"دار الفكـر العربي"، ط1، القاهرة 1998 م.

فتحي الشاعر: **أحوال المسلمين في مملكة بيت المقدس الـصليبية**، مكتبة دار الثقافة، العراق 1989م.

الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، جـ3، القاهرة 1966م.

فهمي عبد الرحمن: **النقود العربية وماضيها وحاضرها**، المكتبة الفيصلية، مكـة المكرمـة، (د.ت).

فؤاد دويكات: **إقطاعية طبريا ودورها في الصراع الإسلامي الصليبي**،"مؤسسة حمد للدراسـات الجامعية والنشر والتوزيع"، (ب. ط) إربد 2002م.

فايد عاشور: **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولي**، القـاهرة 1975م.

قسطنطين خمار: **موسوعة فلسطين الجغرافية**، بيروت 1969م.

كامل خالد الشامي: **جغرافية فلسطين** (دراسة الأقاليم الطبيعية) جامعة سبها 1991 م.

محمد شراب: **معجم بلدان فلسطين،** "دار المأمون للتراث"، ط1، دمشق 1987م.

محمد كرد علي: **خطط الشام،** جـ6، مج3، بيروت 1969-1972م.

محمد محمد مرسي الشيخ: **الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها،** الإسكندرية 1972م.

محمد محمود احمد الحروب: **المماليك الأتراك في الدولة الأيوبية 657- 648هـ م 1171 - 1250م،** رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية 1995م.

محمد مؤنس عوض: **الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية،** مكتبة مدبولي، القاهرة م1992.

التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية،"دار الشروق"، ط1، رام ا 2004م.

محمود العابدي: **الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن،** عمان 1973م.

محمود سعيد عمران**: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،** "دار النهضة العربية للطباعة والنشر"، بيروت 1981م.

معالم تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، ط2، "دار النهضة العربية"، بيروت 1986م.

تاريخ الحروب الصليبية (1950-1291م)، "دار النهضة العربية"، بيروت 1990م.

الحملة الصليبية الخامسة، الهيئة المصرية العامة، الإسكندرية 1978م.

السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل، الإسكندرية 1985م.

محمود محمد الحويري: **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي،** القاهرة 1979م.

مصطفى الحياري: **جند فلسطين**، ملاحظات حول حدوده وتقسيماته الإدارية، اوراق في التاريخ والأدب.

مصطفى العبادي: **الإمبراطورية الرومانية**،"دار النهضة العربية"، بيروت، (ب. ت).

مصطفى مراد الدباغ: **بلادنا فلسطين** (في ديار الجليل) "دار الطليعة للطباعة والنشر"، ط1، بيروت 1984م.

مي إبراهيم صقلي: **حيفا العربية 1918-1939م**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت 1992م.

هادية الدجاني: **القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني**، "مؤسسة الدراسات الفلسطينية"، ط1، بيروت 1993م.

نجيب زكي: **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى**، القاهرة 1973 م.

نظير حسان سعداوي: **جيش مصر في أيام صلاح الدين**، ط2،"مكتبة النهضة المصرية"، القاهرة 1959 م.

التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، "مكتبة النهضة المصرية"، القاهرة 1957م.

المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين،"مكتبة النهضة المصرية"، القاهرة 1962 م.

نعمان سليمان الطيب: **منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والإدارة.**

يحيى عبد الرؤف جبر: **معجم البلدان الأردنية والفلسطينية حتى نهاية القرن الهجري السابع**، دار اللوتس للنشر والتوزيع 1988م .

يوسف الدبس: **تاريخ سوريا**، جـ9، "المطبعة العمومية الكاثوليكية"، بيروت 1958م.

يوسف غوانمة: **إمارة الكرك الأيوبية**،"دار الفكر، ط2"، عمان 1982م.

المراجع الثانوية الأجنبية

Archer, T.H and Kingsford, C.L, **The crusades: the story of the latin Kingdom of Jerusalem**. london 1914.

Baldwin. M. **The Decline and Fall of Jerusalem.** in Setton. vol.1. Pennsylvania 1958. (pp. 590- 622).

Barker. E. **The Crusades.** london 1949.

Benvenisti. Meron.**The Crusades in the Holy land**. Jerusalem 1976.

Besant. E. and Palmer. E. H. Jerusalem. **The city of the Herod and Saladin**. London 1888.

Beyer. G. Die **Kreuzfahregbiete Akko und Galilaea**. **in Z. D. P V.** LXVII. (1944- 45).PP. 183- 260.

Conder. C. R. **The latin Kingdom of Jerusalem, 1099 - 1291. A.D.** London 1897.

Duggan. Alfred. **The story of the Crusades**.London 1969.

Enlart. C. **Les Monuments des Croises dans Le Royaume de Jerusalem**. 2vols paris. 192.

Fink. Harolde **The Foundation of the latin States**. in. Setton. vol. 1. (pp. 368- 410)

Crousset. R. **Historie des Croisades et du Royaume France de Jerusalem.** 3vols. paris 1948.

King. E.The **Kinghts Hospitallers in the Holy Land**. London 1931.

La Monte. **Feudal Monarchy in the latin kingdom of Jerusalem**. New York 1972.

The viscounts of Naplouse: the Viscounts of Naplouse in the Twelfth century dans Syria. 1938. X1X.pp. 272 - 278.

Mayer. H. E. **The Crusades,London**. 1978.

Prawer. L. **The Latin Kingdom of the Jerusalem**, Jerusalem. 1972.

Rey. E. G. **Les Familles D outre - Mer de du Cange**. Paris 1869.

Les seigneurs de Mont. Real Cf. R. O. L. Tome IV. Paris 1896.

Richard. J. **The latin Kingdom of Jerusalem**, 2 vols. Trans from the Original by Jenet Shirly, Amstrdam. 1979.

Smail. R. C**. The Crusades in Syria and the Holy Land**. Southamptnn. 1973.

Stevenson. W. B. **The Crusades in the East**, Beirut 1968.

Victor Guerin. **Description Geographique et Archeologique de la Palestine**, Galilee. tome 1. Amesterdam. 1969.

المراجع الأجنبية المعربة

ارنست باركر: **الحروب الصليبية،** ترجمة السيد الباز العريني، ط2، بيروت 1967م.

نورمان بينز: **الامبراطورية الرومانية،** تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالإسلام، ترجمة حسين مؤنس ومحمد زاده، ط1، القاهرة 1950م.

الكس كرمل: **تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين،** ترجمة تيسير الياس،"معهـد دراسـات الشرق الأوسط"، حيفا 1979م.

الكسندر بتري: **مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم،** ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب، بغداد 1977م.

ارنولد توييني: **تاريخ الحضارة الهيلينية،** راجعه صقر خفاجة، مكتبـة ألا نجلـو المـصرية، القاهرة، م1963.

هاملتون جب: **دراسات في حضارة الإسلام** ـ ترجمة إحسان عباس، محمـد يوسـف نجـم، محمود زايد، دار العلم للملايين، ط2، بيروت 1974م.

جونز أ. هـ. م: **مدن بلاد الشام،** ترجمة إحسان عباس، دار الشروق، عمان 1987 م.

ستيفن رانسيمان: **تاريخ الحروب الصليبية،** جـ3، ترجمة السيد الباز العرينـي،"دار الكتـب العربية"، ط3، بيروت 1993م.

لي سترانج: **فلسطين في العهد الإسلامي،** ترجمة محمود عمايري، ط1، عمان 1970 م.

جوناثان رايلي سميث: **الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبـرص (1050-1310م)** ترجمة صبحي الجلاد، "دار طلاس للدراسـات والترجمـة والنـشر"، ط1، دمشق 1989م.

ر. س.سميل: **فن الحرب والقتال عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (1097 - 1193م)** ترجمة محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، دمشق 1982م.

مارشال بلدوين: **اضمحلال وسقوط بيت المقدس 1174-1189م،** ترجمة سـعيد البيـشاوي، أنظر: تاريخ الحروب الصليبية، جـ1، تحرير سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس عـوض، بيت المقدس للنشر والتوزيع، ط1، رام ا 2004م.

هارولد فنك: **تأسيس الإمارات اللاتينية 1099-1118م.،** ترجمة عامر نجيب ناصر، أنظـر الحروب الصليبية، جـ1، تحرير سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس عوض، بيت المقدس للنشر، ط1، رام ا 2004م.

هارولد لامب: **شعلة الإسلام** (قصة الحروب الصليبية) ترجمة محمود عبد ا يعقوب، مراجعة جمال الدين الشيال، مكتبة دار المتنبي، بغداد 1967 م.

هانس ماير: **تاريخ الحروب الصليبية،** ترجمة عماد الدين غانم، "منـشورات مجمـع الفـاتح للجامعات"، ليبيا 1990م.

ماير: **الملابس المملوكية،** ترجمة صالح الشيتي،"الهيئة المصرية العامة للكتـاب"، القـاهرة، (ب. ت).

ف. ويستنفلد، **جداول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من الـسنين الميلاديـة بأيامها وشهورها،** ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمـضان"مكتبـة الأنجلـو المصرية"، ط1، القاهرة 1918م.

فولفانغ مولر: **القلاع أيام الحروب الصليبية،** ترجمة محمد وليـد جـلاد، "دار الفكـر"، ط2، دمشق 1984 م.

اندرو ميلر : **تاريخ الكنيسة،** القاهرة، 1971م.

اف هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى،** جـ4، ترجمة احمد محمد رضى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م.

يوشع براور: **عالم الصليبيين،** ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حـسن، "دار المعـارف"، ط1، القاهرة 1981م.

الاستيطان الصليبي في فلسطين "مملكة بيت المقدس" ترجمة عبد الحافظ البنـا،"تمـين للنشر"، ط1، القاهرة 2001م.

الملاحق

الملحق رقم 1. حصار الفرنجة لمدينة حيفا وسيطرتهم عليها(1)

الفصل رقم 20

عندما انتشرت أنباء المرض الخطير الذي أصاب القائد (جودفري البويـوني)، تقـدم البنادقة وقائدهم صوب وارنرجراي(2) وتانكرد، بهدف الحديث والتشاور فيما سوف يقومـون بعمله بخصوص حصار مقاطعة ساحلية أخرى عن طريق البحر ثم الوصول من هنـاك إلـى بيت المقدس، أو الانتظار حتى يسترد القائد (جودفري) صحته. وكان تانكرد قد وصل في ذلك الوقت من طبرية إلى يافا. حيث وصل إلى هناك رؤساء الأسطول البندقي وقائدهم الذين سمعوا تلك الأنباء. وهناك تمت المشاورات معه، حيث توصلوا إلى قرار يقضي بحصار قلعة حيفـا حصارا بحريا (بوساطة الحجاج البنادقة). وكان تانكرد في هذه الأثناء نائبا عن القائد (جودفري) إلى جانب وارنر حيث كلفا بوضع خطة سرية للحصار يتم من خلالها حصار المدينة والضغط عليها وإسقاطها. ثم كان بعد ذلك ما تعرضت له مدينة حيفا من لهيب النيران من البر والبحـر، وهو الأمر الذي وصل صداه بطبيعة الحال إلى يافا. وكان جودفري (البويوني)، القائد الأعلى في بيت المقدس، قد توفي في ذلك الحين. ولهذا السبب انتابت الاضطرابات كلا مـن البنادقـة والفرنجة، وبدا الاضطراب واضحا أثناء الحصار، وسرعان ما حضروا إلى بيـت المقـدس. وهناك وجدوا القائد على هذا الحال من الأسى، وبـدأت المـشاورات حـول ذلـك بإشـتراك الأسقف(3).

---

(1)(Albert d' Aix, **Hisyoria Hierosolymitana**, Ed. R. H. C. -H. Occ. tome IV, Paris 1879, pp. 520-523.

(2)وارنر جراي: وقد ورد باسم غارنير، و هو أحد نبلاء الفرنجة، وكان يحمل لقب كونت برجنديا، ويرتبط بـصلة قرابة مع الأمير جودفري البويوني، وذكرت بعض المصادر أنه ابن عمه. وقد كان محاربا شجاعا وجسورا، وأسـهم في إعداد الخطط للسيطرة على حيفا.

Cf. Albert d'Aix, op. cit. , PP. 520-521، أنظر أيـضا: ولـيم الـصوري: المـصدر نفـسه، جـ1، ص479- 481، ستيفن رانسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، جـ1، ص440-441.

(3)كان الأسقف مرافقا لقائد الأسطول البندقي.

وهكذا كانت مشاورات القائد تتجه صوب البنادقة الذين زاروا كنيسة القيامة والمناطق المقدسة، ووقي تلك الأثناء كان تانكرد و وارنر، والبطريرك دايمبرت"البيزي" قد عادوا إلـى يافا، وانطلقت القوات والحشود جميعها من البر والبحر نحو حيفا. أما وارنر فقد بقـي فـي يافا، ومنها استدعي إلى بيت المقدس.

الفصل رقم 22: حصار قلعة حيفا

بعد وفاة القائد المجيد جودفري، بخمسة أيام بدأ العمل بما كان قد تقرر قبـل وفاتـه، وانطلق البطريرك (دايمبرت البيزي) وتانكرد، وجميع البنادقة وقائدهم والأسقف من يافا عـن طريق البحر نحو تلك المقاطعة التي تسمى حيفا، حيث تم حصارها من البحـر ومـن الجهـة الأخرى باستخدام الآلات الكبرى، والمدافع الحجرية التي تسمى المنجنيق، بغـرض اجتيـاح دفاعات المدينة وسكانها. وتم توجيه النيران والقذائف نحو أسوار المدينة، وشنوا عليها الغارات الرهيبة من قبل رجال الفرنجة المهاجمين وكذلك كان المواطنون من أصل بيت المقدس، والذين كانوا يعيشون هناك في تحصيناتهم وسلامهم وذلك كهبة واتفاق من جانب الملك بلدوين، وكان الكثير منهم في خطوطهم الدفاعية، وأصابتهم الكثير من الأمراض خلال الأيام الخمسة عـشر، وكان القائد جودفري أثناء حياته قد وعد بمنح حيفا لجالديمار كاربنيل، وهناك كان قليـل مـن النبلاء والجنود، قد اقتربوا من المدينة بهدف الاستيلاء عليها.وعندما علم تانكرد بأمر المنحـة امتنع عن المشاركة في الحصار واعتزل بقواته جانبا.

الفصل رقم 23

وحين علم البطريرك (دايمبرت البيزي) بما حدث قام بعمل كل ما يـستطيع، إذ تقـدم لتانكرد نفسه، وقام بتهدئة مشاعره وغضبه، وحيث كانت تلك المقاطعة التـي دافعـت بقـوة وصلابة مأهولة من قبل اليهود، ولم تستمر طويلا في تلك الحالة أمام اضطراب المـسيحيين، والذين لم يكن لهم سوى جزء متواضع هناك. وكانت تلك الحالة تشغل بال البطريرك، حيث أنه

كان يرى أنه إذا أراد الرب وتم الحصول على تلك المدينة. فأنه يمكن بخطة المؤمنين رد ذلـك وأكثر إليه. وقال في هذا الصدد " أنظر، أيها الأخ العزيز تانكرد، كيف أن قائد البنادقة مع كل فرقته قد أنهكتهم الحرب وليست هناك أية قوى جديدة تضاف إليهم، وحيث أنهم قـد شـعروا بالخوف فإنهم قد أمروا الأسطول بالعودة إلى عرض البحر بعيدا عن المقاطعة "وحـين سـمع تانكرد ما قاله البطريرك وذلك التشجيع الذي وجهه إليه باسم المسيح، أجاب بأنه لن يترك أيـة فرصة من أجل الإغارة على المدينة والاستيلاء عليها. وأنه قد أخذ على عاتقه (السماح لآخـر) بتقديم هجمته نفس هذه المقاطعة. بحيث لا تكون محاصـرة أو مـستولى عليهـا بعـد ذلـك، وبشجاعة جيلدمار كاربنيل وتلك الفرقة لم تلين و له. وبعد أن قال ذلك تم توجيه الإشارة إلـى الجنود بأن تكون الإغارة حول المدينة، حتى يتم لهم اجتياح اليهود الذين كانوا يدافعون عنها.

ملحق رقم 2. السرجندية Sergeant

وردت لفظة السرجندية ضمن تركيبة الجيش الفرنجي الصليبي في مملكة بيـت المقـدس الفرنجية، ولعل الكلمة مشتقة من اللغة الفرنسية (سيرجاه Sergeant) بمعنى رتبة الرقيب فـي الجيش. ولقد اختلف المؤرخون الحديثون حول مفهوم السرجندية، وماهيـة الأعمـال التـي يقومون بها، خلال المعارك الحربية، وهل كان هؤلاء من الجنود الذين يقاتلون مشاة، أم إنهم من الفرسان الذين يقاتلون على ظهور الخيل، وقد أشار أسامة بن منقذ إلى أن السرجندية من لا خيل لهم، ولكنهم يحافظون على الأرض في أماكنهم، كما أنهم يشاركون في فرض الحصار والقيام بواجبات المعسكرات، وتزويد الجيش بالمؤن [1] وحماية مؤخرة الجيوش أثناء التحـرك والاشتباك في المعارك، واثبتوا أهميتهم عند القتال في الأراضي الوعرة، وعندما خرج جيش دمشق للدفاع عن المدينة ضد الجيش الفرنجي الصليبي في 591هـ / 1126م، كـان أحـد السرجندية يرافق كل فارس في المعركة، ويفهم من حديث أسامة بن منقد أن السرجندي عبارة عن رجل مشاة يحارب على قدميه، وتوكل إليه مهمات الحصار، وحماية مؤخرة الجيش أثناء احتدام المعارك، فضلا عن القيام بتزويد الفرسان بالمؤن والذخيرة، وأشـار العمـاد الكاتـب الأصفهاني الى أن السرجندي كرار، بما يشير إلى انه فارس خفيف التسليح(خيـال) يـستخدم للهجوم في جميع مراحل المعركة مثل الفارس [2] ويقول يوشع براور أن الـسرجندي يكـون جندي خفيف من المشاة أحيانا وفي أحيان أخرى من الفرسان غير النبلاء أي انه يحارب وهو راكب على حصان[3] ويذكر كلود كاهن أن السرجدنية كانوا يعتلون ظهور الخيـل [4]، بمـا

([1])أسامة بن منقذ: **كتاب الاعتبار**، تحقيق فيليب حتى، برنستون 1930م، ص 67،

([2])العماد الكاتب الأصفهاني: **الفتح القسي في الفتح القدسي**، ص 403، سعيد البيشاوي: **الممتلكـات الكنـسية**، ص 97، هامش رقم 2 .Prawer. op. cit. p. 163 .

([3])انظرايضا: سعيد البيشاوي: المرجع نفسه، ص 97، هامش 2 .Cahen. **Syrie du Nord**. p. 195

([4])ويقول كلود كاهن أن الرقباء كانوا يمتطون الخيول.**Cahen**. op. cit. p. 328

يشير إلى أنهم كانوا من الفرسان، ويتفق كل من شالندون Chalendon ورينيـه جروسـيه Crousset بأن السرجندية كانوا يشكلون الجنود المشاة [(1)]

ويذكر يوحنا الابليني أن الخدمة العسكرية جرت تأديتها لملوك بيت المقدس، ليس فقـط مـن جانب المستأجرين الإقطاعيين الأفراد، بل ومن جانب الجماعات الكنـسية، فكـان هـؤلاء لا يدينون فقط بخدمة الفرسان بل كانوا يقدمون الرقباء الذين كـانوا يـستدعون للالتحـاق فـي الحملات التي يتوقع لها أن تدوم لفترة طويلة، ويورد يوحنا الابليني مجموعة الملتحقين بمثـل تلك الخدمة الواجبة على المملكة ككل على انه 5025 رقيبا (سرجندياً) [(2)]، وهو لا يذكر ما إذ كان هؤلاء الرقباء (السرجندية) يطلبون للخدمة كفرسان أو كمشاة، و من المرجح أنهم كـانوا جنودا مشاة، فالرجل المعد للقتال كفارس كانت تجهيزاته مبالغ باهظة وعلى الرغم من ثـراء الكنائس والأديرة إلا أنها لم تستطع تجهيز الفرسان، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقـة أن خدمة رقيبين كانت تعتبر عادة مساوية لخدمة فارس واحد[(3)]. ويبدو من غير المحتمل بكل ما في الكلمة من معنى أن يطلب منهما توفير هذا العدد العالي إلى ذلك الحد والذي يشكل ضعف أو ثلاثة أضعاف عدد الفرسان الذين يدين بهم المستأجرون الرئيسون كالأفراد وكذلك تدل حقيقة أن هذه الفرق كانت تستدعى فقط في حالة الطوارئ، على أن من المرجح إنها تألفت من الجنـود الاقتضائيين [(4)] الذين دربوا بصورة غير كافية للقتال كفرسان، وكان الدور الأساس للفـارس Horse Man المسلح تسليحا خفيفا للقتال لا يختلف عادة عن الدور الأساسي للفرسان Kinghts النبلاء الأصل وهم المسلحون تسليحا ثقيلا، فكانت العبارة Ievis armaura تعني فقـط لـم يكونوا مجهزين تجهيزا حسنا مثل الفرسان الأغنى منهم Milites ولم تعن أنهم استخدموا عـادة كفرسان مسلحين تسليحا خفيفا وأن الفرسان استخدموا كفرسان مسلحون تـسليحا ثقـيلا، إلـى

([1]) Chalandon. **Premiere Croisade**. p. 324.، ر. سي. سميل: المرجع نفسه، ص 97،

([2])توجد كافة الحقائق الواردة في هذه الفقرة Ibein. pp. 426 - 427. انظر أيضا ر. سي. سميل: المصدر نفسه، ص 97

([3])ر. سي. سميل: المرجع نفسه، ص 97، Morris. Welsh. **Wars**. pp. 44-45.

([4])الاقتضائيين: هم الاحتياط الذين يتم استدعائهم عند الحاجة، انظر، ر. سي. سميل: المرجع نفسه، ص97.

جانب كافة المضامين التكتيكية التي يمكن أن يتضمنها مثل هذا التباين، وهم مسلحون تـسليحا خفيفا لغرض عسكري خاص، إذ كانوا يرسـلون بوصـفهم مستكـشفين Speculatores [1] يقومون بمهمات استطلاعية، ويستخدمون كمناوشين عند بداية المعارك، على أنهم لا يرتبطون عادة في النصوص بأعمال اختصاصية [2] ويبدو أنهم اشتركوا في القتال إلى جانب الفرسـان Kinghts. ومن المرجح أن السرجندي يبدأ خدمته العسكرية بفرق المشاة، ثم يتدرج في خدمة جيش المملكة مع تدريبات متواصلة على القتال حتى يصبح من الفرسان غير النبلاء، ويحمـل أسلحة خفيفة على الرغم من الآراء المتضاربة حوله.

لقد توطدت مراسم الالتحاق بطبقة الفرسان في الشرق فـي بدايـة العـام 518هـ / 1124م، عندما جاء أحد الباحثين عن المؤن من أتباع جوسلين الأكبر يخبره بوفاة الأمير بلـك بن ارتق [3] إلى بونز أمير طرابلس، فكافأه الكونت بإلحاقه بطبقة الفرسان، وكـان جوسـلين نفسه هو حامل السلاح، ولأنه أرسل مبشرا عن المئونة وقف الجيش الصليبي قبل الوصول إلى صور، أصبح فارسا في الجيش اللاتيني [4]، وفي الأحوال الصعبة والحاجة إلى الفرسان يـتم تحويل السرجندي الراكب الخيال (الرقيب) إلى فارس، حدثة عندما ذهب باليان ابلين إلى بيـت المقدس للدفاع عنها عقب هزيمة الفرنجة الصليبيين في حطين فلم يجد سوى فارسـين هنـاك، وكعلاج باعث على كثير من الأمل والنجاح أجاز لستين شخصا من أبناء المدينة الالتحاق بطبقة

([1])استخدموا الفرسان من ذوي الأسلحة الخفيفة لاغراء العدو بالوقوع في كمين معد مسبقا، وهم يقومون بمهام استكشاف أماكن قوات العدو. انظر: Oman. **Ahistory of the Art of War**.. vol. 1. p. 37. سميل: المرجع نفسه، ص 91،

([2])المرجع نفسه، ص 109 - 110.

([3])بلك بن ارتق: هو صاحب قلعة خرتبرت، وقد اسر جوسلين الأول الذي تولى إمارة الرها، ثم اسر بلدوين الثاني ملك بيت المقدس، وهو في طريقه إلى مدينة حلب في محاولة الاستيلاء عليها ولم يطلق سراح بلدوين الثاني الا عنـدما توفي السلطان بلك عام 518هـ / 1224م، وهو قائم على حصار قلعة مبنج التابعة لإمارة طرابلس الصليبية اثر إصابته بسهم طائش، أما جوسلين الاول هرب من الاسر، انظر اسامة بن منقذ: كتاب **الاعتبار**، ص118-130، حـسن حبشي: **نور الدين والصليبيون**، ص10-20، محمود سعيد عمران، **القادة الصليبيون الأسرى**، ص51-57

([4]) **Fulcher of Chartres.** op. cit.. p. 463. انظر أيضا:. سميل: المرجع نفسه، ص133، هامش رقم 105،

الفرسان [1]. ومن المعتقد أن السرجندي الذي يتدرب جيدا على حمل السلاح وركـوب الخيـل، ويتقن فن القتال أثناء الأزمات والأحداث الطارئة، فانه يمكن تحويله إلى فارس غير نبيل عنـد حاجة الجيش الصليبي إلى عدد إضافي من الفرسان.

(1) Eracles, op. cit. , p. 70, **Ernoul,** op. cit. , p. 158

تشير بعض الروايات الواردة في المصادر التاريخية ان الصليبيين كانوا يمنحون لقب الفارس لأبناء الفرسـان، وكـذلك إلى أبناء ممثلي المدن. Cf. **Ernoul**, op. cit, p. 70. Eracles, op. cit, p. 175.

انظر أيضا: المرجع نفسه ص131، هامش رقم 85.

ملحق رقم 3. العملات المتداولة في الشرق العربي

أشارت كتب الرحالة إلى انتشار البيزنط وهو في الأصل عملة ذهبية بيزنطية"Besant"[(1)] "Bisant"، سمي بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة "القسطنطينية" وكانت هذه العملة متداولة بكثـرة في العصور الوسطى حتى حوالي القرن السابع الهجري [(2)] القرن الثالث عشر الميلادي علـى وجه التقريب، والسبب في انتشار البيزنط، أن بيزنطة كانت تتميز بمركز اقتصادي ممتاز وثراء تجاري.لذلك أصبحت عملتها هي السائدة في التجارة الدولية في حوض البحر المتوسـط حتـى الفتح العربي والبداية الأولى للإسلام. وكانت البيزنط أحيانا تعادل العملة الأرمنيـة المعروفـة باسم التاهجان"Tahegane" وكانت تقسم إلى عشرة أقسام مثلها مثل التاهجان، وكانت البيـزنط قديما تعرف بالهيبربون "Hyperpeon" وكانت تمتاز باستقرار قيمتها الذهبية، وكانت البيـزنط تعادل حوالي ثلاثة ونصف جرام من الذهب، وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك اختلافات فـي حجم الذهب، ويمكن أن يمدد سعر العملة بواسطة تحديد دقيق لتاريخها.

غير أن العرب لم يقبلوا بسهولة سيادة العملة البيزنطية، فأعلنوا استقلالهم الاقتـصادي، وأصدروا عملتهم الذهبية أو الفضية من الدينار الذهبي والدرهم الفضي، وبدا اسـتعمال النقـود العربية الجديدة[(3)]، ومنذ ذلك الوقت حظي الدينار والدرهم الإسلامي بـشهرة واسـعة لا فـي الإمبراطورية الإسلامية والبحر المتوسط فحسب بل في المقاطعات النائية، وذلـك مـا أثبتتـه الحفريات من وجود عملات عربية في مناطق وشواطىء بحر البلطيق وما وراءهـا[(4)]. ومـن

([1](Marino Sanuto, op-cit, p, 9, Anonymus, **The city of Jerusalem**, vol-TV, p, 171. cf, also, Boasc, Kingdoms and strong holds of the crusaders, London 1971, p, 83

([2])جوزيف نسيم يوسف: **العدوان الصليبي على مصر**، ص216، حاشية "2" ص204جوزيف نسيم يوسف، **الحملـة الصليبية على بلاد الشام**، حاشية 2، ص204، محمود سعيد عمـران، **الحملـة الـصليبية الخامـسة**، ص271، حاشية "7"محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية، ص64

([3])المقريزي: **النقود الإسلامية**، ص1_19، المقريزي، **إغاثة الأمة**، نشر محمد القلقشندي: صبح الأعـشى: ج3 ص346

أنظر أيضا "انستانس الكرملي ": **النقود العربية وعلم النميات**، ص25_146، سيدة كاشف: دراسـات فـي النقـود الإسلامية، ص59_101.

([4])علي مبارك: 2524، **ورقة "90"** انظر أيضا، {وقد أورد كاهن مناقشة بالغة الأهمية حول هذا الموضوع

العوامل التي أدت إلى فقد البيزنط قيمته وتغلب الدينار الإسلامي، أنه عنـدما اشـتدت حاجـة الإمبراطور الكسيوس إلى النقد السائل، تدخل في أمر العملة وأصدر قطعا ذهبية لا تحتوي القدر اللازم من الذهب، فأخذت الثقة تتضاءل في البيزنط، ولم يلبث عملاء الإمبرطورية البيزنطية أن ألحوا في أن يتقاضوا أثمان سلعهم بالمكاييل "Michael" وهو النقد الذي جرى شكله في زمـن الإمبراطور ميخائيل السابع، ويعتبر آخر نقد اشتهر بسلامته واستقراره [(1)].

وفي بداية الاستعمار الفرنجي الصليبي في بلاد الشام، كانت العملات الذهبية المتداولـة في مستعمراتهم هي عملات الدول الإسلامية المجاورة، ولكن لم تكد تستقر الإمارات الـصليبية في الشرق، حتى شرع ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية أمير أنطاكية وكونت طـرابلس فـي ضرب العملة، مقلدين الدينار والدرهم الإسلاميين، وبمرور الزمن تحسن التقليد الساذج الـذي عرفته العملات الباكرة، حتى

عرفت باسم الدنانير الإسلامية"Saracenatte -Besant" [(2)] والتي ليست إلا تقليـدا للـدنانير الفاطمية، غير أنها لم تحو من الذهب إلا ثلثي ما تحويه الدنانير الفاطمية، ولا سيما نقود بيـت المقدس التي اشتهرت عند المسلمين بالصورية " دينارصور لم تلبث أن انتشر تداولها في أنحاء الشرق الأدنى.

على أن حق صك النقود الذهبية كان بأيدي حكام الشرق الفرنجي، فلا يجوز للجاليات الإيطالية أو الطوائف الدينية العسكرية أن تقتدي على هذا الاحتكـار، ولـيس للمقطعـين أو بارونـات الإقطاعات إلا أن يضربوا نقودا من البرونز لا الحاجة المحلية، ومـع ذلـك ظلـت خاصـية العملات البيزنطية والإسلامية من حيث الوزن والسبيكة، وليس من المؤكد ما إذا كان طـراز العملة الصليبية يخضع عن أي تاجر محترف قيمتها الحقيقية، ولكنها مع ذلك كانت تقبل فـي التجارة العالمية في حوض البحر المتوسط، وعلاوة على ذلك فان العمـلات الـصليبية فـي

([1])(Arnold, T, V, Litt, D, C, HArab **Thavellers and Marchants**. A. D. 1000, 1500, P. 94. F. Newton. A, P. London, 1926. pp. 88-103-

([2])يوشع براور، **عالم الصليبيين**، ص224

سورية وفلسطين صارت هي العملة المعمول بها في معاملات سكان البلاد، وفي الوقت نفـسه كان الصليبيون يسكون عملاتهم الخاصة من الفضة والنحاس علـى نمـط العمليـة الفرنـسية المعاصرة لها [1] فإلى جانب اسم الملك الحاكم الذي كان يكتب على الإطار، والصليب المنقوش في الوسط، كانت مثل هذه العملات تحمل على الوجه الآخر صورة برج داود أو صورة الملك الحاكم، وكانت اغرب العملات الصليبية طرافة هي تلك التي سكت بعد القرن السابع الهجري/ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، وعليها كتابة عربية تمجد الثالوث المقدس، لقد كان ذلك حلا عمليا يسمح لدار سك النقود المسيحية أن تعلن عن عقيدتها دون حنث أو عبث بالمقدسات، فان نستفيد في الوقت ذاته من السوق العالمي.

(1)المرجع نفسه، ص224-225.

الملاحق

الملحق رقم 1. حصار الفرنجة لمدينة حيفا وسيطرتهم عليها[1]

الفصل رقم 20

عندما انتشرت أنباء المرض الخطير الذي أصاب القائد (جودفري البويـوني)، تقـدم البنادقة وقائدهم صوب وارنرجراي[2] وتانكرد، بهدف الحديث والتشاور فيما سوف يقومـون بعمله بخصوص حصار مقاطعة ساحلية أخرى عن طريق البحر ثم الوصول من هنـاك إلـى بيت المقدس، أو الانتظار حتى يسترد القائد (جودفري) صحته. وكان تانكرد قد وصل في ذلك الوقت من طبرية إلى يافا. حيث وصل إلى هناك رؤساء الأسطول البندقي وقائدهم الذين سمعوا تلك الأنباء. وهناك تمت المشاورات معه، حيث توصلوا إلى قرار يقضي بحصار قلعة حيفـا حصارا بحريا (بوساطة الحجاج البنادقة). وكان تانكرد في هذه الأثناء نائبا عن القائد (جودفري) إلى جانب وارنر حيث كلفا بوضع خطة سرية للحصار يتم من خلالها حصار المدينة والضغط عليها وإسقاطها. ثم كان بعد ذلك ما تعرضت له مدينة حيفا من لهيب النيران من البر والبحـر، وهو الأمر الذي وصل صداه بطبيعة الحال إلى يافا. وكان جودفري (البويوني)، القائد الأعلى في بيت المقدس، قد توفي في ذلك الحين. ولهذا السبب انتابت الاضطرابات كلا مـن البنادقـة والفرنجة، وبدا الاضطراب واضحا أثناء الحصار، وسرعان ما حضروا إلى بيـت المقـدس. وهناك وجدوا القائد على هذا الحال من الأسى، وبـدأت المـشاورات حـول ذلـك بإشـتراك الأسقف[3].

---

[1] (Albert d' Aix, **Hisyoria Hierosolymitana**, Ed. R. H. C. -H. Occ. tome IV, Paris 1879, pp. 520-523.

[2] وارنر جراي: وقد ورد باسم غارنير، و هو أحد نبلاء الفرنجة، وكان يحمل لقب كونت برجنديا، ويرتبط بـصلة قرابة مع الأمير جودفري البويوني، وذكرت بعض المصادر أنه ابن عمه. وقد كان محاربا شجاعا وجسورا، وأسـهم في إعداد الخطط للسيطرة على حيفا.

Cf. Albert d'Aix, op. cit. , PP. 520-521، أنظر أيـضا: ولـيم الـصوري: المـصدر نفـسه، جـ1، ص479- 481، ستيفن رانسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، جـ1، ص440-441.

[3] كان الأسقف مرافقا لقائد الأسطول البندقي.

وهكذا كانت مشاورات القائد تتجه صوب البنادقة الذين زاروا كنيسة القيامة والمناطق المقدسة، ووقي تلك الأثناء كان تانكرد و وارنر، والبطريرك دايمبرت"البيزي" قد عادوا إلـى يافا، وانطلقت القوات والحشود جميعها من البر والبحر نحو حيفا. أما وارنر فقد بقـي فـي يافا، ومنها استدعي إلى بيت المقدس.

الفصل رقم 22: حصار قلعة حيفا

بعد وفاة القائد المجيد جودفري، بخمسة أيام بدأ العمل بما كان قد تقرر قبـل وفاتـه، وانطلق البطريرك (دايمبرت البيزي) وتانكرد، وجميع البنادقة وقائدهم والأسقف من يافا عـن طريق البحر نحو تلك المقاطعة التي تسمى حيفا، حيث تم حصارها من البحـر ومـن الجهـة الأخرى باستخدام الآلات الكبرى، والمدافع الحجرية التي تسمى المنجنيق، بغـرض اجتيـاح دفاعات المدينة وسكانها. وتم توجيه النيران والقذائف نحو أسوار المدينة، وشنوا عليها الغارات الرهيبة من قبل رجال الفرنجة المهاجمين وكذلك كان المواطنون من أصل بيت المقدس، والذين كانوا يعيشون هناك في تحصيناتهم وسلامهم وذلك كهبة واتفاق من جانب الملك بلدوين، وكان الكثير منهم في خطوطهم الدفاعية، وأصابتهم الكثير من الأمراض خلال الأيام الخمسة عـشر، وكان القائد جودفري أثناء حياته قد وعد بمنح حيفا لجالديمار كاربنيل، وهناك كان قليـل مـن النبلاء والجنود، قد اقتربوا من المدينة بهدف الاستيلاء عليها.وعندما علم تانكرد بأمر المنحـة امتنع عن المشاركة في الحصار واعتزل بقواته جانبا.

الفصل رقم 23

وحين علم البطريرك (دايمبرت البيزي) بما حدث قام بعمل كل ما يـستطيع، إذ تقـدم لتانكرد نفسه، وقام بتهدئة مشاعره وغضبه، وحيث كانت تلك المقاطعة التـي دافعـت بقـوة وصلابة مأهولة من قبل اليهود، ولم تستمر طويلا في تلك الحالة أمام اضطراب المـسيحيين، والذين لم يكن لهم سوى جزء متواضع هناك. وكانت تلك الحالة تشغل بال البطريرك، حيث أنه

كان يرى أنه إذا أراد الرب وتم الحصول على تلك المدينة. فأنه يمكن بخطة المؤمنين رد ذلـك وأكثر إليه. وقال في هذا الصدد " أنظر، أيها الأخ العزيز تانكرد، كيف أن قائد البنادقة مع كل فرقته قد أنهكتهم الحرب وليست هناك أية قوى جديدة تضاف إليهم، وحيث أنهم قـد شـعروا بالخوف فإنهم قد أمروا الأسطول بالعودة إلى عرض البحر بعيدا عن المقاطعة "وحـين سـمع تانكرد ما قاله البطريرك وذلك التشجيع الذي وجهه إليه باسم المسيح، أجاب بأنه لن يترك أيـة فرصة من أجل الإغارة على المدينة والاستيلاء عليها. وأنه قد أخذ على عاتقه (السماح لآخـر) بتقديم هجمته نفس هذه المقاطعة. بحيث لا تكون محاصـرة أو مـستولى عليهـا بعـد ذلـك، وبشجاعة جيلدمار كاربنيل وتلك الفرقة لم تلين و له. وبعد أن قال ذلك تم توجيه الإشارة إلـى الجنود بأن تكون الإغارة حول المدينة، حتى يتم لهم اجتياح اليهود الذين كانوا يدافعون عنها.

ملحق رقم 2. السرجندية Sergeant

وردت لفظة السرجندية ضمن تركيبة الجيش الفرنجي الصليبي في مملكة بيـت المقـدس الفرنجية، ولعل الكلمة مشتقة من اللغة الفرنسية (سيرجاه Sergeant) بمعنى رتبة الرقيب فـي الجيش. ولقد اختلف المؤرخون الحديثون حول مفهوم السرجندية، وماهيـة الأعمـال التـي يقومون بها، خلال المعارك الحربية، وهل كان هؤلاء من الجنود الذين يقاتلون مشاة، أم إنهم من الفرسان الذين يقاتلون على ظهور الخيل، وقد أشار أسامة بن منقذ إلى أن السرجندية من لا خيل لهم، ولكنهم يحافظون على الأرض في أماكنهم، كما أنهم يشاركون في فرض الحصار والقيام بواجبات المعسكرات، وتزويد الجيش بالمؤن [1] وحماية مؤخرة الجيوش أثناء التحـرك والاشتباك في المعارك، واثبتوا أهميتهم عند القتال في الأراضي الوعرة، وعندما خرج جيش دمشق للدفاع عن المدينة ضد الجيش الفرنجي الصليبي في 591هـ / 1126م، كـان أحـد السرجندية يرافق كل فارس في المعركة، ويفهم من حديث أسامة بن منقد أن السرجندي عبارة عن رجل مشاة يحارب على قدميه، وتوكل إليه مهمات الحصار، وحماية مؤخرة الجيش أثناء احتدام المعارك، فضلا عن القيام بتزويد الفرسان بالمؤن والذخيرة، وأشـار العمـاد الكاتـب الأصفهاني الى أن السرجندي كرار، بما يشير إلى انه فارس خفيف التسليح(خيـال) يـستخدم للهجوم في جميع مراحل المعركة مثل الفارس [2] ويقول يوشع براور أن الـسرجندي يكـون جندي خفيف من المشاة أحيانا وفي أحيان أخرى من الفرسان غير النبلاء أي انه يحارب وهو راكب على حصان[3] ويذكر كلود كاهن أن السرجدنية كانوا يعتلون ظهور الخيـل [4]، بمـا

([1])أسامة بن منقذ: **كتاب الاعتبار**، تحقيق فيليب حتى، برنستون 1930م، ص 67،

([2])العماد الكاتب الأصفهاني: **الفتح القسي في الفتح القدسي**، ص 403، سعيد البيشاوي: **الممتلكـات الكنـسية**، ص 97، هامش رقم 2 .Prawer. op. cit. p. 163 .

([3])انظرايضا: سعيد البيشاوي: المرجع نفسه، ص 97، هامش 2 .Cahen. **Syrie du Nord**. p. 195

([4])ويقول كلود كاهن أن الرقباء كانوا يمتطون الخيول.**Cahen**. op. cit. p. 328

يشير إلى أنهم كانوا من الفرسان، ويتفق كل من شالندون Chalendon ورينيـه جروسـيه Crousset بأن السرجندية كانوا يشكلون الجنود المشاة [(1)]

ويذكر يوحنا الابليني أن الخدمة العسكرية جرت تأديتها لملوك بيت المقدس، ليس فقـط مـن جانب المستأجرين الإقطاعيين الأفراد، بل ومن جانب الجماعات الكنـسية، فكـان هـؤلاء لا يدينون فقط بخدمة الفرسان بل كانوا يقدمون الرقباء الذين كـانوا يـستدعون للالتحـاق فـي الحملات التي يتوقع لها أن تدوم لفترة طويلة، ويورد يوحنا الابليني مجموعة الملتحقين بمثـل تلك الخدمة الواجبة على المملكة ككل على انه 5025 رقيبا (سرجندياً) [(2)]، وهو لا يذكر ما إذ كان هؤلاء الرقباء (السرجندية) يطلبون للخدمة كفرسان أو كمشاة، و من المرجح أنهم كـانوا جنودا مشاة، فالرجل المعد للقتال كفارس كانت تجهيزاته مبالغ باهظة وعلى الرغم من ثـراء الكنائس والأديرة إلا أنها لم تستطع تجهيز الفرسان، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقـة أن خدمة رقيبين كانت تعتبر عادة مساوية لخدمة فارس واحد[(3)]. ويبدو من غير المحتمل بكل ما في الكلمة من معنى أن يطلب منهما توفير هذا العدد العالي إلى ذلك الحد والذي يشكل ضعف أو ثلاثة أضعاف عدد الفرسان الذين يدين بهم المستأجرون الرئيسون كالأفراد وكذلك تدل حقيقة أن هذه الفرق كانت تستدعى فقط في حالة الطوارئ، على أن من المرجح إنها تألفت من الجنـود الاقتضائيين [(4)] الذين دربوا بصورة غير كافية للقتال كفرسان، وكان الدور الأساس للفـارس Horse Man المسلح تسليحا خفيفا للقتال لا يختلف عادة عن الدور الأساسي للفرسان Kinghts النبلاء الأصل وهم المسلحون تسليحا ثقيلا، فكانت العبارة Ievis armaura تعني فقـط لـم يكونوا مجهزين تجهيزا حسنا مثل الفرسان الأغنى منهم Milites ولم تعن أنهم استخدموا عـادة كفرسان مسلحين تسليحا خفيفا وأن الفرسان استخدموا كفرسان مسلحون تـسليحا ثقـيلا، إلـى

(1) Chalandon. **Premiere Croisade**. p. 324.، ر. سي. سميل: المرجع نفسه، ص 97،

(2) توجد كافة الحقائق الواردة في هذه الفقرة Ibein. pp. 426 - 427. انظر أيضا ر. سي. سميل: المصدر نفسه، ص 97

(3) ر. سي. سميل: المرجع نفسه، ص 97، Morris. Welsh. **Wars**. pp. 44-45.

(4) الاقتضائيين: هم الاحتياط الذين يتم استدعائهم عند الحاجة، انظر، ر. سي. سميل: المرجع نفسه، ص97.

جانب كافة المضامين التكتيكية التي يمكن أن يتضمنها مثل هذا التباين، وهم مسلحون تـسليحا خفيفا لغرض عسكري خاص، إذ كانوا يرسـلون بوصـفهم مستكـشفين Speculatores [1] يقومون بمهمات استطلاعية، ويستخدمون كمناوشين عند بداية المعارك، على أنهم لا يرتبطون عادة في النصوص بأعمال اختصاصية [2] ويبدو أنهم اشتركوا في القتال إلى جانب الفرسـان Kinghts. ومن المرجح أن السرجندي يبدأ خدمته العسكرية بفرق المشاة، ثم يتدرج في خدمة جيش المملكة مع تدريبات متواصلة على القتال حتى يصبح من الفرسان غير النبلاء، ويحمـل أسلحة خفيفة على الرغم من الآراء المتضاربة حوله.

لقد توطدت مراسم الالتحاق بطبقة الفرسان في الشرق فـي بدايـة العـام 518هـ ـ / 1124م، عندما جاء أحد الباحثين عن المؤن من أتباع جوسلين الأكبر يخبره بوفاة الأمير بلـك بن ارتق [3] إلى بونز أمير طرابلس، فكافأه الكونت بإلحاقه بطبقة الفرسان، وكـان جوسـلين نفسه هو حامل السلاح، ولأنه أرسل مبشرا عن المئونة وقف الجيش الصليبي قبل الوصول إلى صور، أصبح فارسا في الجيش اللاتيني [4]، وفي الأحوال الصعبة والحاجة إلى الفرسان يـتم تحويل السرجندي الراكب الخيال (الرقيب) إلى فارس، حدثة عندما ذهب باليان ابلين إلى بيـت المقدس للدفاع عنها عقب هزيمة الفرنجة الصليبيين في حطين فلم يجد سوى فارسـين هنـاك، وكعلاج باعث على كثير من الأمل والنجاح أجاز لستين شخصا من أبناء المدينة الالتحاق بطبقة

([1])استخدموا الفرسان من ذوي الأسلحة الخفيفة لاغراء العدو بالوقوع في كمين معد مسبقا، وهم يقومون بمهام استكشاف أماكن قوات العدو. Oman. **Ahistory of the Art of War**.. vol. 1. p. 37. انظر: سميل: المرجع نفسه، ص 91،

([2])المرجع نفسه، ص 109 - 110.

([3])بلك بن ارتق: هو صاحب قلعة خرتبرت، وقد اسر جوسلين الأول الذي تولى إمارة الرها، ثم اسر بلدوين الثاني ملك بيت المقدس، وهو في طريقه إلى مدينة حلب في محاولة الاستيلاء عليها ولم يطلق سراح بلدوين الثاني الا عنـدما توفي السلطان بلك عام 518هـ/ 1224م، وهو قائم على حصار قلعة منبج التابعة لإمارة طرابلس الصليبية اثر إصابته بسهم طائش، أما جوسلين الاول هرب من الاسر، انظر اسامة بن منقذ: كتاب **الاعتبار**، ص118-130، حـسن حبشي: **نور الدين والصليبيون**، ص10-20، محمود سعيد عمران، **القادة الصليبيون الأسرى**، ص51-57

([4]) **Fulcher of Chartres.** op. cit.. p. 463. انظر أيضا:. سميل: المرجع نفسه، ص133، هامش رقم 105،

الفرسان [1]. ومن المعتقد أن السرجندي الذي يتدرب جيدا على حمل السلاح وركـوب الخيـل، ويتقن فن القتال أثناء الأزمات والأحداث الطارئة، فانه يمكن تحويله إلى فارس غير نبيل عنـد حاجة الجيش الصليبي إلى عدد إضافي من الفرسان.

([1]) Eracles, op. cit. , p. 70, **Ernoul,** op. cit. , p. 158

تشير بعض الروايات الواردة في المصادر التاريخية ان الصليبيين كانوا يمنحون لقب الفارس لأبناء الفرسـان، وكـذلك إلى أبناء ممثلي المدن. Cf. **Ernoul**, op. cit, p. 175, Eracles, op. cit, p. 70.

انظر أيضا: المرجع نفسه ص131، هامش رقم 85.

ملحق رقم 3. العملات المتداولة في الشرق العربي

أشارت كتب الرحالة إلى انتشار البيزنط وهو في الأصل عملة ذهبية بيزنطية"Besant"(1) "Bisant"، سمي بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة "القسطنطينية" وكانت هذه العملة متداولة بكثـرة في العصور الوسطى حتى حوالي القرن السابع الهجري (2) القرن الثالث عشر الميلادي علـى وجه التقريب، والسبب في انتشار البيزنط، أن بيزنطة كانت تتميز بمركز اقتصادي ممتاز وثراء تجاري.لذلك أصبحت عملتها هي السائدة في التجارة الدولية في حوض البحر المتوسـط حتـى الفتح العربي والبداية الأولى للإسلام. وكانت البيزنط أحيانا تعادل العملة الأرمنيـة المعروفـة باسم التاهجان"Tahegane" وكانت تقسم إلى عشرة أقسام مثلها مثل التاهجان، وكانت البيـزنط قديما تعرف بالهيبربون "Hyperpeon" وكانت تمتاز باستقرار قيمتها الذهبية، وكانت البيـزنط تعادل حوالي ثلاثة ونصف جرام من الذهب، وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك اختلافات فـي حجم الذهب، ويمكن أن يمدد سعر العملة بواسطة تحديد دقيق لتاريخها.

غير أن العرب لم يقبلوا بسهولة سيادة العملة البيزنطية، فأعلنوا استقلالهم الاقتـصادي، وأصدروا عملتهم الذهبية أو الفضية من الدينار الذهبي والدرهم الفضي، وبدا اسـتعمال النقـود العربية الجديدة(3)، ومنذ ذلك الوقت حظي الدينار والدرهم الإسلامي بـشهرة واسـعة لا فـي الإمبراطورية الإسلامية والبحر المتوسط فحسب بل في المقاطعات النائية، وذلـك مـا أثبتتـه الحفريات من وجود عملات عربية في مناطق وشواطىء بحر البلطيق وما وراءهـا(4). ومـن

(1)(Marino Sanuto, op-cit, p, 9, Anonymus, **The city of Jerusalem**, vol-TV, p, 171. cf, also, Boasc, Kingdoms and strong holds of the crusaders, London 1971, p, 83

(2)جوزيف نسيم يوسف: **العدوان الصليبي على مصر**، ص216، حاشية "2" ص204جوزيف نسيم يوسف، **الحملـة الصليبية على بلاد الشام**، حاشية 2، ص204، محمود سعيد عمـران، **الحملـة الـصليبية الخامـسة**، ص271، حاشية "7"محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية، ص64

(3)المقريزي: **النقود الإسلامية**، ص1_19، المقريزي، **إغاثة الأمة**، نشر محمد القلقشندي: صبح الأعـشى: ج3 ص346

أنظر أيضا "انستانس الكرملي ": **النقود العربية وعلم النميات**، ص25_146، سيدة كاشف: دراسـات فـي النقـود الإسلامية، ص59_101.

(4)علي مبارك: 2524، **ورقة "90"** انظر أيضا، {وقد أورد كاهن مناقشة بالغة الأهمية حول هذا الموضوع

العوامل التي أدت إلى فقد البيزنط قيمته وتغلب الدينار الإسلامي، أنه عنـدما اشـتدت حاجـة الإمبراطور الكسيوس إلى النقد السائل، تدخل في أمر العملة وأصدر قطعا ذهبية لا تحتوي القدر اللازم من الذهب، فأخذت الثقة تتضاءل في البيزنط، ولم يلبث عملاء الإمبرطورية البيزنطية أن ألحوا في أن يتقاضوا أثمان سلعهم بالمكاييل "Michael" وهو النقد الذي جرى شكله في زمـن الإمبراطور ميخائيل السابع، ويعتبر آخر نقد اشتهر بسلامته واستقراره [(1)].

وفي بداية الاستعمار الفرنجي الصليبي في بلاد الشام، كانت العملات الذهبية المتداولـة في مستعمراتهم هي عملات الدول الإسلامية المجاورة، ولكن لم تكد تستقر الإمارات الـصليبية في الشرق، حتى شرع ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية أمير أنطاكية وكونت طـرابلس فـي ضرب العملة، مقلدين الدينار والدرهم الإسلاميين، وبمرور الزمن تحسن التقليد الساذج الـذي عرفته العملات الباكرة، حتى

عرفت باسم الدنانير الإسلامية"Saracenatte -Besant" [(2)] والتي ليست إلا تقليـدا للـدنانير الفاطمية، غير أنها لم تحو من الذهب إلا ثلثي ما تحويه الدنانير الفاطمية، ولا سيما نقود بيـت المقدس التي اشتهرت عند المسلمين بالصورية " دينارصور لم تلبث أن انتشر تداولها في أنحاء الشرق الأدنى.

على أن حق صك النقود الذهبية كان بأيدي حكام الشرق الفرنجي، فلا يجوز للجاليات الإيطالية أو الطوائف الدينية العسكرية أن تقتدي على هذا الاحتكـار، ولـيس للمقطعـين أو بارونـات الإقطاعات إلا أن يضربوا نقودا من البرونز لا الحاجة المحلية، ومـع ذلـك ظلـت خاصـية العملات البيزنطية والإسلامية من حيث الوزن والسبيكة، وليس من المؤكد ما إذا كان طـراز العملة الصليبية يخضع عن أي تاجر محترف قيمتها الحقيقية، ولكنها مع ذلك كانت تقبل فـي التجارة العالمية في حوض البحر المتوسط، وعلاوة على ذلك فان العمـلات الـصليبية فـي

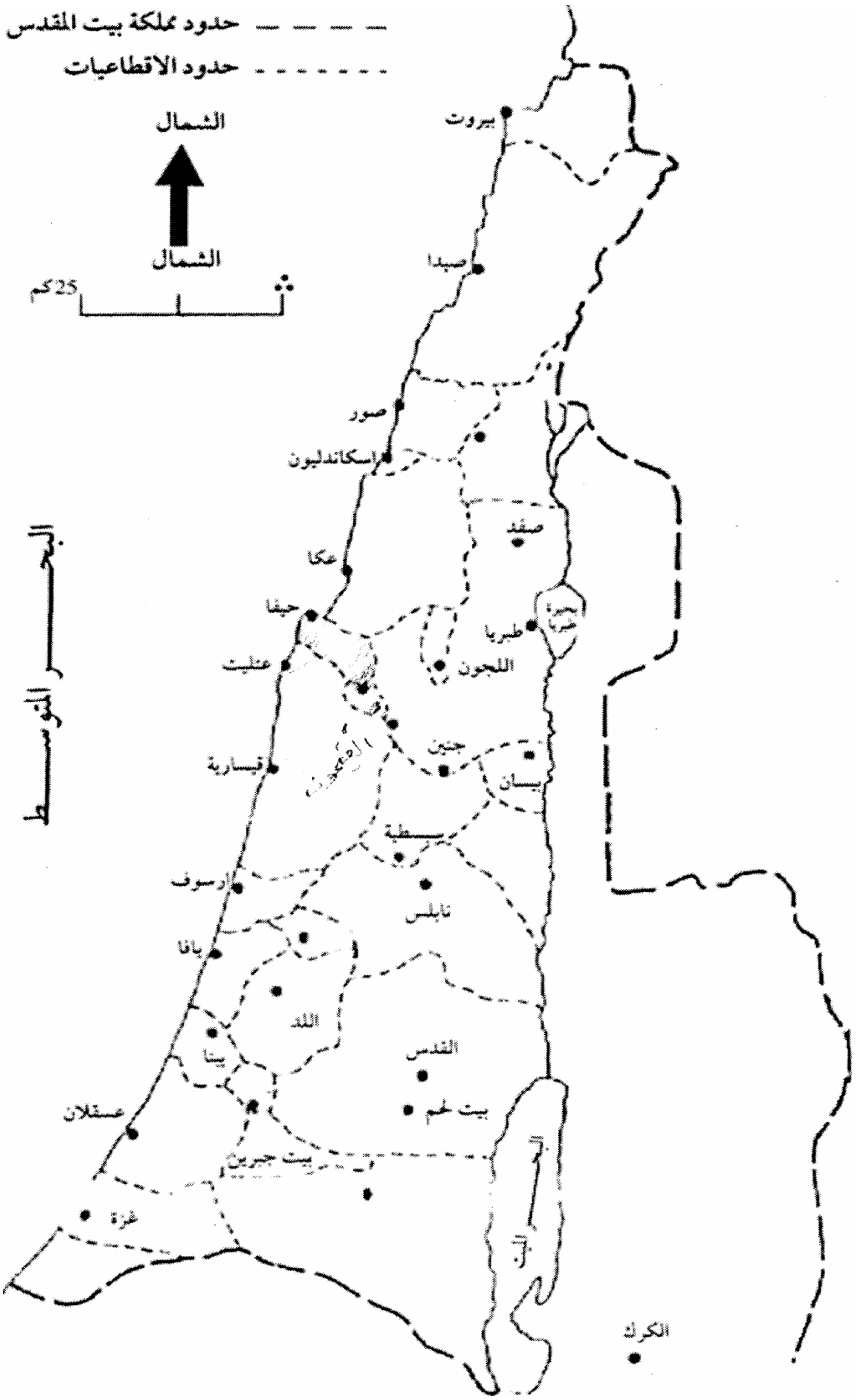
([1])Arnold, T, V, Litt, D, C, HArab **Thavellers and Marchants**. A. D. 1000, 1500, P. 94. F. Newton. A, P. London, 1926. pp. 88-103-

([2])يوشع براور، **عالم الصليبيين**، ص224

سورية وفلسطين صارت هي العملة المعمول بها في معاملات سكان البلاد، وفي الوقت نفسه كان الصليبيون يسكون عملاتهم الخاصة من الفضة والنحاس على نمط العملية الفرنسية المعاصرة لها [1] فإلى جانب اسم الملك الحاكم الذي كان يكتب على الإطار، والصليب المنقوش في الوسط، كانت مثل هذه العملات تحمل على الوجه الآخر صورة برج داود أو صورة الملك الحاكم، وكانت اغرب العملات الصليبية طرافة هي تلك التي سكت بعد القرن السابع الهجري/ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، وعليها كتابة عربية تمجد الثالوث المقدس، لقد كان ذلك حلا عمليا يسمح لدار سك النقود المسيحية أن تعلن عن عقيدتها دون حنث أو عبث بالمقدسات، فان نستفيد في الوقت ذاته من السوق العالمي.

(1)المرجع نفسه، ص224-225.

ملحق رقم 4. الخرائط




قلعة المقاطعة
حيفا
دير مار الياس
ام خالد
تلميني
اجزم
خربة يونس
خربة يونس
حراميس
قلعة دوستري
وادي فلاح
التونة
المنصورة
قلعة
الحاج عتليت
دالية الشرمل
الحارثية
خربة خميس
قيسارية
القيمون
اللجون
كفر ناحوم
عين غزال
نهر لام
نهر المقطع
عسفيا
جبل الكرمل

An-Najah National University
Faculty in Graduate Studies

Hiafa's Fief and it's Role in the Islamic Franksh Struggle

(943-690H/1100-1291 A.D)

Prepared By

Abd Al-Rahim Sa'd Addin Abu Ann

Supervised By

Dr. Jamal Mohamd Judeh

Dr. Said Abd Allah Bishawi

Submitted in Partial Fulfillment of Requirements for the Degree of Master of Arts in History, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University in Nablus, Palestine.

2004

Hiafa's Fief and it's Role in the Islamic Franksh Struggle
(943-690H/1100-1291 A.D)

Prepared By
Abd Al-Rahim Sa'd Addin Abu Ann
Supervised By
Dr. Jamal Mohamd Judeh
Dr. Said Abd Allah Bishawi

Abstract

The study of Frankish wars have attracted the attention of modern historians and researchers both in west and east as one conflict between west and east in the middle ages due to their significant influences and results.

Although of the many research conducted investigating Frankish wars, they don't cover all their stages and facts. Therefore this field is still an important field to researchers higlightenning some of it's ambiguous aspects. Because the topic of Haifa city hasn't been studied, I chose this topic to be the central point of my investigations which is titled by "Haifa's feudalism and it's Role In The Islamic Frankish Struggle from 493-690H11100-1291A.D " whatever the matter was, the Frankish people captured most of Aisham and Palestine by force, and they applied the European feudal system in the east with some few modifications due to the nature of these countries. The Frankish had established three districts: Al-radaha, Antakia, and Tarablus. In addition, they established the Frankish Kingdom of Bait Al-maqdis which was divided to four districts: Saeda baronial, yaffa and Askalan, Al-jalil, and over Jordan. There were also twelve fiefs districts: Haifa, Nablus, Arsuf, Kesareya, Habrow, Beruit, Eskendleyom, and Alkaymon feudalism. There were some cities under the control of the Frankish king. These cities were: Akka, Sour, Deir Al-balah, and Beit Al-makdes.

The researchers didn't study Haifa and every thing was mentioned about it was simple references. In addition, Haifa has an economical was military interest and it' significant role during the period selected to be studied.

The study has been divided to five chapters. The first chapter is titled by " conditions of Haifa since the oldest ages until the Frankish invasion". This chapter talks about the geography, location, boundaries, climate, water resources, and rural areas of Haifa.

Then it discusses why the city was named as Haifa, and the names the city were known by tracking to the conditions of Haifa during the Islamic ages before the Frankish people came to the districts.

The second chapter is written under the title of" Haifa under the Frankish control". The chapter discusses the siege of Haifa in 493m1 11 OOA.D. it indicates the Frankish forces participated in this siege, the conditions of Muslims and Jews under siege, and their resistance. Finally, the chapter talks about the city capture, and what happened to it' s people as killing, depredation, and leaving the city by force.

The third chapter is "The role of Haifa's military feudalism in confrontation against Islamic power 493-583m/l 100-1 187A.D. It talks about the relationship between the master of Haifa's feudalism and the Frankish king of Beit Alamkdes. It also indicates the efforts of Haifa feudalism's master, military services introduced by him supporting Frankish wars. In addition, it illustrates the participations and the efforts of Haifa feudalism in internal activities of Beit Al-makdes kingdom, nad the conflict due to Beit Al-makdes throne. The chapter ends with a description

of Hétten Baffle, and the return of Islamic authority on the rural areas round Haifa.

Chapter four is titled by “The conditions of Haifa feudalism under Beit Almaqdes kingdom 583- 690m1 1187-1291 A.D “. This chapter indicates Muslims victory in Hetten Battle 583m11 187 A.D, then the reconciliation between Ritchard th Heart of Lion, king of England and sultan Salah Edin Al-ayobi in 588m11 192 A.D, and Frankish control on Haifa feudalism and other Palestinian coastal cities. Then it talks about Haifa feudalism after Al-ramleh truce until the end of Frankish movement in 690m11291 A.D.

Chapter five is discussed under the title of” social, economical, constructing, and juridical life in Haifa’s feudalism “. It deals with social life, categories of population, social classes, language, religion, customs, and tradition at that age. It also discusses the economical life as agriculture, industry, trade, establishments, and judicial system in Haifa feudalism during that age.

The study ends with the most significant results, and then with a list of appendixes, maps, and arab and foreign references.

The most important references were references of history, geography, biographies, and journies. This is added to documents and records of churches, monasteries, and fighting religious boards. Most of the foreign sources were written in old Latin and French with few sources and references being translated to modem European languages as English, German, French, and Italian. Dr. Said Al-bishawi provided me some documents written in Latin added to what I translated in Al eskandareya

with the help of Dr .Ibrahim Al-saeh. I conducted a critical analytical study to the most important arab and foreign references I depended on.

After the study of Haifa feudalism district, and it's role in the Islamic Frankish conflict, it becomes evident to us that Haifa city to control to be a marine path to Aljalel Emmara (district) established by the prince Noormandi Tankrad. Tranked prepared strong marine and over land armies and recoursed Albundoki fleet. People in Haifa firmly defended their city but most of them were killed. The study illustrates that there are more than one the personal interests affected the situation.

The feudal master had to perform a group of military responsibilities. It is clear that Haifa's of knights and infantries although it had a part. The feudal master of Haifa was a member in the Higher Court (Court of the king) like other feudal masters. In addition, the feudal master by the king against Muslims and also he participated in defending the kingdom.

The study illustrates that Vivan (feudal master of Haifa) presented presents and grants to churches and monasteries like tankard. It indicates the Muslims' control on Haifa after Hetten Battle. But after four years, the Frankish recaptured the city after the third crusader expedition, and signature of Alramla Agreement between sultan Salah Edeen and Ritchard the Lions' Heart in 588m11 192 A.D.

Haifa feudalism attracted kings of Beit Almaqdes and their feudal masters who constantly worked to enforce it's fortifications. They established castles of Atlet, and Dosteri in the south, and Almokata'a at the entrance of one of Al-karmal mountain's values. They built more fortifications and constantly rep aired them.

The study shows that Muslims repeatedly tried to recontrol Haifa and other districts through one hundred and ninety years until they succeeded headed by Salah Edeen Khalil bin Mansour bin Kalawon in 690m1l292 A.D.